وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الدكتور محمد كامل ضاهر

البدعة الوهابية

وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث

دار السلام
للطباعة والنشر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الدعوة الوهابية

وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الدكتور محمد كامل ضاهر

الدَّعْوَةُ الوَهَّابِيَّةُ

وَأَثَرُهَا فِي الفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ الحَدِيثِ

دَارُ السَّلَام
للطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار السلام
للطباعة والنشر

تلفون ٣٥٠٩٥٨ - ٣٥٢٩٩٨ - ٣١٠٦٦٠
شارع الحمراء - جانب سينما ستراند - بناية زخريا - الطابق الثالث
ص.ب ١١٣/٥١٢٨ - بيروت - لبنان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾

(القيامة: ٣٦)

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

(المؤمنون: ١١٥)

«من مات مهاجراً في سبيل العلم فقد مات شهيداً».

(حديث شريف)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

مقدمة

موضوع هذه الدراسة بحث عن حقيقة الدعوة الوهابية، وتوضيح لتعاليمها، وشرح للأهداف الحقيقية التي كانت تسعى إليها.

انطلقت هذه الدعوة من نجد، في قلب جزيرة العرب، حوالى منتصف القرن الثامن عشر، وكانت أفكارها وليدة أسفار طويلة وشاقة، قام بها مؤسسها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى حواضر العلم في الجزيرة العربية وخارجها حيث درس مشكلات المسلمين الدينية والدنيوية، واطلع على تيارات الفقه والتصوف والفلسفة وعلم الكلام. وقد صقلت هذه الأسفار تفكير الشيخ وأمدته بثقافة واسعة، تتجلى معالمها في شرح أهداف دعوته والرد على منتقديها. وسنتبين من خلال هذا البحث، ان مفاهيم السلف الصالح لعقائد الإسلام المستمدة من القرآن والسنة الصحيحة، ثم أفكار الامامين احمد بن حنبل وتقي الدين بن تيمية وتلامذتهما، كانت التربة التي نبتت فيها أصول الدعوة الوهابية، واستمدت منها غذاءها الفكري، وترعرعت في أحضانها...

ولقد دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع أسباب كثيرة أهمها:

أولاً: ان الدعوة الوهابية كانت أول حركة في تاريخ الإسلام الحديث تعلن الثورة على الجمود والتقليد والبدع والخرافات التي تشل تفكير المسلمين، وتشوه تعاليم دينهم، وتطمس الكثير من حقائقها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثانياً: لانها كانت أول حركة عربية كافحت من أجل توحيد مناطق الجزيرة العربية وتحريرها من سيطرة العثمانيين واعوانهم، وإقامة حكم وطني عربي عليها في وقت كان العثمانيون من أكبر القوى العسكرية العالمية وأرهبها.

ثالثاً: الأثر الكبير الذي تركته تعاليم هذه الدعوة في الاتجاهات الفكرية لرواد الفكر الإسلامي الحديث وفي طليعتهم جمال الدين الافغاني، ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم. .

رابعاً: ان دولة عربية كبرى يتعاظم شأنها باستمرار في الحياة العربية والإسلامية والدولية المعاصرة تولدت عن كفاح تلك الدعوة، وسارت على شرائعها، وهي المملكة العربية السعودية.

خامساً: ان تعاليم وأهداف الدعوة الوهابية شوهت وحرّفت إلى درجة مؤسفة، مع انها في بعض وجوهها قريبة من منهج الفكر العلمي الحديث، خصوصاً في تصديها للطقوس الوثنية والخرافات والبدع الدخيلة على الإسلام التي لا يقرها العقل بأي حال من الأحوال.

سادسا: ان الفكر الإسلامي الحديث، والوهابية إحدى صوره، لا يزال في معظمه أرضاً مجهولة بالنسبة إلى الأجيال المعاصرة من المسلمين المثقفين، الذين هجروا تراثهم الديني بعد عجزهم عن مد جسور بين قيمهم الدينية والاخلاقية من ناحية، ومبادىء الحضارة الغربية المادية وتطلعاتها من ناحية أخرى، مع ان الإسلام، كما يقول معظم الباحثين، قادر على استيعاب حقائق هذه الحضارة مثلما استوعب حقائق الحضارات العريقة التي دخلت تحت سلطانه في مراحله الأولى.

وكان من الطبيعي ان أواجه الكثير من الصعوبات خلال هذا البحث، خصوصا في الحصول على المراجع العلمية حيث ان ما تحويه المكتبات عن الدعوة الوهابية قليل جداً، وإن وجدت كتاباً عنها، فهو إما محاولة من حاقد لتهشيمها، أو رؤوس أقلام تاريخية أو دينية لا تعطينا صورة متكاملة وواضحة عن منطلقاتها الفكرية الحقيقية. وفي ظني ان هذه الدراسة من حيث موضوعها هي الأولى من نوعها حتى الآن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد قسمتها إلى ثلاثة أبواب: تحدثت في الأول منها عن حالة المجتمع العربي والإسلامي زمن الدعوة وبعدها، ثم استعرضت بيئة الدعوة ومبادئها وأهدافها وحياة مؤسسها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورحلاته العلمية، واساتذته وأهم مؤلفاته، والظروف الدينية والسياسية التي مرت بها الدعوة حتى اليوم.

وفي الباب الثاني، بينت كيفية دخول البدع إلى الإسلام، وأنواع الايمان، وأصول التعاليم الوهابية عند أهل السلف وابن حنبل وابن تيمية، وقارنت بينها وبين آراء الفرق الإسلامية الرئيسية التي هاجمها الوهابيون بعد أن بدعوها واتهموا رجالها بتشويه تعاليم الإسلام، وزرع الشكوك في تفكير المسلمين.

وفي الباب الثالث والأخير: تكلمت عن أثر الدعوة الوهابية في حركة الإصلاح الإسلامي الديني الحديث في مصر والهند وبلاد الشام والمغرب العربي، ثم ذكرت بعض آراء كتاب الشرق والغرب فيها.

إنني أتوجه بعميق شكري إلى جميع الذين قدموا إليّ المعلومات والمراجع العلمية التي كانت زاداً تغذيت به خلال فترة إعداد هذه الدراسة، راجياً ان تكون فاتحة أبحاث علمية جديدة ورصينة حول الفكر الإسلامي الحديث ومفاهيمه.

محمد كامل ضاهر

بيروت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الباب الاول

الدعوة الوهابية
مبادئها، وأهدافها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي زمن الدعوة

عرف المسلمون عهوداً زاهرة في الكثير من نواحي الحياة خلال القرون السبعة التي أعقبت ظهور الإسلام، فكانت حواضرهم من أهم المراكز الفكرية الناشطة يومئذٍ لتغيير البنية الأيديولوجية للعالم القديم ووضع مفاهيم جديدة لأخلاقيات المجتمع البشري وعقائده في الله والانسان والعالم. وقد ساهموا خلال هذه الفترة بأعمال جليلة في مسيرة التقدم الإنساني، وكان لبعضها أثر في تكوين العقل الحديث واتجاهاته[1]. بدأ هذا العطاء الحضاري الرائع يتلاشى منذ أواخر القرن الثاني عشر تقريباً نتيجة عوامل داخلية وخارجية عاتية استنزفت قوى المسلمين العسكرية والاقتصادية والبشرية، وجعلتهم فريسة لأطماع الغزاة من الشرق والغرب. وعندما جاء الأتراك العثمانيون في مطلع القرن السادس عشر بسطوا سلطانهم على معظم الأقطار العربية والإسلامية، وأجهزوا على ما تبقى من الخلايا الحية للحضارة الإسلامية، فكانوا محنة جديدة عصفت بالعرب والمسلمين ورمتهم في متاهات مضنية من الجهل والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المريع.

كان العرب يشكلون القلب النابض للعالم الإسلامي. وقد لعبوا دوراً حيوياً

---

(١) كان العالم الإسلامي يمتد من شواطىء المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود الصين شرقاً. وكانت البلاد العربية تؤلف أحد أهم أجزائه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في انجازات الحضارة الإسلامية وازدهارها. كما كان لهم الفضل الأول في نشوء الفكر الإصلاحي الديني الإسلامي الحديث، وقد مروا خلال الحكم العثماني بعصرين رئيسين: عصر الانحطاط، ثم عصر النهضة. وكان لكل من هذين العصرين أسبابه وخصائصه المميزة.

عصر الانحطاط

بدأ هذا العصر مع إطلالة القرن الثالث عشر تقريباً واستمر حتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد عانى العرب والمسلمون خلال هذه الفترة اقسى أنواع الحرمان والتخلف والانحلال في الكثير من نواحي الحياة بعد ان عزلهم الأتراك عن كافة تيارات التقدم الانساني المعروفة يومئذ.

أدى هذا الواقع المرير إلى هجوع الفكر العربي والإسلامي واستسلامه لأحداث القدر في وقت كانت شعوب الطرف الغربي من العالم تتهيأ لوضع مفاهيم جديدة عن الانسان والكون والحياة، مستمدة من العلم التجريبي والاستقراء المنعتق من سيطرة الخرافات والتقاليد المقيدة لكل تطور خلاق في عالمي المادة والروح.

اتسمت مراكز العلم والثقافة في الأصقاع العربية والإسلامية خلال هذه الفترة باجترار بقايا معارف المسلمين وعلومهم الدينية والدنيوية، كالحديث والتفسير والفقه والأدب والمنطق والحساب وبعض من أفكار العالم القديم وثقافته. «ولم يبق من العلوم التي عني بها العرب الأوائل إلا مبادىء حسابية بسيطة يستعان بها في تقسيم المواريث، أو قبس من علم فلك قديم يستدل به على أوقات الصلاة[٢]».

كان هذا النوع من المعارف التقليدية يدرّس في أشهر المراكز العلمية الإسلامية المعروفة يومئذٍ، كالجامع الأزهر في القاهرة، ومدرسة سيدي يوسف

---

(٢) احمد امين. زعماء الاصلاح. ص ٧ راجع أيضاً.
Histoire du developpement culturel et scientifique de l'humanité. T. IV. p. 1067.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في مراكش، وجامعة القرويين في فاس (التي انفردت بتدريس الطب في العالم العربي حتى أوائل القرن التاسع عشر)، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع احمد باشا القرمنلي في طرابلس الغرب، والمسجد الأعظم في الجزائر، ومسجدي مكة والمدينة في الجزيرة العربية وفي المؤسسات الدينية والثقافية في بغداد والموصل والبصرة والنجف وكربلاء والقدس ودمشق وحلب وغيرها[٣].

استأثر رجال الدين بالإشراف على هذه المراكز باعتبارهم «مستودعاً» للعلم والمعرفة في زمانهم، وبهذه الصفة استطاعوا ان يلعبوا دوراً هاماً في شؤون الدولة والشعب، وان يشكلوا بالتالي طبقة اجتماعية متميزة تحارب كل تجديد أو تطور في مجالات الدين والفكر والحياة خوفاً على مكانتها في السلطة والمجتمع[٤].

ومنذ أوائل القرن الثامن عشر بدأ هذا النفوذ الواسع يواجه تحديات قاسية ومباشرة من جانب مشايخ الطرق الصوفية الذين استقطبوا فريقاً كبيراً من الناس في شتى المدن والأرياف، وصاروا مقصداً للتبرك والتقديس والدعاء، ومارس بعضهم السحر والشعوذة لكسب الانصار والمعجبين. وقد رافق هذا كله انحلال عسكري واجتماعي وسياسي واقتصادي في الدولة العثمانية والولايات العربية التابعة لها، إذ كثر تمرد الولاة على السلطة المركزية، وانعدم الأمن والنظام، وانتشر الظلم والفساد في كل مكان، واشتد الصراع بين الحكام لكسب الأموال وبسط السلطان، وأصيب الاقتصاد بالتردي والجمود في كل ناحية من نواحيه، خاصة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذي ربط أوروبا بالهند والشرق الأقصى مباشرة مما أضعف دور العرب كوسطاء لتجارة الشرق المربحة مع الغرب[٥]. ويصف المستشرق الأمريكي لوثروب ستودارد Stoddard حالة العالم الإسلامي في ذلك الوقت قائلاً:

«في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم

---

٣) راجع، عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب. ص ٥٨ وما بعدها.

٤) راجع:

Gibb and Bowen. The islamic society and the west. Vol. I. part II. P 98.

٥) نجلاء عزالدين، العالم العربي. ترجمة مجموعة من الاساتذة. القاهرة. بدون تاريخ ص ٩٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، فأربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاء من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي واستغرقت الأمم الإسلامية في إتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، ليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا، وأواخر ملوك المغول في الهند، يحكمون حكماً واهناً، فاشي القوة، متلاشي الصبغة. وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون عليها، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون اخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا ارهاقاً فوق ارهاق، فغُلت الأيدي، وقعد عن طلب الرزق، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين، وبارت التجارة بواراً شديداً، وأهملت الزراعة ايما اهمال. . .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استيحاء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ـ فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي محمد على من استطاعه(٦) ضرباً من المستهزءات. وعلى الجملة فقد تبدل المسلمون وهبطوا مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى

---

(٦) الواقع ان القرآن هو الذي فرض الحج وليس الرسول ﷺ، ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (آل عمران ٣/٩٧).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ما كان يدهو المسلمين لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها منهم كما يلعن المرتدين وعبدة الأوثان. وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومدلج في ظلمته، إذا بصوت يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة، مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين، ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم. فكان صارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور: محمد بن عبدالوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي. ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعزّ التليد، فتبدت تباشير الاصلاح، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام»[٧].

كانت هذه الفترة القاتمة طويلة وقاسية ولكنها حملت في أحشائها بذور البعث والتجدد للعالمين العربي والإسلامي. وقد عبر عن ذلك أكثر المصلحين الدينيين الذين تركت أفكارهم وأعمالهم أعمق الأثر في انطلاق حركة الاصلاح الإسلامية والنهضة العربية في القرن التاسع عشر[٨].

عصر النهضة:

حفل هذا العصر الذي بدأ مع اطلالة القرن التاسع عشر بكثير من التطورات والأحداث في شتى أنحاء العالم. ففي البلاد العربية ازداد نفوذ الوهابيين في الجزيرة العربية وجوارها، وتم الاتصال بين العرب والحضارة الغربية الحديثة عن طريق الغزو النابليوني لمصر، وانتشرت البعثات التبشيرية في لبنان، وبرز محمد علي بقوة على مسرح السياسة في مصر والشرق الأوسط، واشتد الصراع بين الدول الأوروبية للاستيلاء على المناطق العربية وغيرها من

---

(٧) لوثروب ستودارد. حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض دار الفكر للطباعة والنشر، ط ٤. بيروت ١٩٧٣ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٨) سنركز في هذه الدراسة على المرحلة الأولى من النهضة التي امتدت من بداية القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وانحصر تأثيرها في مصر والمشرق العربي ثم انتقلت بعد الحرب إلى الأجزاء الأخرى من العالم العربي. وقد ارست هذه المرحلة قواعد التطورات اللاحقة وأثرت فيها تأثيراً عميقاً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأقطار وراء البحار نتيجة الثورة الصناعية التي قامت في بعض تلك الدول، وتزايد الضعف والانحلال في أوصال الامبراطورية العثمانية سياسياً ومالياً وعسكرياً. وظهرت الاتجاهات الوطنية في الولايات البلقانية والعربية، ونشطت الحركة الصهيونية لإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وشقت قناة السويس، وبدأت حركة الاستشراق، وانتشرت الطباعة، وصدرت الصحف والمجلات السياسية والعلمية والأدبية والتاريخية، وشيدت المدارس والجامعات خاصة في لبنان، وأنشئت الأحزاب السياسية الوطنية، واشتدت النزعة الاستقلالية العربية عن الدولة العثمانية، ودعا المفكرون العرب إلى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتحرير المرأة، وقام المصلحون الدينيون بدور فعال في توعية الناس سياسياً ودينياً واجتماعياً.

بدأت مقوّمات هذه النهضة تتكون خلال هذا العصر المضطرب، وكان الإسلام أحد أهم حوافزها، ولهذا السبب قامت معظم محاولات الاصلاح في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على أيدي مجموعة من رجال الدين المسلمين المتنورين الذين كانوا من أكثر القوى والتيارات تأثيراً في توجيه حياة رعاياهم واتجاهاتهم الفكرية. وقد نشأ في هذه الحركة تياران مختلفان: التيار الإسلامي المحافظ، والتيار العلمي الحديث.

التيار الإسلامي المحافظ (السلفي):

أدى الشعور بالمرارة والأسى لتدهور أحوال المسلمين وتخلفهم إلى ظهور حركات دينية تهدف إلى معالجة أمراض المجتمع الإسلامي برمتها عن طريق إحياء اخلاقيات وعقائد المجتمع الإسلامي الأول الذي شيّده الرسول وصحابته وخلفاؤه الراشدون في المدينة على أسس قرآنية اتسمت بالتوازن الرائع بين حاجات الانسان المادية والدنيوية من ناحية، وتطلعاته الروحية من ناحية أخرى. وقد أصبح هذا المجتمع الفاضل مثالاً يأسر عقول المسلمين وعواطفهم، ورمزاً يسعون إلى محاكاته عبر العصور والأجيال[٩].

---

(٩) راجع، فيليب حتي، الإسلام منهج حياة ـ ترجمة د. عمر فروخ ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٧٩. ص٣٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كان زعماء هذه الحركات يعتقدون بأن من صلح دينه صلحت دنياه، وان إصلاح الدين كفيل بإصلاح السياسة، لأن الإسلام جمع بينهما منذ نشوئه، وان مشكلة المسلمين في العصر الحديث تتمثل في رد الاعتبار إلى تعاليم دينهم الذي ازدهر ازدهاراً عظيماً في عصوره الأولى ثم أصيب بالوهن بعد ذلك[١٠].

كانت الدعوة الوهابية أول حركة اصلاحية في تاريخ الإسلام الحديث تتصدى لمعالجة الانحلال الداخلي في المجتمع الإسلامي دون أي تأثير من الغرب. وتتركز مفاهيمها الاصلاحية في الدعوة إلى تطهير عقائد الإسلام من البدع والخرافات التي انسابت إليها خلال الأجيال المتعاقبة، ومحاربة العادات والأفكار الوثنية بجميع أشكالها وصورها، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لتحطيم الجمود المسيطر على مفاهيم الدين والدنيا عند المسلمين.

لاقت أفكار هذه الدعوة ترحيباً عند المتنورين من رجالات العالم الإسلامي في جميع أرجائه. وتحت تأثيرها شرع جمال الدين الافغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ينادي بالعودة إلى تعاليم الإسلام الأصيلة المنبثقة من القرآن والسنّة، كشرط أساسي لإنقاذ المجتمع الإسلامي من تخلفه، وتمكينه من الوقوف أمام المد الاستعماري الغربي وعنفوانه، فعبر عن ذلك بإيجاز بليغ حين قال: «كل مسلم مريض دواؤه في القرآن»[١١]. وقد أيده في هذا الاتجاه الشيخ عبدالرحمن الكواكبي، والامام محمد عبده، والشيخ حسن العطار، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان، وغيرهم من رواد الاصلاح الإسلامي الحديث. وكانت مجلتا «المنار» و«العروة الوثقى» لسان حال هذا الاتجاه ومرآته.

التيار العلمي الحديث:

كانت الحركات الاصلاحية السلفية عنصراً فعالاً في تحريك المجتمع العربي وإيقاظه من سباته الطويل. لكن اتصال هذا المجتمع بأفكار الحضارة الأوروبية

---

(١٠) راجع مقال المستشرق الكندي والفرد كانتول سميث في كتاب: الإسلام في نظر الغرب. ترجمة اسحق موسى الحسيني ص ٣٩ وما بعدها.

(١١) محمد المخزومي. خاطرات جمال الدين الأفغاني. مطبعة صادر. بيروت ١٩٣١ ص ٨٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقيمها أفسح المجال واسعاً لتسرب مبادىء العلوم الحديثة إليه وهزه من الأعماق. وقد تم هذا الاتصال بادىء الأمر عن طريق حملة نابليون بونابرت على مصر، ثم نما وتوسع بفضل مدارس الارساليات الأجنبية التي انتشرت بكثرة في بلاد الشام (لبنان خصوصاً) وما حملته معها من تراث الفكر الغربي الحديث بجميع حقوله وفروعه.

تعدَّت تأثيرات الحملة النابليونية على مصر مجالَيها السياسي والعسكري لتخلق تياراً حضارياً جديداً في المشرق العربي، بفضل ما حملته معها من عناصر المعرفة والتقدم. وقد تأكد ذلك من خلال البعثة العلمية التي رافقت الحملة، والتي عكفت على دراسة جغرافية مصر الثقافية والطبيعية والاقتصادية والبشرية بواسطة أشهر المهندسين وعلماء الرياضيات والفلك والجغرافيا والجيولوجيا والكيمياء والمعادن والنبات والحيوان والطبيعة والنحت والموسيقى والأدب والآثار وغيرها. وحملت معها أيضاً مطبعة عربية، وأخرى فرنسية، ومكتبة، ومجموعة من الأجهزة العلمية المتطورة، وأنشأ علماؤها مجمعاً علمياً مصرياً على غرار معهد فرنسا[١٢]، للبحث في موضوعات الطبيعة والصناعة والتاريخ، وحفظت أبحاث هذا المجتمع في عشرين مجلداً ضخماً عنوانها: «التعريف بمصر». ويعتبر هذا المجهود العلمي من أعظم ما خلّفته حملة نابليون من الآثار في مصر والبلاد العربية الأخرى رغم فشلها السياسي الذريع[١٣].

اشتد الصراع في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بين التيارين السلفي والعلماني حول أفضل السبل لإنقاذ العرب والمسلمين من مجاهل التخلف بعد التغلغل الثقافي والعسكري الأوروبي في الدولة العثمانية والأقطار العربية وما رافقه من التحديات المصيرية للاتجاهات التقليدية في المجتمعات الإسلامية.

كان الهم الأول للتيار السلفي المتنور هو الاستعانة بالعلوم الغربية لتطوير

---

(١٢) كان هذا المجمع مؤلفاً من ثمانية وأربعين عضواً موزعين على أربعة أقسام: الرياضيات، والعلوم الطبيعية والاداب والفنون، الاقتصاد السياسي.

(١٣) لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث ص ٥٦٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هـذه المجتمعات دون المسـاس بجوهـر تعاليم الإسـلام، لان هـذه التعـاليم في حقيقتها لا تناهض العلم بل تحث عليه.

أما التيار العلماني، فقـد ركز عـلى أهمية الاعتـماد الكلي عـلى الفكر الغـربي، ونادى بفصل الدين عن الدولة من أجل إنقـاذ سريع وفعـال لتلك المجتمعات، لظنه بأن التقدم السياسي والاقتصادي والاجتـماعي للشعوب لا يمكن ان يتحقق بالدين وإنما بالعلم. . . وذهب بعض المفكـرين العرب المسيحيـين إلى أبعد من ذلك فصرحوا: «ان القول بأن الالتفاف حول لواء الدين يمكّن الأمم الإسلامية من إحـراز مستوى الغـرب الحضاري ذاتـه، وهو المستـوى الـذي تـوصـل إليـه بالتقدم العلمي، هو في بساطة تجاهل لطريقة تطور الحضـارات، وفشل في فهم انطبيعة الانسانية»[١٤]. وقد شاركهم في هذا الرأي أيضاً بعض المفكرين العـرب المسلمـين. ويبدو ان فـرضيات التيـار الأول ما زالت هي المسيـطرة في العالمـين العربي والإسلامي حتى الآن. وقد رافق هذا الصراع بين الاتجاهـين المذكـورين تيارات سياسية حاولت تحديد الهوية القومية للشعوب العربية: هل هي جزء من العالم الإسلامي؟ (تيـار الوحـدة الإسلاميـة)، أم تبقى جزءاً من الأمـبراطوريـة العثـمانية؟ (تيـار الرابـطة العثمانيـة)، أم ان لكل شعب قـوميته الخـاصة؟ (تيـار الوطنية الاقليمية)، أم ان القوميـة العربيـة هي الهويـة الأصيلة لهذه الشعـوب؟ (تيار القومية العربية). لقد زال التيـار الثاني مـع زوال الامبراطـورية العثـمانية، وضعف التيـار الثالث بعـد كارثـة فلسطين عـام ١٩٤٨، وبقي التيـاران الأول والأخـير يتنازعـان الفكر السيـاسي العربي حتى اليـوم. وكان لكـل تيار أحـزابه وصحفه المعيّنة. وسنشرح ذلك في القسم الثالث من هذه الدراسة.

---

(١٤) راجع كتاب هشام شرابي. المثقفون العرب والغرب. ص ٨٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الثاني

بيئة الدعوة وأهدافها

البيئة الطبيعية

انطلقت الدعوة الوهابية من نجد في قلب شبه جزيرة العرب، وفي بيئتها نمت وظلت تصارع من أجل انتشار تعاليمها وغلبتها، حتى تمثلت في النهاية بدولة مستقلة متميزة بوجهها القرآني، هي المملكة العربية السعودية[1].

وإذا نظرنا إلى خريطة مجسمة للجزيرة العربية نجد انها هضبة واسعة مترامية الأطراف أو أرض مستوية ترتفع فجأة بعد عبورنا مناطق سواحل البحر الأحمر، ثم تأخذ بالانحدار التدريجي شرقاً حتى تصل إلى العراق والخليج العربي. وتمتد شواطئها مسافة تقرب من خمسة آلاف وخمسماية كيلو متر، وهي قليلة التضاريس كشواطىء القارة الأفريقية، وتبلغ مساحة هذه الجزيرة حوالى ثلاثة ملايين كلم٢.

أما إذا فصلنا عنها بلاد الشام فان هذه المساحة تتقلص إلى مليونين ونصف كلم٢. تقريباً، لتشكل منطقة ذات خصائص متميزة تاريخياً وبشرياً واقتصادياً

---

(١) أعلن الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، قيام هذه المملكة بأمر ملكي رقمه ٢٧١٦، صدر بتاريخ ١٧ جمادي الأول سنة ١٣٥١ هـ، الموافق فيه ٢٨ أيلول سبتمبر ١٩٣٢ م. وتبلغ مساحة المملكة حالياً مليون و٤٠٠ ألف كلم٢ تقريباً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وجغرافياً عن الأقطار العربية الأخرى.

فمن أرضها خرجت أول هجرات الشعوب الساميّة إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط. ومنها انبثقت تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وفيها أسس النبي محمد أول مجتمع إسلامي، وفي حواضرها وبطاحها ولدت اللغة العربية وترعرت، ومن رمالها تشكلت أكبر وأشهر الصحاري في العالم، ومن باطنها تفجرت أغزر ينابيع البترول، عصب الحضارة الحديثة، فضلاً عما تحويه هذه الرمال من ضروب المعادن الثمينة والخسيسة، مما أضاف إلى أهميتها الدينية أهمية اقتصادية واستراتيجية تتعاظم باستمرار على نطاق العالم كله.

أما اقليم نجد، فهو سهل مرتفع كثير التلال، مأهول بالبدو. كما انه من أكبر مناطق الجزيرة مساحة وأكثرها سكاناً. ويتراوح ارتفاعه عن سطح البحر ما بين ٦٠٠ و٩٠٠ م، وكان مشهوراً زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكثرة المدن والقرى والامارات الصغيرة. وفيه يقع الربع الخالي، أكبر وأشهر الصحاري في العالم[٢]. أما عدد سكانه زمن الدعوة الوهابية فكان حوالى ٢٧٥ الف نسمة[٣]. من أهم مناطقه الآهلة بالسكان: إقليم العارض، وأشهر مدنه الرياض، والدرعية، التي كانت عاصمة الدولة السعودية الأولى، ثم العيينة مسقط رأس الشيخ محمد بن عبدالوهاب، واقاليم الخرج والقصيم والحساء وسدير والأفلاج.

---

(٢) من المعروف ان العرب الرحّل كانوا يعبرون الربع الخالي منذ القرن الثالث عشر وهم يحملون السلع المختلفة من العراق إلى المدن الساحلية في مهرة الواقعة شمال حضرموت والتي اشتهرت بإبلها السريعة. وكان أول رجل غربي اجتاز هذه الصحراء هو الرحالة الانجليزي برترام توماس الذي اجتازها على الجمال من الجنوب إلى الشمال خلال ٥٨ يوما، وذلك في شتاء عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣١. ثم جاء بعده الرحالة فيلبي الذي اجتاز الربع الخالي من الشمال إلى الجنوب في أوائل عام ١٩٣٢.

(٣) راجع كتاب منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٤١٨. وكتاب:
F: Mengain. histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamad Aly.
من الصفحة ٢٨٥ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أهم قبائل نجد زمن الدعوة الوهابية[٤]

بنو خالد، مطير، عتيبة: (كانت تسمى هوازن)، حرب، السهول، وكانت هذه العشائر الخمس موالية للأتراك. قحطان، العجمان، الدواسر، عنزة، التي منها آل سعود، وآل الصباح في الكويت وآل خليفة في البحرين، ظفير، سبيع العارض، سبيع القبلة، سرّة. وقد تفرع عن هذه القبائل كثير من البطون والأفخاذ، يمكن التعرف إليها في كتب الأنساب المختصة.

البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

ليست لدينا أية معلومات مفصلة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية زمن الدعوة. كل ما نعرفه ان هذه الجزيرة كانت من أكثر البقاع العربية والإسلامية تخلفاً، وان حياتها الاقتصادية كانت ترتكز على زراعة الأراضي المروية في الواحات لدى الحضر، وتربية المواشي والجمال لدى بدو الصحارى والسهوب. وقد ترتب على هذا الوضع نشوب خلافات متواصلة، واقتتال دائم بين القبائل والعشائر الكثيرة بسبب المراعي وقطعان الماشية والصيد والينابيع، فأثرت هذه الخلافات بدورها على الكيان السياسي للجزيرة. فلم يكن يجمع بين مدنها وقراها أية وحدة سياسية، بل كانت تؤلف في مجموعها عدداً من الامارات الصغيرة لكل منها حاكم بالوراثة[٥].

عقّدت هذه العلاقات القبلية المضطربة التركيب الاجتماعي لسكان الجزيرة، وحجبت عنهم سبل التطور والاستقرار، وأدت إلى انتشار نظام الرق في المجتمعات الحضرية والبدوية على حد سواء. وتسببت الغارات البدوية المستمرة على المدن والأرياف في خراب الينابيع وأقنية الري وإتلاف بساتين النخيل، ونشر الفوضى والرعب في مختلف انحاء البلاد، وشل حركة القوافل التجارية

---

(٤) انظر كتاب منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٤١٩. وكتاب F. Tomiche: L'arabie Seoudite p.28.

(٥) راجع. لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث. ص ٩٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بين الجزيرة وسواحلها من جهة، وسوريا والعراق من جهة أخرى.

رافق هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية، انتشار واسع للطقوس الوثنية بين السكان: «كتقديس الأحجار والينابيع والأشجار والأولياء. فكان لكل قبيلة وقرية ومدينة تواتمها وعقائدها وطقوسها الخاصة بها، رغم ادعاء أهلها الإسلام والإيمان بتعاليمه(٦)».

ويصف لنا الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن حالة الفكر الديني في بلاد نجد عند ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب قائلاً:

«كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفّت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفة، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنّة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة. قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحر الاجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون. قد أَعْشَتُم العوائد والمألوفات، وحبستم الشهوات والارادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات. يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغيرهم من الغزاة وكثير منهم يعتقد النفع والضر في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾»(٧).

في هذا المناخ المشبع بالجهل والتمزق، وفي هذه الأحوال الجاهلية الممزوجة

---

(٦) المرجع السابق. ص ٩٥ ـ ٩٦.
(٧) مجموعة الوسائل والمسائل النجدية. ج ٣، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالسلبية والتواكل، بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب يستقصي ويدرس حالة المجتمع الإسلامي المتهالك في موطنه وفي الأمصار الإسلامية التي زارها. فثار على كل ما شاهد ورأى، واستغرق في التفكير فيما يجب ان يكون عليه العلاج الشافي لهذه الأوضاع، مسترشداً بثقافة قرآنية عميقة ممزوجة ببساطة الصحراء ونقائها. واستنتج في النهاية ان اصلاح أحوال المسلمين والنهوض بهم لن يتم إلا بالعودة إلى الينابيع الأولى للعقيدة الإسلامية التي نهل منها الرسول وصحابته، وكانت مصدراً لقوة المسلمين وعظمتهم. واستناداً إلى هذا الاقتناع انطلق ينشر أفكاره بين الناس ويدعوهم إلى اعتناق عقيدة التوحيد الإسلامي الصحيحة.

الأهداف الحقيقية للدعوة

ان الحوافز الحقيقية التي دفعت الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى اعلان دعوته والجهاد في سبيلها، كانت الرغبة في تطهير الإسلام من البدع والخرافات بجميع صورها وأشكالها، وبث الروح الإسلامية المستمدة مباشرة من القرآن الذي يُعتبر المصدر الأساسي للنظرية الإسلامية إلى الكون والحياة، والدعوة إلى التوحيد القرآني الأصيل، ومحاربة التقليد والتأويل والمناهج الفلسفية في فهم العقيدة، والتشديد على فتح باب الاجتهاد لتطوير الشرائع الإسلامية دون المساس بقواعدها الأساسية، وتطبيق مفاهيم العقيدة كما كانت في المجتمع الإسلامي الأول الذي بناه النبي وصحابته، وعدم التعصب لأي مذهب من المذاهب الإسلامية المختلفة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما توصي به الشريعة، والدعوة إلى التقشف في العيش تشبهاً بالنبي وصحابته. هذه هي العناوين الرئيسية لمبادىء الدعوة الوهابية، فهي تحاكي الإسلام بصفائه الأصيل ومنابعه الأولى عندما كان المسلمون وحدة في العقيدة، ووحدة في التفكير، ووحدة في القيم والأهداف.

ولقد تساءل كثير من الباحثين عن صفة هذه الدعوة، فرأى بعضهم انها حركة دينية خالصة تريد الرجوع إلى صفاء الإسلام الأول، وانها لهذا السبب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خاضت حرباً شعواء ضد كل أنواع الشِّرْك والفساد، وتصدت لجميع البدع التي انسابت إليه من الديانات الأخرى.

ورأى البعض الآخر انها حركة سياسية كانت تهدف إلى سلخ نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية، وإقامة دولة مستقلة فيها تحت راية الإسلام النقي وانها اتخذت من الدين وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

لكن فريقاً ثالثاً قال بأنها مزيج من الدين والقومية، لانها كافحت في هذين الميدانين، واستطاعت ان تقيم دولة، وتوجد نظاماً مبنياً على الإسلام ضمن الإطار السلفي[٨].

والواقع ان الدعوة الوهابية إنما هي مزيج من هذا كله. فهي كما وصفها المستشرق الفرنسي هنري لاووست H. Laoust حركة إصلاح وتجديد في السياسة والدين[٩]. فهي من ناحية تهدف إلى إصلاح الإسلام وتطهيره من البدع والفساد، وهي من ناحية أخرى تريد ارجاع مجد المسلمين الأوائل، وتوحيد البلاد العربية والقضاء على الخلافة «العثمانية» المزعومة[١٠]. وكان لها في هذين الميدانين أثر بالغ على نطاق العالم الإسلامي كله.

أصل تسمية الدعوة «الوهابية»:

كان أتباع الشيخ محمد في بادىء الأمر يطلقون على أنفسهم لقب «الموحِّدين». لكن كثيراً من المسلمين المناوئين لهم ظنوا بان مؤسس الدعوة إنما أتى بمذهب إسلامي جديد، فسموه «المذهب الوهابي» أو الوهابية، نسبة إلى والد مؤسسها العالم الفقيه الشيخ عبدالوهاب بن سليمان آل مشرف. وقد أخذ المؤرخون والباحثون الغربيون بهذه التسمية التي انتشرت فيما بعد وأصبحت هي الشائعة.

---

(٨) المرجع السابق، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٩) راجع كتاب:

H. Laoust. Le traité de droit d'ibn Taymiya. P. 42.

(١٠) راجع كتاب عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٣٠٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وحول هذا الموضوع يقول محمد حامد الفقي في كتابه «أثر الدعوة الوهابية»:

«لننظر كيف ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها، علّنا نوقف القارىء على بعض السر الذي دعا إلى استعماله، ثم إلى شيوعه في الأقطار العربية وغيرها، إلاّ نجد أو ما يتصل بها. فان من أعجب العجب انك لا تجد لهذا اللقب أثراً فيها، ولا عند النجديين النازحين عنها إلى غيرها للتجارة أو الاقامة والاستيطان، لا بل والأعجب من هذا انهم يستنكرون ذلك ممن يخاطبهم به، أو ينسبهم إليه، وانهم جميعاً من ملكهم وأمرائهم ومشايخهم ـ الذين أكثرهم من آل الشيخ محمد ـ وتجارهم وعامتهم، يطلقون على أنفسهم، من حيث الوطن والقطر: «نجديين»، ومن حيث المذهب والعقيدة حنابلة».

«فهم لا يدّعون ـ لا بالقول ولا بالكتابة ـ ان الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد، ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح، وإنما كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وارجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الآلهة. والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً، ودعاءً ونذراً، وسلفاً وتوكلاً، وطاعة لشرائعه، وفي توحيد الأسماء والصفات، فيؤمن بآياتها كما وردت، لا يحرّف ولا يؤوّل، ولا يشبّه ولا يمثل على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين، وما جاء عن الرسول (ﷺ) وما كان عليه الصحابة وتابعوهم، والائمة المهتدون من السلف والخلف رضوان الله عليهم في كل ذلك، وان تحقيق شهادة «لا اله إلاّ الله وان محمداً رسول الله»، لا يتم على وجهه الصحيح إلا بهذا»[11].

ويمضي الفقي بعد ذلك قائلاً بان لقب الوهابية إنما نشأ وشاع في الأقطار والأوساط التي كانت تبذل أقصى جهودها لمحاربة هذه الدعوة عندما كان الأميران عبدالعزيز وسعود، ابنا الأمير محمد بن سعود، يبسطان نفوذهما على جزيرة العرب.

---

(١١) محمد حامد الفقي. أثر الدعوة الوهابية. القاهرة. ١٣٥٤ هـ ـ ص ٤ ـ ٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مؤسس الدعوة:

اختلفت آراء الباحثين الغربيين بادىء الأمر حول هوية مؤسس الدعوة وحقيقته. فذكر الرحالة السويسري بركاردت (توفي سنة ١٨١٧) الذي زار بعض مناطق الجزيرة العربية في أوائل القرن التاسع عشر، ان الشيخ عبدالوهاب بن سليمان آل مشرف هو صاحب الدعوة وراعيها. وأيده في هذا الرأي الرحالة والمستشرق الدانمركي «كرستل نيبوهر» (ت ١٨١٥). وذهب إلى رأي مشابه أيضاً المؤرخ الفرنسي «سيديو» الذي قال في كتابه: «تاريخ العرب العام»، بان واضع تعاليم هذه الدعوة هو الشيخ عبدالوهاب التميمي. لكن الكاتب الفرنسي «اوليفييه دوكورنسيز»، الذي نشر سنة ١٨١٠ أول كتاب عن الدعوة في أوروبا، قال بان مؤسسها هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب وليس والده. وأكد ذلك أيضاً مؤرخا نجد المشهوران عثمان بن بشر، وحسين بن غنام، والمستشرق الفرنسي المعروف «هنري لاووست»، والبروفسور الانكليزي برنارد لويس. كما أكدته الدراسات الحديثة الموثوقة، ولم يعد هناك أى مجال للشك فيها اطلاقاً.

هل الدعوة الوهابية بدعة كما يقول أعداؤها؟

البدعة لغة هي الفِعْلة أو الحالة المبتدعة المستحدثة. وان كانت في الدين فهي «شرع لم يأذن به الله، وافتراء على الله، وفي ما لم يكن في عهد النبي (ﷺ) وجماعة المسلمين في عهده من العبادات»(١٢).

ولا ينطبق هذا التحديد بأي وجه من وجوهه على الدعوة الوهابية، لأنها قامت أساساً لمحاربة البدع، والدعوة إلى التمسك بما جاء في القرآن نصاً وروحاً والاقتداء بالرسول والسير على سنّته. وقد أكد الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذا الاتجاه الفكري في كل كتبه ورسائله.

ففي رسالة وجهها إلى الشيخ عبدالرحمن السويدي أحد كبار علماء بغداد قال شارحاً حقيقة دعوته:

---

(١٢) مجلة المنار. مجلد ٣٢، ج ٤٠، ص ٢٧٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«وأخبرك اني ولله الحمد مُتَّبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنّة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس اخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به مثل الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة[١٣].

وجاء في كتاب آخر أرسله إلى الشيخ محمد بن عبداللطيف، من كبار علماء الحساب في عصره:

«أما ما ذكر لكم عني، فاني لم آت بجهاله، بل أقول، ولله الحمد والمنة، وبه القوة، انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهبِ صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظّمهم، مثل: ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ، التي أوصى بها أول امّته وآخرهم، وأرجو اني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أُشَهّد الله وملائكته وجميع خلقه، ان أتانا منكم كلمة من الحق لأقْبلَنَّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال الحمقى»[١٤].

فالدعوة الوهابية إذاً ليست مذهباً إسلامياً جديداً ولا بدعة دينية كما وصفها أعداؤها، بل هي من صميم الإسلام وقلبه، هدفها الديني عدم تدنيس فكرة التوحيد التي هي جوهر الإسلام، والابتعاد عن التعصب لأي فقيه أو متكلم أو صوفي، وقبول الحق من أي مصدر أتى، لأن الإسلام الحقيقي في رأي أتباعها هو إسلام الرسول وصحابته، حيث لم تكن تعاليمه قد تعقدت بشروحات وكتابات الفقهاء والمتكلمين، أو شوهت بالبدع الغريبة التي انسابت إليه من عادات وديانات الشعوب التي اعتنقته من غير إيمان صحيح بأركانه.

(١٣) راجع نص هذه الرسالة في كتاب امين السعيد: هذا هو كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط ١. بيروت ١٣٨٢ هـ ص ٤٩ ـ ٥٠.
(١٤) المرجع السابق، ص ٥٣ ـ ٥٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الثالث

مؤسس الدعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبدالـوهاب سنـة ١١١٥ هـ/١٧٠٣م ، في بلدة العيينة أجمل بلدان اقليم العارض في نجـد وأغناهـا. وكانت تعـد يومهـا حوالى خمسـة وعشرين الفا من السكان، ويتولى قضاءها والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان. كان في العيينة يومئذ بيتان رفيعا النسب: بيت الإمـارة وعماده آل معمـر، وبيت الـزعامـة الدينيـة والعلم وعماده آل مشرف الـذين ينتمي إليهم صاحب الـدعوة وجمهرة من فقهاء نجد وقضاتها. ويقول النسابون بأن الشيخ يرجع في نسبـه إلى بني تميم من العدنانيين. وبذلك يلتقي بالنسب مع النبي العربي[1].

نشأ الشيخ محمد نشأة دينيـة صافيـة في بيت علم وتقوى. قـرأ الفقه الحنبـلي على أبيه بعـد ان حفظ القرآن وطـالع الكثـير من كتب التفسير والحـديث وكلام العلماء في أصل الإسلام وتعاليمه. كان حادّ الفهم سريع الخاطـر وقّاد الـذهن، ألمعي الفطنة، يجيد فن الاقناع ويـأسر القلوب بخلابـة بيانـه وفصاحـة لسانـه. وكانت له مقـدرة عجيبة عـلى استيعاب الأمـور وحل المعضـلات[2]. ويقال انـه

(١) عبـدالله عثمان بن بشر. عنـوان المجد في تـاريـخ نجـد. تحقيق عبـدالـرحمن بن عبـد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ. ج ١ ط ٣. بيروت ١٩٧٤. ص ١٩

(٢) راجع كتاب:

N. MOUTRAN - la syrie de demain. Plon. Paris. 1916. P.316

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قصد الحجاز وأدى فريضة الحج في سن الثانية عشرة، كما زار المدينة المنورة واجتمع فيها إلى بعض رجال الفقه والعلم من مختلف المذاهب الإسلامية وتناقش معهم في أمور الدين والدنيا[٣]. ثم عاد إلى بلدة حريملاء التي كان والده يتولى قضاءها ليتعمق في دراسة مبادىء الإسلام وأفكار الإمام أحمد بن حنبل، وتلميذيه الروحيين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية. وفي سن الرابعة عشرة، أي حوالى سنة ١١٣٠ هـ/١٧١٧ م، بدأ رحلة طويلة ومضنية إلى بعض حواضر العلم في الجزيرة العربية وخارجها، سعياً وراء مزيد من العلم وكنوزه فزار الاحساء والزبير والبصرة. ويقال انه زار أيضاً القاهرة ودمشق وبعض المدن الفارسية والهند.

ونظراً للدور الفعّال الذي لعبته هذه الرحلة في تكوينه الفكري والنفسي، فمن الضروري إعطاء صورة واضحة ومتكاملة عنها لمعرفة ألوان الثقافات التي نهل منها، والمصادر التي غذت ثورته على أحوال المسلمين في الدين والدنيا، فأنبتت دعوته الاصلاحية الجريئة في عصر عزّت فيه الجرأة الدينية في معظم بقاع العالم الإسلامي.

رحلاته في سبيل العلم والاستطلاع:

من المعروف عن أئمة العلم[٤] في الإسلام، انهم عشقوا الترحال وملازمة الاسفار في بلاد الله الواسعة سعياً وراء مصادر المعرفة والحقيقة. وقد قلدوا في ذلك الصحابة والتابعين الذين كانوا يسيرون الأيام والليالي ليأخذوا الأحاديث عن رواتها الحقيقيين. وكان على رأسهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك والشافعي، واحمد.

راجع أيضاً المرجع السابق ص ١١٣.

(٣) ان المرء ليعجب مما ذكره المؤرخون حول حجه إلى بيت الله في الثانية عشرة من عمره وزيارته المدينة المنورة ومناقشة علمائها في أمور الدين والدنيا؛ هل كان لديه من الثقافة في ذلك العمر ليتسنى له مناقشة من هم أكبر منه سناً وأعمق ثقافة؟

(٤) نقصد علماء الدين

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اتبع الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذه القاعدة. فزار مكة حاجاً وباحثاً عن العلم والمعرفة، وقصد المدينة المنورة حيث اجتمع ببعض علمائها وأخذ عنهم، وفي طليعتهم الشيخ الفقيه محمد حياة السندي الذي كان يكره التقليد والتعصب للمذاهب، ويقول بأن كل المصائب التي حلت بالمسلمين إنما هي ثمرة هذا التقليد الخبيث، وتلك البدع التي هي أقرب إلى الشرك منها إلى الإسلام. وقد تأثر به الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأثراً قوياً، ويعد لقاؤه معه نقطة تحول هامة في اتجاهاته الفكرية.

ومن الفقهاء الذين تأثر بهم أيضاً، وكان لهم، باع في تكوينه الفكري، الشيخ عبدالله بن ابراهيم من كبار علماء «المجمعة» في سدير، أحد أقاليم نجد. فقد توجه إليه الشيخ محمد ولازمه، وأخذ عنه الكثير من الثقافة والعلم، والتقى معه في أفكاره حول عقيدة التوحيد، والشكوى مما عليه أهل نجد وغيرهم من الشرك وعبادة الأوثان. وهو الذي قدمه إلى الشيخ السندي، وأوصاه به خيراً، ممتدحاً فطنته، ومواهبه الدينية، وتفهمه الصحيح لتعاليم الإسلام[٥].

بعد هذه الرحلة القصيرة عاد الشيخ محمد إلى بلدته العيينة ليتابع الدرس على أبيه ثم جهز نفسه للسفر إلى حواضر العلم في الجزيرة العربية وخارجها، والاتصال بكبار علمائها والاطلاع مباشرة على أحوال المسلمين فيها.

متى بدأت الرحلة؟

لا يذكر لنا مؤرخو حياة الشيخ محمد أي شيء عن التاريخ الذي بدأت فيه رحلاته في طلب العلم، أو المدة التي قضاها في كل مدينة أو بلدة زارها، ولا أشاروا بتفصيل إلى الشيوخ والفقهاء الذين اتصل بهم أو أخذ عنهم، ولا ذكروا شيئاً عن الصعاب والأحداث التي لقيها أثناء هذه الرحلات.

فالشيخ حسين بن غنام المؤرخ الأكبر للشيخ محمد بن عبدالوهاب جمع في

---

(٥) محمد حامد الفقي. أثر الدعوة الوهابية ص ٤٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كتابه «تاريخ نجد» كثيراً من رسائل الشيخ وأجوبته على المسائل التي كانت تطرح عليه أو يسأل عنها، كما ذكر أخبار الغزوات التي حدثت في عهده، لكن «لم يشرح شيئاً» وافياً عن رحلاته، بل اختصرها بقوله: «ان الشيخ رحل إلى الأقطار، فقصد الحجاز والبصرة مراراً، وقصد الاحساء ثم عاد إلى نجد». وفي المدينة المنورة التقى بالشيخ عبدالله بن ابراهيم وتباحث معه في أمور الدين والدنيا. أما اقامته في البصرة فكانت لفترة طويلة لم يحددها المؤرخ درس خلالها النحو واللغة وكثيراً من الحديث، ورفع اعلام التوحيد ونهى في مجالسه عن ذكر شارات الطواغيت أو الصالحين الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، وبيّن للناس ان محبة الصالحين ليست في صرف الحقوق الربانية إلى قبورهم ولكنها في «اتباع هديهم». ويذكر ابن غنام «بان أناساً من مشركي البصرة كانوا يأتون إلى الشيخ بشبهات فيقول لهم: «لا تصلح العبادة إلا لله فيبهتون[٦]».

أما الشيخ عبدالله بن بشر فيقول ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب أقام في المدينة وقرأ على الفقيه النجدي الشيخ عبدالله بن ابراهيم، وعلى المحدث الفقيه الشيخ محمد حياة السندي.

وفي البصرة أخذ عن أحد كبار علمائها الشيخ محمد المجموعي الذي كان يستحسن آراءه في التوحيد وغيره من أمور الدين.

ولكن مشايخ البصرة وبعض علمائها هالهم ما ينكره الشيخ محمد من معتقداتهم وطقوسهم فأوقعوا به أذى شديداً وطردوه من مدينتهم فعزم على زيارة دمشق التي كانت تعج يومئذٍ بالعلماء والفقهاء، لكنه فقد ما كان يحمله من الأموال فألغى الزيارة، وقصد الاحساء حيث نزل عند الشيخ عبدالله بن محمد عبداللطيف الشافعي الاحسائي، ثم رجع إلى بلدة حريملاء:

يقول الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر في تاريخه:

«ولم يتلق الرؤساء الحق بالقول تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام،

---

(٦) راجع منير العجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص١٨٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلما وصلها وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن سيف من رؤساء بلد المجمعة القرية المعروفة في ناحية سدير من نجد، وهو والد ابراهيم مصنِّف (العذب الفايض في علم الفرايض) فأخذ الشيخ عنه. قال الشيخ: كنت عنده يوماً فقال لي:

أتريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة قلت: نعم فأدخلني منزلاً فيه «كتب كثير» فقال هذا الذي أعددناه لها، ثم انه مضى به إلى الشيخ العلّامة محمد حياة السندي المدني فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله فأخذ عنه، وحكي ان الشيخ محمد وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند قبر النبي ﷺ فرآه محمد حياة، فأتى إلى الشيخ وقال ما تقول، قال ان هؤلاء متبرأ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، فأقام في المدينة ما شاء الله ثم خرج منها إلى نجد وتجهز من نجد إلى البصرة يريد الشام، فلما وصل البصرة، جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة، قرية من قرى البصرة، في مدرسة فيها ذكر لي اسمه محمد المجموعي، فأقام مدة يقرأ عليه فيها وينكر أشياء من الشركيات والبدع وأعلن بالانكار واستحسن شيخه قوله وقرر له التوحيد وانتفع به، وأخبرني عثماني ابن منصور الناصري قال: اخبرني رجل من مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي يقرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد وهذا والله أعلم ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم ثم ان الشيخ اجتمع إليه أناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فآذوه أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الظهيرة ولحق شيخه منهم بعض الأذى، فلما خرج من البصرة وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك، وكان يمشي على رجليه حافياً وحده فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له ابو حمدان من أهل الزبير، فرأى عليه الهيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير، ثم انه أراد الوصول إلى الشام فضاعت نفقته فأثنى عزمه عن السير إليه لما أراد الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى ان يمضي أمره ويعلي كلمته ويجمع أهل نجد على امام واحد ويزيل عنها شعائر الكفر والبدع، فخرج من تلك الديار وقصد الاحساء.

فلما وصل إليه نزل على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ثم انه خرج من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاحساء وقصد بلد حريملاء وكان أبوه عبدالوهاب قد انتقل إليها من العيينة في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف. . . »[٧].

هل زار الشيخ دمشق ومصر وايران والهند؟

كانت دمشق زمن الشيخ مركزاً هاماً من مراكز الفقه الحنبلي في العالم الإسلامي. ويقال بأن هذه المدينة كانت عزيزة على قلبه لأنها موطن ابن تيمية وابن القيم والحافظ الذهبي وابن كثير وابن قدامة وغيرهم من الأعلام الذين بدأ يقر لهم ويحبهم ويعجب بهم.

ومن الملاحظ ان المؤرخين والباحثين مختلفون فيما إذا كان الشيخ محمد قد زار دمشق أم لا؟ فابن بشر وابن غنام لا يذكرانها بين البلدان التي زارها، بينما يؤكد أكثر المؤلفين الغربيين بأن الشيخ زار دمشق فعلاً. ومن هؤلاء كورانسيز في كتابه: تاريخ الوهابية، وبريد جس وميشو، والمؤرخ التركي احمد جودت باشا في كتابه «تاريخ جودت»، وخير الدين الزركلي في قاموس الاعلام.

أما بالغريف، فيزعم بان الشيخ أقام في دمشق عدة سنوات وان عقيدة التوحيد نشأت عنده أثناء ملازمته لعلماء الحنابلة هناك. فأحب مثلهم بساطة الإسلام الأولى، وكره النقشبندية والسفسطائية والمتصوفة، وصمم على محاربة البدع التي أدخلها هؤلاء وغيرهم إلى العقيدة الإسلامية.

ويدّعي ندرة المطران في كتابه «سورية الغد» بأن الشيخ محمد زار الهند وأطلع على أحوال المسلمين فيها وكيفية ممارستهم لشعائر الإسلام، وذهب بعضهم إلى القول بأن الشيخ زار أيضاً القدس والقاهرة وبعض المدن الايرانية، كأصفهان والري وقم وهمذان حيث درس الفلسفة وعلم الكلام وبعض العلوم[٨]. لكن أحفاد الشيخ محمد ينفون كل هذه المزاعم نفياً قاطعاً ويقولون

---

(٧) عبدالله بن عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٢٠ ـ ٢١.

(٨) راجع كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب تحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمة. دار الثقافة للنشر ـ بيروت ١٩٧٢، ص ١٩ ـ ٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بـأن رحلته لم تتعـد الاحساء والبصرة والـزبير شرقـاً، ثم مكة المكـرمة والمـدينـة المنورة غرباً[٩].

بعد عودة الشيـخ محمد من رحلتـه الطويلة، وكـان ذلك عـلى الأرجح سنـة ١١٥٠ هـ ـ ١٧٣٧ م[١٠]، استقر به المقام عند والـده في حريمـلاء، وأخذ يشرح للناس معنى التوحيد الذي أتى به الإسلام.

يقول المؤرخ ابن بشر «وكثر منه الانكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقـع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقـع بينه وبـين الناس في البلد، فـأقام عـلى ذلك مدة سنتين حتى تـوفي أبوه عبـدالوهـاب في سنة ثـلاثة وخمسـين ومائـة وألف ثم أعلن بالدعوة والانكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعـه أناس من أهـل البلد[١١]».

أما الكاتب الفرنسي جان ريمون، فقد ذكر في تحقيقه عن الـدعوة بـأن الشيخ سليمان بن علي جـد الشيخ محمـد، كان ينتـظر قيام ثـورة دينية في نجـد بعد ان غرق أهلها بالبدع والخرافات.

وكـان الشيخ عبـدالوهـاب، يعتنق نفس الأفكار التي دعـا إليها ابنـه الشيخ محمـد لكنه كـان كثير الخـوف على نفسـه وولده، ومـا كان يحب أن يعـرف عنه ذلك[١٢].

مؤلفاته:

كـان الشيخ محمـد غزيـر الانتاج الفكـري، واسـع الاطـلاع عـلى المـذاهب

---

(٩) ورد ذلك في رسالة إلى المؤلف من مكتب المرحوم الشيـخ حسن عبدالله آل الشيـخ وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعات في المملكة العربية السعودية سابقاً.

(١٠) المؤرخون مختلفون في ذلـك. البعض قالـوا ان عودتـه كانت سنـة ١١٤٣ هـ، والبعض الآخر رجحوا بان تكون عام ١١٥٠ هـ. فتكون مدة غيـابه عن نجـد حوالى عشرين سنـة. والمعتقد عن هذا التاريخ أقرب إلى الحقيقة.

(١١) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ط ٣ ـ ١٩٧٤ ص ٢١ ـ ٢٢

(١٢) راجع:

J. Raymond. Memoires sur l'origine des Wahabys. P.56

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الصوفية والكلامية والفلسفية وعلوم المسلمين الأخرى. وقد وضع منذ الشروع بدعوته الاصلاحية مؤلفات كثيرة بعضها مجلدات، وبعضها الآخر رسائل. وكان الموضوع الرئيسي لهذه المؤلفات شرح عقائد الإسلام كما وردت في القرآن والسنة وكما فهمها ومارسها الصحابة والتابعون، وبيان البدع والخرافات التي شوهت هذه العقائد وطمست معانيها الصحيحة. ويمتاز أسلوب الشيخ في كتاباته بسهولة العبارة وبعده عن السجع والمحسنات وبايجازه البليغ. أما أشهر مؤلفاته فهي:

١ ـ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو كتاب صغير أورد فيه الخطوط العريضة لتفكيره الديني، وشرح معنى التوحيد، وعدّد الذنوب التي تكفر صاحبها لانها شرك بالله، مثل ممارسة البدع والخرافات والمغالاة بتعظيم الأولياء وغيرها من المسائل..

٢ ـ كتاب الأصول الثلاثة والقواعد الأربعة.

٣ ـ مسائل الجاهلية.

٤ ـ كشف الشبهات.

٥ ـ تفسير الفاتحة.

٦ ـ كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.

٧ ـ كتاب أصول الايمان.

٨ ـ فضل الإسلام.

٩ ـ كتاب الكبائر.

١٠ ـ نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين.

١١ ـ آداب المشي إلى الصلاة.

١٢ ـ مختصر الشرح الكبير والانصاف.

١٣ ـ كتاب السيرة المختصرة (سيرة ابن هشام).

١٤ ـ كتاب السيرة المطولة.

١٥ ـ كتاب مختصر الهدى النبوي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويعتبر كتاب التوحيد من أشهر هذه الكتب وأكثرها رواجاً[١٣].

وللشيخ عدا ذلك تفاسير كثيرة لسور القرآن، ورسائل وخطب ذكرها ابن غنام في تاريخه.

ومن المؤسف حقاً ان تكون أكثر هذه الكتب غير معروفة لدى معظم المسلمين خارج الجزيرة، الذين ما زالوا حتى اليوم يجهلون حقيقة الدعوة الوهابية ومراميها. وربما كان عدم انتشارها من الأسباب الرئيسية لذلك الجهل، مع ان أكثرها مطبوع، خاصة في «مجموعة الحديث النجدية» التي نشرها وقدم لها الشيخ محمد رشيد رضا في مصر.

تلامذته:

أخذ عن الشيخ محمد كثير من العلماء والفقهاء كان أشهرهم: أبناؤه الأربعة:

المشايخ: حسين، وعبدالله، وعلي، وابراهيم.

الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر.

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن الحصين.

الشيخ سعيد بن حجي.

الشيخ محمد بن سويلم.

الشيخ عبدالرحمن بن خميس.

الشيخ عبدالرحمن بن ناجي.

الشيخ محمد بن سلطان العوسجي.

الشيخ عبدالرحمن بن عبدالمحسن أبا الحسين.

الشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان.

الشيخ حمد بن راشد العريني.

الشيخ عبدالعزيز بن سويلم[١٤].

---

(١٣) ابن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ١١٦.

(١٤) المرجع السابق ص ١١٧ ـ ١١٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وسنؤرخ لبعض هؤلاء عندما نتحدث عن علماء الدعوة.

بعض أئمة الشيخ محمد

في الوقت الذي بدأت فيه العقائد القرآنية تتعرض لتساؤلات المشككين وأصحاب المناهج العقلية، وبعد ان امتزجت هذه العقائد بكثير من التأويلات الفلسفية والبدع والخرافات الشعبية، خلال الحقب الزمنية المتعاقبة، وكادت ان تطمس معانيها الحقيقية، انبرى بعض المفكرين المسلمين للدفاع عنها رافضين أي تبديل أو تحوير في تلك المعاني، ومؤكدين الالتزام بالمفاهيم القرآنية الأصيلة التي كان عليها أهل السلف من المسلمين، حرصاً منهم على وحدة العقيدة والفكر والشعور في المجتمع الإسلامي. ويأتي في طليعة هؤلاء المفكرين أحمد بن حنبل، وتقي الدين ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، والحافظ الذهبي وعماد بن كثير، وغيرهم ممن كان لهم أثر عميق في تكوين فكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب وثقافته بعد القرآن والسنة النبوية. وسنعطي لمحة موجزة عن حياة كل منهم وتفكيره لنتبين أثرهم في تفكير مؤسس الدعوة الوهابية واتجاهاته الدينية.

احمد بن حنبل.

هو ابو عبدالله احمد بن محمد بن خليل بن هلال السيباني. ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م، يوم كانت هذه المدينة حاضرة العالم في الثقافة والتمدن، وتعج بأئمة العلم من قراء ومحدثين وفقهاء ومتصوفة وأدباء وفلاسفة وأطباء وفلكيين وغيرهم. اتجه الامام أحمد إلى دراسة علوم الشريعة التي كان لها في العراق منهجان: منهج أهل الرأي والقياس الذين يهتمون باستخراج الفتاوى والأقضية أكثر من رواية الحديث، ومنهج أهل الحديث الذين إذا سئلوا عن قضية بحثوا عن اجابتها في القرآن والسنة فان لم يجدوا توقفوا. وقد اختار ابن حنبل المنهج الثاني، فدرس الحديث أولاً على علماء العراق، ثم رحل إلى البصرة والحجاز واليمن والكوفة والشام للغاية نفسها. وفي الحجاز وبغداد التقى بالامام الشافعي وأخذ عنه، وعندما بلغ الأربعين جلس للحديث والفتوى، فطار صيته في بغداد وغيرها من حواضر العلم والثقافة، وقصده طلاب الفقه والحديث من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سائر نواحي العالم الإسلامي. وقد رُوي عن الامام الشافعي قوله: «خرجت من بغداد وما خلّفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من ابن حنبل».

كان الامام احمد شديد التمسك بأقوال وأفعال الصحابة والتابعين في العقيدة وأفكارهم، ورأى ان إحداث أي شيء لم يكن في عصرهم هو بدعة يجب محاربتها، لأن العقيدة وحي الهي لا يجوز للبشر المساس بها أو تأويلها بأي حال من الأحوال. وقد حمله هذا الموقف على رفض كل بحث خاض به أهل عصره ولم يؤثر عن السلف الصالح، فنهى الناس عن الأخذ بعلم الكلام لأنه مضل للعقل والدين، اذ يشرح العقيدة بوسائل فلسفية لم تكن معروفة عند السلف الصالح من المسلمين. وقال بأن القرآن غير مخلوق التزاماً بموقف أهل السنة، فناقض بذلك قول المعتزلة، ومن ناصرهم من الخلفاء، كالمأمون والمعتصم والواثق، وصمد بشجاعة نادرة ضد كل أنواع التعذيب الجسدي والروحي التي تعرض لها دون أن يحيد قيد أنملة عن رأيه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما كفّر كل من يقول بخلق القرآن[١٥]. وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي المعروف «هنري لاووست» في دائرة المعارف الإسلامية:

«رفض ابن حنبل فكرة خلق القرآن فتعرض لاضطهاد الخليفة المأمون وسجنه. وفي عهد الخليفة المعتصم جلد ثم أطلق سراحه واعتزل. وفي عهد الواثق حاول الظهور من جديد لكنه ما لبث ان توارى. وفي عهد المتوكل، نصير أهل السنة، سمح لأبن حنبل باستئناف دروسه، واختاره ليكون ضمن جماعة من العلماء مهمتهم التصدي لأفكار الجهمية والمعتزلة والرد عليها... ومن الخطأ النظر إليه كجامع أحاديث فقط، بل هو مجتهد مستقل كما وصفه ابن تيمية، وقد دافع ابن حنبل عن العرب ودعا إلى محبتهم لأن الرسول منهم... وكان يدعو إلى الإطاعة والجماعة، وشجب الفتن، والسماح لامام المسلمين بتقرير ما يجب عمله وفقاً للمصلحة والسياسة الشرعية. وقد توسع بذلك فيما بعد ابن تيمية وابن القيم الجوزية»[١٦].

---

(١٥) راجع كتاب عبدالمتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام. ص ١٣٢.
(١٦) راجع كلمة ابن حنبل في دائرة المعارف الإسلامية. الطبعة الفرنسية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبذلك تتمثل الناحية التجديدية عند ابن حنبل في دعوته إلى الاجتهاد في الشرع، وتمسكه بما كان عليه السلف من الشجاعة في قول ما يرونه حقاً. وقد ورث عنه اتباعه هذا التشدد في أحكام العقيدة والدعوة إلى الاجتهاد في أحكام الشريعة. وكانت وفاته سنة ٢٤١ هـ ٨٥٥ م. أشهر مؤلفاته كتاب «المسند» الذي يحوي مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية. ويعد الوهابيون هذا الكتاب أحد مراجعهم الفكرية.

ابن تيمية:

هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي. ولد في حران سنة ٦٦١ هـ ١٢٦٢ م زمن الغزو المغولي والصليبي للمشرق العربي. نشأ في بيئة مشبعة بالعلم والثقافة والتقوى، إذ كان والده وجدّه من سادة الحنابلة في الشام، وقد شملت ثقافته معظم علوم عصره، وأصبح اماماً في التفسير وفروعه، وحجة في الفقه ومذاهبه فلقب بشيخ الإسلام. عاش في فترة مظلمة من تاريخ الإسلام مليئة بالاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. أعلن الثورة ضد كل أنواع البدع التي انسابت إلى عقائد الإسلام وعملت على تخريبها، ودعا إلى الرجوع للطرق القويمة التي انتهجها السلف الصالح وتصدى بشدة للآثار التي أحدثتها الفلسفة وعلم الكلام في الفكر الديني واتجاهاته عند المسلمين.

وامتد نكيره إلى مفاهيم جميع الفرق الكلامية والملل الدينية التي تفرعت من صميم الإسلام بعد وفاة الخليفة الرابع علي بن ابي طالب، فبدّع هذه الفرق واتهم اتباعها بالضلال. وشمل بثورته أيضاً أفكار المتصوفين وما يدعونه من المسالك والكشوفات والأحوال، كالاتحاد والحلول الفناء وغير ذلك، كما استنكر هالة القداسة التي يسيغها المسلمون على الأولياء، وعد الاستغاثة والتوسل بالنبي (ﷺ) وزيارة قبره «شركا» يتنافى مع تعاليم القرآن والسنة[١٧].

وهاجم بعنف أفكار المتحجرين من الفقهاء، وكان يرى فتح باب الاجتهاد

---

(١٧) انظر جولد تسيهر. العقيدة والشريعة في الإسلام. ص ٢٣٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في الفقه لتيسير أمور المسلمين، ويفتي بخلاف المذاهب الأربعة التي وقع اجماعهم عليها[١٨]. وقد جرّت عليه هذه الآراء الجريئة غضب الفقهاء والحكام والمتصوفين وغيرهم، وسجن بسببها.

لقد كان يدفعه إلى اتخاذ مثل هذه المواقف الصارمة اعتقاده بأن القرآن والحديث كما رواه الصحابة والتابعون هما مصدر كل الحقائق الدينية، وبالتالي فان ما أجمع عليه الصحابة في الأمور الدينية لا يمكن ان يرقى إليه الشك أو الخطأ. وتعود مسؤولية افساد إيمان المسلمين بعقائدهم إلى المناهج العقيمة التي سلكها المتكلمون والفلاسفة واللغويون في تفسير القرآن وتآويله مما يخالف الشرح الوحيد الموثوق الذي أثر عن السلف الصالح، والذي يستمد الحق من ينابيع الدين الصافية قبل ان تعكرها الخلافات الكلامية والمشادات الفلسفية بزمن طويل[١٩].

ولهذا السبب جرد ابن تيمية حملة شعواء ضد الفلاسفة وكل من اتبع مناهجهم من المسلمين. ولم يسلم من حملته حتى المنطق الذي اعتبره «عرفاً انسانياً» معرضاً للخطأ كأي منهج من مناهج العقل البشري. وهو بالتالي دون المنهج الثابت الوارد في القرآن والحديث، والذي من واجب المؤمن ان يعتصم به دون سواه.

توفي ابن تيمية في دمشق سنة ١٣٢٧ م، وقد تركت أفكاره بصمات عميقة في الأجيال اللاحقة، خاصة في تفكير الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتجاهاته الدينية. وهو لذلك يجله اجلالاً كبيراً، ويعتبره من الأئمة البارزين الذين دافعوا عن عقيدة الإسلام بطهارتها الأولى دفاعاً مجيداً.

ابن القيّم الجوزية:

هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حزيز الزرعي

---

(١٨) عبدالمتعال الصعيدي. المجددون في الإسلام ص ٢٦٤.
(١٩) ماجد فخري. تاريخ الفلسفة الإسلامية. ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الدمشقي. ولد سنة ٦٩١ هـ توفي سنة ٧٥١ هـ، كان من أشهر تلامذة ابن تيمية وأكثرهم اخلاصاً لأفكاره. كان جريء اللسان واسع المعرفة بأفكار السلف وبمذاهب عصره، تقياً زاهداً. لم يأت بأفكار جديدة غير التي قالها استاذه ابن تيمية. فهو لم يشذ عن شيء من أقواله، حتى ان كتبه كانت في معظمها ترديداً لتلك الأقوال ولكن بألفاظ وتعابير جديدة(٢٠). قاسى كثيراً من ظلم الحكام وادعياء العلم. ويقال انه سجن مع ابن تيمية بسبب آرائه في مسألة الشفاعة والتوسل بالانبياء. من أشهر مؤلفاته: اعلام الموقعين، والطرق الحكيمة. توفي في دمشق عام ٧٥١ هـ ـ ١٣٥٠ م وكان يحظى باحترام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بسبب محاربته البدع والخرافات، وكل ما يشوه تعاليم الإسلام الحقيقية.

---

(٢٠) عبدالمتعال الصعيدي. المجددون في الإسلام. ص ٣٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الرابع

مراحل الدعوة

نستطيع التمييز بين مرحلتين رئيسيتين مرت بهما الدعوة الوهابية: المرحلة الدينية ثم المرحلة السياسية.

المرحلة الدينية:

بعد عودة الشيخ محمد من رحلته الطويلة إلى مراكز العلم في بعض الأصقاع الإسلامية استقر به المقام عند والده في بلدة حريملاء. وكانت أفكار الدعوة قد نضجت في ذهنه واستقرت على أسس متينة، فبدأ يقيم حلقات التدريس لشرحها والتبشير بها واظهار ما عليه الناس من ضلال البدع والخرافات. كان والده أول من بارك أفكاره وأيدها، لكنه أشار عليه بالاعتدال وعدم التعرض لمعتقدات العامة لئلا يصاب بمكروه، ويرمى بالكفر والمروق في الدين. فأذعن الابن واعتزل الناس حتى وفاة والده بعد سنتين أي سنة ١١٥٢ هـ - ١٧٣٨م. ويقول جان ريمون ان عبد الوهاب اقتنع بدعوة ابنه وقبلها، لكنه كان يعتنقها في الخفاء، ولا يجهر بها إلا أمام قلة من الأصحاب الذين يثق باخلاصهم وكتمانهم للسر[1].

---

(١) راجع:

J. Roymond. Mémoires sur l'origine des wahabys. P.5.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعد وفاة والده، وجد الشيخ محمد نفسه طليقاً من كل قيد، فأعلن الدعوة جهاراً، واندفع يبشر بها بحماس بالغ وجرأة مدهشة، فأخذت أخباره تنتشر في جميع انحاء نجد، وبدأ الناس يتحدثون عن الدعوة باهتمام، فأقبلوا إليه ولزموا مجالسه ليستمعوا إلى خطبه ومواعظه، فاقتنع كثيرون منهم بأفكاره، وشرعوا يقرأون عليه علوم التفسير والحديث، فازدادوا به إعجاباً وتوقيراً. وقد جاء في تاريخ ابن غنام، ان الشيخ محمد أخذ يدعو إلى عقيدة التوحيد في حريملاء، «حتى انتظم في سلكه» رجال وعصابة فحول، وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ . . فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وكان رحمه الله، في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض: «في حريملاء والدرعية والرياض ومنفوحة. . فأتى إليه ناس كثير، وانحاز لدعوته جمع غفير» .

كانت الدعوة بحاجة إلى كتاب يوضح مبادئها ليسهل نشرها في الأمصار والأقطار البعيدة. فوضع الشيخ كتاب «التوحيد» الذي أوضح فيه أنواع الشرك، والبدع والضلالات التي يمارسها المسلمون، وحذر منها، ووصفها بأنها طفيليات دخلت إلى الإسلام لتشوه تعاليمه ومعانيه. ثم أخذ يبعث الكتب والرسائل إلى بلدان العارض لنشر عقيدة التوحيد الصحيحة، فوجد فيها من ناصره، خاصة في العيينة والدرعية. وكان أهم من آزر دعوته خلال هذه المرحلة عثمان بن معمّر امير العيينة.

بقي الشيخ في حريملاء حوالى أربعة أعوام، انتقل بعدها إلى «العيينة» بدعوة من أميرها، ومكث فيها حوالى ثمانية أشهر معتزلاً الناس، إلى أن أخذ يجهر بتعاليمه، فلقي بعض التأييد وبعض المقاومة. وعندما اشتد الصراع بين خصوم الدعوة وأنصارها، اضطر الشيخ محمد إلى الرحيل عن هذه البلدة والذهاب إلى الدرعية.

ويصف لنا ندرة المطران، نقلاً عن «بالغراف» حياة الشيخ في العيينة، فيقول: «كانت العيينة يومئذ من أهم مدن نجد. وعلى مقربة منها يقوم ضريح

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

زيد البطل الشهيد الذي يكرمه الشعب ويعتبر ضريحه مقاماً مقدساً، تحمل إليه النذور والهدايا[٢].

كان هذا شيئاً مثيراً لأعصاب المصلح الوهابي، لكنه تحلى بالصبر وسعة الصدر، وظل يعيش في داره حياة عزلة وهدوء، وكانت حكمته وهيبته وفطنته وثقافته، بالاضافة إلى تراثه الواسع، تحيطه بالوقار والاحترام. وكان ابن معمر نفسه يعظمه ويجلّه.

أمضى الشيخ محمد في العيينة قرابة الأربع سنوات حقق خلالها بعض آرائه التي ضمنها كتاب التوحيد، وكتب رسائل كثيرة إلى خصومه يشرح لهم فيها عقيدته، ويبين ضلالهم وجهلهم. وفي أحد الأيام شرع بهدم قبة زيد بن الخطاب، وغيرها من القبب، وقطع الأشجار التي كان العامة يعظمونها وكاد هؤلاء ان يفتكوا به لولا مساعدة رجال ابن معمّر له.

ضجت نجد لهذا الحادث «المروع»، واعتقد أهلها بأن الشيخ ومن عاونه في عملية الهدم والقطع لا بد من ان يصابوا بشر مستطير. فلما انقضت مدة ولم يتحقق شيء من أوهامهم، أقبلوا إلى الشيخ وأكرموه بعد ان آمنوا بأفكاره. وقد اغتنم هذه الفرصة، فدمر كل ما كان في البلاد الخاضعة لابن معمّر من المشاهد والأوثان والقباب، وقطع ما كان فيها من الأشجار المقدسة[٣].

بعد حادثة هدم القباب وقطع الأشجار، تنادى رؤساء القبائل والبلدان الكبرى في نجد للوقوف ضد مخاطر الدعوة «الغريبة» التي اخذت تهدد نفوذهم في مقر دارهم، لان انتصارها معناه أفول سلطانهم، وافلات زمام الأمور من أيديهم، خاصة وان تعاليم الدعوة قد بدأت تنتشر بسرعة بين الأوساط الشعبية.

كان على رأس هؤلاء الناقمين سليمان بن عريعر شيخ بني خالد، أقوى قبائل

---

(٢) هو شقيق الخليفة عمر بن الخطاب.
(٣) عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نجد. وقد أيده فريق كبير من العلماء ذوي النفوذ في نجد الذين تحجرت عقولهم بعد ان امتلأت بالخرافات والبدع، فانطلقوا يقاومون الدعوة وصاحبها ويوغرون صدور مشايخ القبائل حقداً عليها ويسرون لهم بان انتصارها معناه القضاء على نفوذهم، وخروج أبناء عشائرهم عليهم، وان من مصلحتهم ومصلحة نجد كلها ان يبادروا إلى مقاومتها والقضاء عليها قبل استفحال أمرها. فعملوا لدى أمير العيينة لاجبار الشيخ محمد على مغادرة تلك البلدة. فكان لهم ما أرادوا، وانتقل الشيخ إلى الدرعية حيث التقى أميرها محمد بن سعود. وتم الاتفاق بينهما على التعاون في نشر عقيدة التوحيد والجهاد في سبيلها. وسمي هذا الاتفاق باتفاق الدرعية.

المرحلة السياسية:

لم يكن أمر الشيخ مجهولاً في الدرعية، بل كان له فيها الكثير من الأنصار والاتباع ممن ترددوا إلى مجالسه في العيينة، وأخذوا عنه. وكان من بينهما ثنيان ومشاري شقيقا الأمير محمد أمير الدرعية، ونجله الأكبر الأمير عبد العزيز، ثم الشيخ أحمد بن سويلم العريني الذي حل صاحب الدعوة ضيفاً عليه.

اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م:

بعد ان علم أمير الدرعية وشقيقاه بمقدم الشيخ محمد، قاموا بزيارته في منزل العريني إكراماً لشأنه وتعظيماً لقدره. وقد بادره الأمير محمد حين دخوله بالسلام وقال له: يا شيخ محمد أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمتعة، فأجابه الشيخ محمد: «وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم». ثم استطرد الشيخ قائلاً: أنت ترى بلاد نجد من أقصاها إلى أقصاها وقد انغمست في الوثنية وغرقت في الضلال والشرك، وعميت بصائرها عن طريق الحق والهدى. وقد استباحوا المحرمات وعادوا إلى حياة الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب وأحقر الحوادث، وأرجو أن يمحو الله على يديك الكريمتين سطور الضلال من القلوب، وان شاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله ستكـون امامـاً يجتمع المسلمـون عـلى ذريتـك من بعـدك، جعلك الله منـار هداه.

وبعد برهة من التفكير أجابه الأمير محمد: «يا شيخ ان هذا دين الله ورسوله، الـذي لا شك فيـه. وأبشر بـالنصرة لـك ولمـا أمـرت بـه، والجهـاد لمن خـالف التوحيد». وبعد ذلك بسط الأمير يده وبايع الشيخ محمد على دين الله ورسوله، والجهـاد في سبيل نشر تعـاليم الإسلام الحقيقيـة، والأمر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر. وهكذا تم الاتفـاق بين الشيـخ والأمير عـلى العمل معـاً من أجـل نشر عقيدة التوحيد ونصرتها[٤].

أهمية اتفاق الدرعية:

ترتب على اتفاق الدرعية نتائج دينية وسياسية خـطيرة. فعلى الصعيـد الديني أحـدث وجـود الشيـخ محمـد في الـدرعيـة انقـلابـاً جـذريـاً في حيـاة سكـانها ومعتقـداتهم، فأصبحت هـذه البلدة المركـز الـرئيسي للدعـوة، واستبـدل نـظام الحكم العشائري فيهـا بحكم اسلامي يستمـد شرائعه من تعـاليم القرآن وسنـة الـرسول. وأبـطلت الضريبة التي كـان يدفعهـا السكان لـلأمـير وحلت الـزكـاة مكانها. وساد الأمن والاستقـرار بدلاً من الفـوضى، ونشطت حـركة التعليم في البلدة نشاطاً عظيماً، فكان الشيخ محمد يتولى التـدريس، ويشرف شخصياً عـلى المدرسين، ويحارب الأمية، ويلزم كل فرد من اتباعه بتعلم القراءة والكتابـة مهما كان سنه أو علت منزلته، ويحمل الناس على تنفيذ أوامـر الدين ونـواهيه بـدقة. كـما حل الجهـاد في سبيل الله مكـان الغارات والغـزوات العشائـريـة المـدمـرة. واقتلعت من أذهـان الناس وعـواطفهم عادات وتقـاليد وثنيـة مزمنـة، وغرست مكانها المعتقدات الإسلامية الصحيحة بنقاوتها وطهارتها الأولى[٥]. وقد أصبحت هـذه البلدة تحـاكي المجتمـع الإسـلامي الأول الـــذي بنـاه النبي محمـــد (ﷺ) وصحابته في المدينة بعد هجرتهم اليها.

---

(٤) المرجع السابق ص ٢٤.
(٥) محمد حامد الفقي. أثر الدعوة الوهابية. ص ٦ ـ ٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

توفي الشيخ محمد عام ١٢٠٦ هـ/ ١٧٩٢ م عن عمر يناهز التسعين، فانتقلت السلطتان الدينية والدنيوية بعده إلى أيدي الأمراء السعوديين[٦].

الوهابيون يحتلون الخليج:

تمكن الوهابيون في أواخر القرن الثامن عشر من تكوين جيش قوي من الأنصار والمتحمسين بقيادة الأمير عبدالعزيز وساروا به نحو سواحل الخليج العربي، فاحتلوا الاحساء عام ١٧٩٣ ثم الكويت والبحرين وبعض المناطق الأخرى سنة ١٨٠٣. وفي هذا العام أغتيل الأمير عبدالعزيز وخلفه ابنه الأمير سعود. وفي العام التالي حاول سلطان مسقط بايحاء ودعم من الانكليز طرد الوهابيين من السواحل الشرقية للجزيرة، لكنهم وجهوا إلى الأسطول الانكليزي ضربة قاصمة وأغرقوه في مياه الخليج. وقد ترك هذا الحادث قلقاً شديداً في أوساط شركة الهند الشرقية لخوفها من وقوع طرق تجارتها مع الغرب بأيدي الوهابيين، فجهزت في عام ١٨٠٦ حملة بحرية وحاصرت «الساحل الوهابي» وأجبرت الوهابيين على الارتداد إلى الساحل الغربي من الخليج الذي بقي في حوزتهم بكامله[٧].

السيطرة على الحجاز:

في الوقت الذي كانت فيه المعارك تدور على الشواطىء الشرقية من الجزيرة، كان الوهابيون يخوضون معارك مظفرة في نواحيها الغربية للسيطرة على الحجاز. وقد استطاعوا بفضل تنظيمهم الدقيق وحماسهم الملتهب، ان يدخلوا مكة عام ١٨٠٢، ويبسطوا سيطرتهم على الطائف وعسير وكافة القبائل الحجازية تقريباً. وفي العام التالي احتلوا المدينة المنورة وهدموا المشاهد الوثنية فيها، وأصبحت دولتهم تمتد من سواحل الخليج العربي شرقاً حتى سواحل البحر الأحمر غرباً شاملة تحت سلطانها معظم مناطق الجزيرة العربية.

---

(٦) لوتسكي تاريخ الأقطار العربية الحديث ص ٩٧.
(٧) المرجع السابق، ص ٩٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاتجاه نحو سوريا والعراق:

بعد هذا الانتصار الساحق للوهابيين، اتجهت أنظارهم نحو سوريا والعراق لتحريرهما من النير التركي وضمهما إلى دولتهم الجديدة. وبعد غارات متعددة على كربلاء (نيسان/ ابريل، ١٨٠١) والبصرة (١٨٠٣)، نظموا حملة عسكرية كبيرة على بغداد (١٨٠٨) قوامها ٤٥ ألف رجل، وظهروا في البطاح الواسعة بين معان وحلب وحوران. وبالرغم من تنظيمهم الدقيق واندفاعهم بحمية الجهاد المقدس، فقد فشلوا في احراز نصر حاسم على القوات التركية، وارتدوا إلى أطراف الصحراء من جديد.

أدى اتفاق الدرعية على الصعيد السياسي إلى تغييرات جذرية في الخريطة السياسية للجزيرة العربية، وفي استراتيجية الأمبراطورية العثمانية في المشرق العربي. من أبرز هذه التغييرات، قيام ما يسمى تاريخياً «بالدولة السعودية الأولى المستقلة» في امارة الدرعية، ثم توحيد معظم مناطق شبه الجزيرة العربية بقيادة الأمير محمد بن سعود وخلفه الأمير عبدالعزيز ووضعها تحت النفوذ الوهابي وامتد هذا النفوذ إلى تخوم المدن والقرى السورية والفلسطينية والعراقية.

أحدثت هذه الانتصارات العسكرية الكاسحة هزة عنيفة في الأوساط السياسية والعسكرية العثمانية خاصة بعد استيلاء الوهابيين على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة وما يمثله هذا الاستيلاء من تحد لمركزهم الديني والعسكري والسياسي في العالم الإسلامي والأوساط الدولية الأخرى. ولم يكن أمام العثمانيين سوى القوة لاسترجاع هيبتهم المهدورة، فأمروا واليهم في بغداد بشن هجوم كاسح ضد الوهابيين لردهم إلى داخل الصحراء لكنه فشل. وحاول والي دمشق تنفيذ المهمة، فخانه الحظ هو أيضاً. عند ذلك طلب السلطان محمود الثاني من محمد علي والي مصر القيام بالمهمة بسرعة وقبل فوات الأوان.

القوات المصرية تقاتل الوهابيين:

في هذه الأثناء كان محمد علي قد عزز سلطته في مصر وبدأت أحلامه في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تكوين أمبراطورية عربية تحت سلطانه تتصادم مع أهداف الوهابيين لطرد الأتراك من البلاد العربية وتوحيدها تحت راية الإسلام النقي[٨]. وعندما طلب إليه تجهيز حملة عسكرية قوية لمقاتلة الوهابيين وجدها فرصة مناسبة لاحتلال أقطار المشرق العربي تحت غطاء شرعي.

نزلت طلائع الحملة المصرية الأولى في ميناء ينبع على الساحل الشرقي من البحر الأحمر في أيلول ١٨١١ وكان تعدادها ما بين ٨ و١٠ آلاف جندي بقيادة طوسون بك ابن محمد علي ومستشار أحمد آغا.

اتخذ المصريون من ينبع منطلقاً لعملياتهم الحربية داخل الصحراء. وفي كانون الثاني (يناير) ١٨١٢ حاولوا التقدم نحو المدينة النبوية لاحتلالها، فصدهم الوهابيون بعنف وقتلوا منهم حوالى خمسة آلاف جندي وأجبروا الباقين على التقهقر نحو شواطىء البحر الأحمر ولكن المصريين أعادوا تنظيم قواتهم بعد النجدات السريعة التي وصلتهم من مصر، وهاجموا المدينة من جديد فاحتلوها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨١٢ بعد قتال شديد هلك منهم خلاله خلق كثير.

وفي أوائل ١٨١٣ استولوا على مكة وجدة والطائف، وأصبح الحجاز كله تقريباً تحت سيطرتهم. ولم تؤثر هذه المعارك كثيراً في قوة الوهابيين التي كانت تعد عشرات الألوف من الأنصار المتحمسين، لكن محمد علي شعر بصعوبة الموقف وخطورته من الناحية العسكرية بعد ان بدأت الأمراض والأوبئة تتفشى بين قواته وتفتك بهم. فقرر ان يقود بنفسه حملة عسكرية كبيرة تنهي أسطورة الوهابيين وتدك أركانهم العصية. وفي سبتمبر (أيلول) ١٨١٣ حط رحاله في جدة على رأس قوة كبيرة من الجنود والضباط المدربين على أفضل الأساليب القتالية والمزودين بأحدث الأسلحة والذخائر، وزحف بهم نحو جنوب الحجاز وعسير وأنزل هزيمة ساحقة بجيش الوهابيين المتواجد هناك بقيادة الأمير فيصل والذي كان مؤلفاً من ٣٠ ألف مقاتل (٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٨١٥). وفي نفس الوقت كان طوسون ابن محمد علي يخوض حرباً ضروساً ضد القوات

---

(٨) المرجع السابق، ص ٩٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الوهابية في الشمال منزلاً بها خسائر فادحة (ربيع ١٨١٥) ومجبراً قائدها الأمير عبدالله على عقد معاهدة صلح تركت بموجبها نجد والقصيم في أيدي الوهابيين، بينما دخلت الحجاز تحت الادارة المصرية، وعاد محمد علي وابنه طوسون إلى بلدهما بعد ان تركا حاميات من الجيش المصري في مدن الحجاز الرئيسية(٩).

ابراهيم باشا يقضي على الدولة الوهابية الأولى:

بعد عام واحد من توقيع معاهدة الصلح بين الطرفين أعاد الوهابيون تنظيم صفوفهم من جديد، لكن ابراهيم باشا، الابن الأكبر لمحمد علي، انقض عليهم بحملة كبيرة ولاحقهم في أعماق الصحراء وشتت صفوفهم. وقد دمر جنوده الآبار وقطعوا النخيل وأحرقوا البيوت وحولوا الواحات المزدهرة إلى صحار جرداء. وفي عام ١٨١٧ استولى على الرس وبريدة وعنيزة ثم زحف إلى شقراء في نجد واحتلها. وفي ٦ أبريل (نيسان) ١٨١٨ بدأ حصاراً شديداً حول الدرعية عاصمة الوهابيين استمر خمسة أشهر سقطت بعدها بين يديه في ١٥ سبتمبر ايلول ١٨١٨، فأعمل فيها تدميراً وحرقاً وحولها إلى أنقاض واهية، وهرب من تبقى من السكان والأطفال إلى جبال الجزيرة وصحاريها طلباً للنجدة، وأسر قائدها الأمير عبدالله وأرسله إلى القاهرة ثم إلى استنبول حيث قطع رأسه في نهاية عام ١٨١٨. ومع سقوط الدرعية سقطت حصون الدولة الوهابية الأولى وبدأت مرحلة جديدة من الكفاح الوهابي العنيد.

الدولة الوهابية الثانية

بعد هذا النصر الذي حققه ابراهيم باشا، عاد إلى بلاده مع قسم من جيشه للتحضير لمغامرة عسكرية جديدة في سوريا والجزر اليونانية تاركاً وراءه الفوضى والخراب والجوع في كل ناحية من نواحي الجزيرة العربية. وما ان حل عام ١٨٢٠ حتى أعاد الوهابيون تنظيم صفوفهم بسرعة وهاجموا الدرعية في محاولة

---

(٩) نفس المرجع، ص ١٠٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لطرد المصريين منها لكنهم فشلوا. وفي العالم التالي قاموا بانتفاضة جديدة بقيادة الأمير تركي فاستعادوا الدرعية وطردوا العميل المصري منها. ونظراً للخراب الذي حل بهذه المدينة نقل الوهابيون عاصمتهم إلى مدينة الرياض المحصنة تحصيناً جيداً، ثم بدأوا بمهاجمة المصريين في شتى أنحاء نجد، وأضطروهم إلى الجلاء عن مناطق كثيرة فيها. وما ان حل عام ١٨٣٠ حتى كانت نجد كلها تقريبا تحت سيطرتهم.

لجأ محمد علي إلى وسيلة جديدة لاضعاف شوكة الوهابيين تعتمد على بث الفرقة والشقاق فيما بينهم لضربهم من الداخل. لكن هذه الخطة فشلت بدورها، واستعاد الأمير فيصل بن تركي السلطة من قاتل أبيه الأمير مشاري بن عبدالرحمن في عام ١٨٣٤ بعد ان احتل الرياض وتابع مقارعة المصريين وأعوانهم. لكن محمد علي لم ييأس، وبدا له ان حلمه في إقامة امبراطورية عربية بقيادته أصبح أمراً قريب المنال بعد استيلاء جيوشه على السودان وفلسطين وسوريا وجزء من الجزيرة العربية، وتهديده حتى العرش العثماني نفسه في استنبول. وفي عام ١٢٥١ هـ/١٨٣٦ م أرسل إلى الجزيرة حملة عسكرية جديدة بقيادة اسماعيل آغا فاحتلت الرياض والاحساء وقطيف ووصلت إلى مشارف البحرين، لكن امام الوهابيين فيصل بن تركي لاحق القوات المصرية وأجبرها على التقهقر إلى الرياض وشدد الحصار عليها. وأمام هذا الوضع المتدهور حاول المصريون توقيع معاهدة صلح مع الامام فيصل لرفع هذا الحصار. إلا انه رفض ذلك ما دام المصريون لا يعترفون باستقلال وسيادة الدولة الوهابية في نجد.

كان جواب المصريين على هذا التشدد، تجهيز حملة جديدة بقيادة خورشيد باشا في عام ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨ م لقتال الوهابيين. وقد استطاع المصريون رغم دفاع خصمهم العنيد احتلال نجد مرة ثانية والقاء القبض على الامام فيصل وارساله إلى مصر اسيراً، وتنصيب الأمير خالد بن سعود الموالي لهم مكانه.

كان الانكليز يتابعون معارك الجزيرة عن كثب. وعندما رأوا جنود محمد علي يقتربون من سواحل الخليج العربي، دب الذعر في أوساطهم خوفاً على مصير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مصالحهم الاقتصادية المنتعشة في الشرق الأقصى (شركة الهند الشرقية وطرقها التجارية). فتوترت علاقاتهم مع محمد علي واقنعوا بعض الدول الأوروبية بوجهة نظرهم. وفي صيف عام ١٨٤٠ عقد مؤتمر في لندن ضم ممثلون عن انكلترا والنمسا وروسيا وتركيا، لبحث الموقف المتدهور في هذه المنطقة الحساسة من العالم. وفي نهاية المؤتمر صدر بيان يطالب محمد علي باعادة جميع الممتلكات التي احتلتها جيوشه إلى السلطان العثماني، مع بقائه والياً وراثياً على مصر في ظل السيادة العثمانية على ان تنفذ هذه المطالب خلال عشرة أيام. ولكن محمد علي رفض هذه المطالب فنشبت الحرب بينه وبين الدول الموقعة على المعاهدة، واضطر آخر الأمر إلى الانسحاب من السودان وفلسطين وبلاد الشام والاحتفاظ بمصر. ومن الجدير بالذكر ان حرب الوهابيين كلفت الخزينة المصرية أموالاً طائلة أوقعتها في عجز كبير عانى منه الشعب المصري سياسياً واقتصادياً على مدى سنوات طويلة.

تجزأت الجزيرة العربية بعد ان غادرها المصريون إلى أقاليم متعددة تابعة اسمياً للسيادة التركية. وعندما استأنف الوهابيون نشاطهم بقيادة الامام فيصل بن تركي الذي عاد من المنفى عام **١٢٥٩** هـ ١٨٤٣ م، وجدوا صعوبات كبيرة في إعادة توحيد مناطق الجزيرة تحت سلطتهم كما كانت من قبل. وعلى الرغم من ذلك استطاع الامام فيصل بعث الدولة الوهابية من جديد في فترة قصيرة نسبياً (٢٢ سنة) بفضل محبة الناس له لما وفره لهم من العدالة والأمن. وقد عقب الكولونيل «بيلي» المعتمد الانكليزي في الخليج العربي على حكم الامام فيصل قائلاً: «ان جميع الأطراف تعترف بان الأمير فيصل هو حاكم شديد العدل لم يسبق له مثيل في النجاح فهو يكبح جماح قبائله، كما يود ان يزرع بينهم عادات المتحضرين وان يوجه أفكارهم نحو الزراعة والتجارة[١٠]».

أدت وفاة الأمير فيصل سنة ١٢٨٢ هـ/١٨٦٥ م. إلى قيام تنافس على خلافته بين ولديه عبدالله وسعود. ونتج عن هذا التنافس تجزئة البلاد بينهما وبين

---

(١٠) نقلاً عن كتاب أحمد عسّه. معجزة فوق الرمال. ص ٤٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خصومهما آل الرشيد، اعوان الأتراك الذين استقلوا بشمال نجد. وظل الخلاف بين الفريقين على أشده حتى قام الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود بهجوم مفاجىء على مدينة الرياض واستولى عليها سنة ١٣١٩ هـ/١٩٠١ م. وبه بدأ الدور الثالث أو دور النهضة في الدولة السعودية الوهابية. وقد اخضع بعد ذلك القسم الجنوبي من نجد ثم استولى على القصيم سنة ١٩٠٦ م. وأجبر الأتراك على الانسحاب منه، وفي سنة ١٣٣٠ هـ/١٩١١ م أخضع إقليم الاحساء، وأضعف بذلك نفوذ آل الرشيد، ثم قضى عليه نهائياً، وتفرغ لبعض المسائل الداخلية وخاصة قضية الشريف حسين، شريف مكة الذي كان يؤيده الأتراك، ثم الخلاف بين أبناء عمه عبدالله وسعود في الجنوب. لكنه خرج في النهاية منتصراً على الجميع. وفي ٨ كانون الثاني ١٩٢٦ م. نودى به ملكاً على الحجاز، وانتهت بذلك الدولة الحجازية التي أنشأها الشريف حسين بمساعدة الأتراك، وبدأت المملكة العربية السعودية تتكامل منذ ذلك الحين.

بعد اخضاع قلب الجزيرة العربية انصرف الأمير عبدالعزيز إلى تنظيم شؤون البلاد التي انضوت تحت سلطانه، وصار يعرف باسم «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها». وفي ٢١ جمادي الأول ١٣٥١ هـ ٢٢ أيلول سنة ١٩٣٢ م أطلق على دولته تسميتها الحالية «المملكة العربية السعودية».

لقد اشتهر الملك عبدالعزيز برجاحة العقل واتزان الرأي، وبعد النظر. فهو الذي استعاد لأسرته سلطانها السابق، وقضى على نفوذ الأتراك في الجزيرة، ووحد بين أجزائها وأقنع رجال الدين، الذين يماشيهم عقيدة وإيماناً، بادخال وسائل الحضارة التي كانوا يجهلونها ويحاربونها، والسماح لها بالتغلغل في أعماق الجزيرة، مسايرة لروح العصر. ثم استقدم الخبراء الذين اكتشفوا البترول، وبمردوده زرع الأرض، وشق الطرق وحاول تحضير البادية ونشر العلم، وحارب الاتكالية والنزعات المتزمتة التي عارضت ادخال المدنية الحديثة إلى أرض الجزيرة وبذلك دعي عصره بعصر النهضة والاستقرار.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الخامس

بعض علماء الدعوة

بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود ظن أعداء الدعوة في داخل الجزيرة وخارجها بانها ستموت بموتهما. لكن أبناء الشيخ والأمير وأحفادهما استطاعوا ان يحفظوا مبادءها ويقاتلوا من أجلها حتى أنشأوا دولة مستقلة في صحراء العرب تدين بتعاليمها، وحققوا القول المأثور: «الإسلام دين ودولة».

كان من بين الذين ساهموا في بث الدعوة ونشرها أبناء الشيخ محمد الأربعة: الشيخ عبدالله والشيخ حسين والشيخ علي والشيخ ابراهيم ثم حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن والمشايخ: حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، عبدالعزيز بن عبدالله الحسين، وعبدالرحمن بن خميس الفردي، وعبدالرحمن بن نامي، وعبدالعزيز بن سويلم وحمد بن راشد العريني، ومحمد بن سلطان العوسجي. وقد أخذ معظم هؤلاء عن الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب، وتولى أكثرهم مناصب القضاء والافتاء والتدريس في نجد. وسنؤرخ في الصفحات التالية لعدد منهم[1].

---

(١) من أراد المزيد عن هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب «علماء الدعوة» من تأليف الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ. مطبعة المدني. القاهرة ـ ١٩٦٦. وكتابه: مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١ ـ الشيخ عبدالله بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب:

بعد وفاة مؤسس الدعوة أصبح ابنه الشيخ عبدالله عالم نجد ومفتيها. فآزر الامام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في بث الدعوة والدفاع عنها وقاتل معه في سبيلها.

ولد الشيخ عبدالله في الدرعية سنة ١١٦٥ هـ ١٧٥١ م. ونشأ فيها نشأة دينية في كنف والديه. وبعد ان حفظ القرآن، شرع في القراءة على أبيه، فثقفه في المذاهب الإسلامية، وبرع في علمي الأصول والفروع، وكان عالماً مبرزاً في علوم التفسير والعقائد وأصول الدين، وبالحديث ومعانيه، والفقه وأصوله، وبعلم النحو واللغة. كرس حياته لتحصيل العلم وتدريسه، ولتفسير مبادىء الدعوة ونشرها. أخذ عنه جمع غفير من كبار علماء نجد وعلى رأسهم أبناؤه الثلاثة: الشيخ سليمان، والشيخ عبدالرحمن، والشيخ علي. وكان إلى جانب ذلك مرجعاً لقضاة المذهب الحنبلي في عهد الامام عبدالعزيز بن سعود، وابنه سعود. كتب مؤلفات كثيرة، أشهرها: «جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية»، ومختصر السيرة النبوية في مجلد ضخم، ثم الكلمات النافعة في الكفرات الواقعة، كما وضع رسائل وفتاوى كثيرة طبعت متفرقة في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

ومن المعروف عن الشيخ عبدالله وأبنائه انهم دافعوا دفاعاً عنيداً عن الدرعية زمن الغزو المصري، فقتل ولداه سليمان وعلي، واعتقله ابراهيم باشا بعدما استولى على المدينة المذكورة وأرسله إلى مصر مع ولده عبدالرحمن حيث توفي فيها سنة ١٢٤٢ هـ/١٨٢٦ م.

٢ ـ الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله:

ولد الشيخ سليمان سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م في بلدة الدرعية التي كانت يومئذ تعج بكبار العلماء المقيمين والوافدين، من تلامذة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. نشأ الشيخ سليمان في هذا الوسط الزاخر بالعلم والتقوى، فحفظ القرآن ثم أقبل على طلب العلم. قرأ على أبيه الشيخ عبدالله، وعلى المشايخ، حمد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بن ناصر بن عثمان بن معمر، وعبدالله بن فاضل من علماء الدرعية. أصبحت له معرفة واسعة بالحديث ورجاله، حسنه وضعيفه، وبالتفسير والفقه، والأصول والنحو. فأخذ عنه خلق كثير من أبناء نجد، وعينه الامام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود قاضياً من قضاة مكة.

ألف الشيخ سليمان عدداً من الأبحاث تدل على رسوخه وتضلعه في العلوم الدينية والإسلامية، منها: شرحه لكتاب التوحيد الذي وضعه جده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وعنوانه: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد». وكتاب الدلائل في عدم موالاة أهل الشرك، وحاشية على المقنع في الفقه، لموفق الدين محمد بن عبدالله بن قدامى المقدسي، وتقع في ثلاثة مجلدات ضخمة. ثم كتاب (توضيح توحيد الخلاق في أحوال أهل العراق)، رد فيه على سليمان باشا والي بغداد وأحد ألد أعداء الدعوة في ذلك الوقت. وله غير ذلك رسائل كثيرة نجدها في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

توفي سنة **١٢٣٣** هـ ـ ١٨١٧ م وهو في الثالثة والثلاثين من العمر وذلك خلال حملة ابراهيم باشا على الدرعية.

٣ ـ الشيخ عبدالرحمن بن حسن:

وهو أحد أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن كبار علماء الدعوة. ولد في الدرعية سنة ١١٩٣ هـ ـ ١٧٧٩ م، وبعد ان حفظ القرآن، قرأ كتاب التوحيد على جده الشيخ محمد، كما حضر عليه قراءات كثيرة في كتب التفسير والحديث والأحكام. كان في الثالثة عشرة من عمره عندما توفي جده الشيخ محمد، فلازم علماء الدرعية، وقرأ على الشيخ محمد بن ناصر بن معمر كتاب «المقنع في فقه الامام أحمد بن حنبل»، وعلى الشيخ عبدالله بن فاضل، وعلى عمه علامة نجد في زمانه الشيخ عبدالله بن شيخ الإسلام، وأخذ النحو عن العلامة الشيخ حسين بن غنام صاحب التاريخ المشهور.

بعد هذه القراءات انصرف إلى التدريس، ثم ولي قضاء الدرعية واستمر في هاتين الوظيفتين حتى الغزو المصري للجزيرة، فاعتقله ابراهيم باشا ونقله إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مصر مع عائلته. وهناك تردد إلى الأزهر وقرأ على بعض علمائه. وعندما استعاد الامام تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود نجدا من الغزاة سنة ١٢٤٠ هـ ـ ١٨٢٤ م، رجع الشيخ عبدالرحمن إلى موطنه وآزر الامام تركي في إعادة تنظيم أمور البلاد واصلاح ما أفسدته العساكر التركية والمصرية، واحياء الروح الدينية والمعنوية بين أفراد الشعب، والقاء الدروس في التوحيد، والتصدي لمعتنقي البدع والخرافات، والمخالفين لمبادىء الدعوة وتعاليمها.

توفي سنة **١٢٥٩ هـ ـ** ١٨٦٨ م. من أشهر مؤلفاته: «فتح المجيد» وهو شرح لكتاب التوحيد الذي وضعه جده الشيخ محمد بن الوهاب. وكتاب «بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالحميد»، ثم حاشية وتعليق على كتاب التوحيد سماها ابنه العلامة الشيخ عبداللطيف «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، ثم كتاب «الايمان والرد على البدع» المنشور في الرسائل والمسائل النجدية.

٤ ـ الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن:

هو العلاّمة الأوحد الكبير، علامة المصقول والمنقول، هاوي علمي الفروع والأصول، كما وصفه علامة العراق الشيخ محمد شكري الألوسي.

ولد الشيخ عبداللطيف في مدينة الدرعية سنة ١٢٢٠هـ ـ **١٨٠٥ م**، وبعد استيلاء ابراهيم باشا على هذه المدينة سنة (١٨١٨ م) نقل مع والده الشيخ عبدالرحمن إلى مصر، فنشأ فيها، ودرس برواق الحنابلة بالأزهر على علماء نجديين ومصريين. وبقي هناك حوالى واحد وثلاثين عاماً ثم عاد إلى بلاده. ونظراً لغزارة علمه وسعة اطلاعه، أرسله الامام فيصل بن تركي إلى الاحساء لنشر دعوة «التوحيد»، ومناظرة علمائها من الاشاعرة في أصول العقائد ومسائل التأويل. وقد اذعنوا لحججه، وأيدوا أفكاره في التوحيد، والتزموا طريقة السلف في فهم العقائد. ساهم مع والده والامام فيصل بن تركي في احياء معالم الدعوة الوهابية وتجديد ما أندثر منها، ثم انصرف إلى التدريس. وكان أشهر من أخذ عنه ابنه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والعلامة الشيخ سليمان بن سحمان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وضع ردوداً كثيرة على أعداء الدعوة منها: «تأسيس التقديس في الرد على داود أبن جرجيس»، وكتاب «دلائل الرسوخ في الرد على العاني العراقي»، وكتاب «مصباح الظلام». ثم كتابي (البراهين الإسلامية) و(تحفة الطالب والجليس)، وهما مخطوطتان غير مطبوعتين. تعرف ذريته حالياً بآل الشيخ. وأشهر أحفاده من المعاصرين علامة نجد الشيخ محمد بن ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف. توفي سنة ١٢٩٣ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٥ ـ الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ:

هو العلامة الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن بن حسين بن علي بن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

ولد في الرياض سنة ١٢٨٧ هـ ـ ١٨٧٠ م. وتربى في أحضان والده الشيخ حسن. حفظ القرآن غيباً وهو في العاشرة. ثم شرع في القراءة وطلب العلم. أشهر من أخذ عنهم: والده الشيخ حسن، والعلامة الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف. قرأ علم النحو على الشيخ محمد بن فارس، وعلم الفرائض على الشيخ عبدالله بن راشد بن جلمود العنزي، والفقه على الشيخ سعد بن محمد بن عتيق.

عين سنة **١٣٢٣** هـ اماماً لمسجد عبد الرحمن بن فيصل المشهور بمسجد الديوانة في الرياض، وبقي فيه حتى سنة ١٢٣٧ هـ حيث اختاره الملك عبدالعزيز، مع بعض علماء نجد للذهاب إلى هجر لتعليم رؤساء العشائر والبوادي المعروفين بالاخوان، مبادىء الإسلام، وتحذيرهم من الغلو في الدين. وقد نجح في مهمته نجاحاً عظيماً وأصبح موضع احترام هؤلاء الأخوان واجلالهم.

بعد ذلك عينه الملك عبدالعزيز قاضياً لجيشه، وصحبه في معارك كثيرة، وحضر معه فتح مدينة حائل سنة ١٣٤٠ هـ ـ **١٩٢١** م، ثم انتدبه لمرافقة ابنه الأمير فيصل في حملته ضد المتمردين في عسير. وعندما استولى الملك عبدالعزيز على مكة المكرمة، عينه اماماً وخطيباً للمسجد الحرام، واستمر في هذا المنصب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حتى ولي رئاسة القضاء بالحجاز (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧م) ومشرفاً على الحرمين والمدرسين فيها، وعلى بعثات المرشدين والوعاظ في القرى والبوادي، إلى غير ذلك من الوظائف التي اشتهر فيها بالعدل والنزاهة والاستقامة.

وعمل إلى جانب ذلك بنشر العلم وتدريسه في الرياض والحجاز. أخذ عنه كثير من العلماء، منهم في نجد: شقيقه العلامة الشيخ عمر بن الشيخ حسن، والمشايخ: محمد بن عثمان الشاوي وفالح بن عثمان الصغير، وعبدالرحمن بن داود، وعبدالرحمن بن عقلا، وعبدالعزيز بن سوداء، وعلي بن زيد، وابراهيم بن حسين.

أما في الحجاز فقد اخذ عنه أبناؤه المشايخ: عبدالعزيز ومحمد وحسن ـ الوزير السابق للتعليم العالي في المملكة العربية السعودية، والمشايخ: محمد عبد الظاهر أبا السمح، إمام الحرم الملكي الذي قرأ عليه في التوحيد وأصول الدين والعقائد. ثم محمود شويل، وسليمان أباظة الأزهري، وعلي بن محمد الهندي وغيرهم.

لقد كان الشيخ عبدالله بن حسن آخر البقية الباقية من علماء الدعوة الوهابية، وظلت داره المشهورة «بالداوودية» مقصداً لرواد العلم وطلاب المعرفة حتى وفاته في الرابع من شهر رجب عام ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.

٦ ـ الشيخ محمد بن ناصر بن معمر:

هو الامام العلامة المحقق الشيخ محمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي. استوطن الدرعية وقرأ فيها على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، والشيخ حسين بن غنام، والشيخ سليمان بن عبدالوهاب. اشتغل في التدريس ونشر أفكار الدعوة. درس عليه بعض العلماء المشهورين وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين، والشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهما. كان متبحراً في علم التوحيد، وله رسائل متعددة حول قضايا العقيدة نشرت في كتاب «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية. وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. توفي بمكة سنة ١٢٢٠ هـ ـ ١٨١٠ م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٧ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابو بطين:

ولد هذا العالم الفقيه في بلدة الروضة من بلدان سدير، سنة ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م. ونشأ فيها وقرأ على علمائها. برع في الفقه، ثم رحل إلى شقراء، عاصمة الوشم في نجد واستوطنها. عين قاضياً على الطائف ثم على قضاء القصيم، فأثبت عدالة وعفة في الأحكام. توافد إليه كثير من الناس وأخذوا عنه. فكان مكباً على التدريس والتعليم، لا يمل ولا يضجر، دائم الصمت، قليل الكلام كثير التهجد والعبادة، قليل المجيء إلى الناس[٢]. وضع كتباً كثيرة قيمة منها، مختصر بدائع الفوائد «للامام ابن القيم»، وكتب حاشية ضخمة على شرح المنتهى، ورد على داوود بن سليمان بن جرجس البغدادي بكتاب سماه «كشف تلبيس ابن جرجيس»، ورداً ثانياً عليه بعنوان «الانتصار». له فتاوى كثيرة طبعت ضمن رسائل أئمة الدعوة المسماة «بالرسائل والمسائل النجدية».

توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٥ م.

٨ ـ الشيخ أحمد بن عيسى:

ولد الشيخ أحمد بن عيسى في بلدة شقراء سنة ١٢٥٣ هـ ـ ١٨٣٧ م. قرأ على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن بطين ثم ارتحل إلى الرياض ولازم الشيخ الامام عبدالرحمن بن حسن. اشتغل بالتجارة وعرف عنه الصدق والاستقامة، وتعامل في هذا الحقل مع الشيخ عبدالقادر التلمساني أحد تجار جدة، وهو من أصل مصري كما يدل اسمه. كان هذا شيخاً أشعرياً من الأزهر فدارت بينه وبين الشيخ أحمد مناظرة حول الصلاة على النبي، والاستواء على العرش ومبادىء الدعوة الوهابية.

قال الشيخ التلمساني للشيخ احمد: يشاع عنكم يا أهل نجد أقوالاً منكرة، فسأله الشيخ أحمد ان يبينها له، فرد التلمساني: يقولون انكم لا تصلون على النبي ﷺ، ولا تحبونه فأجابه أحمد: سبحانك: هذا بهتان عظيم، كيف ونحن

---

(٢) علماء الدعوة، ص ٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نعتقد ان من لا يصلي عليه في التشهيد الأخير صلاتـه باطلة، ونعتقـد ان من لا يحبـه كافـر، وإنما نحن أهـل نجد ننكـر الاستغاثـة والاستعانـة بـالأمـوات، لا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين إلا به سبحـانه، كـما كان عـلى ذلك سلف الأمة. ثم سألـه الشيخ التلمسـاني ان يوضـح له أوجـه الخلاف بـين الوهـابيين وخصومهم فأجابه: ان الله فـوق سماواتـه بائن من مخلوقـاته، مستـو على عـرشه استـواء يليق بجلالـه من غير تشبيـه ولا تجسيم ولا تأويـل، وهكذا اعتقـادنا في جميـع آيات الصفـات وأحاديثهـا[٣]. وقد انتهت هـذه المناظـرة بـاقتنـاع الشيـخ التلمساني بالمبادىء الوهـابية وأصبـح من دعاتهـا. ألف الشيخ أحمد ردوداً كثيرة على أعداء الدعوة منها: الرد عـلى المدارسي، والـرد على السنـدسي، والرد عـلى الحلبي، والـرد على مـا جاء في «خـلاصة الكـلام» من الـطعن عـلى الـوهـابيـة والافـتراء لدحـلان، والرد عـلى شبهات المستعينـين بغير الله عـلى شبهـات داود بن جرجيس العاني البغدادي.

توفي الشيخ أحمد سنة ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م.

٩ ـ الشيخ سليمان بن سحمان:

ولد الشيخ سليمان في إحدى قرى عسير سنة ١٢٦٧ هـ ـ ١٨٥٠ م، ونشأ في أحضان والده الشيخ سحمان الـذي لقنه القـرآن ومبادىء العلوم الفقهيـة. نزح إلى الرياض مع والده وقرأ فيها عـلى الشيخ عبـداللطيف بن الشيخ عبـدالرحمن بـن حـسن ولازمه مدة عشر سنـوات ملازمـة تامـة. ولما بلغ الثـالثة والخمسـين أصيب بالعمى الكلي، لكنه لم ينقطع عن الكتابة والتـأليف إلا في أواخر أيـامه. من أشهـر مؤلفاتـه: «الأسنة الحـداد في الرد عـلى علوي حـداد»، والصـواعق، والمـرساة الشهـابية عـلى الشبه الشـامية، والضيـاء الشارق، وتنبيـه ذوي الألباب السليمـة عن الـوقـوع في الألفـاظ الـوخيمـة، وكشف شبهـات عبـدالكـريم البغدادي، وكتاب منهاج أهل الحق والاتباع. كان شاعراً موهوباً طويل النفس، سخّر شعره للرد على الشعراء الذين هاجموا الدعوة الوهابية ورموا علماءها بسهام

---

(٣) المرجع السابق، ص ٨٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشتم والسباب. فكان لا يأتيه قافية هجاء إلا ويرد عليها بنفس الوزن والقافية وله في ذلك أسلوب فريد، إذ يستعرض قصيدة المعارض مجزأة، ثم يتعقبها بالمناقضة، ثم يعاكسها بيتاً بيتاً.

توفي سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م.

بعد هذا الرعيل من العلماء، وبعد ان استتبت أمور الدعوة مع الملك المصلح عبد العزيز، استلمت وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية مهمة التوجيه الديني في المملكة وأصبح من ضمن البرنامج العام للتعليم. لكن ذلك لم يقلص من دور العلماء في التوجيه الديني والثقافي والعلمي في المملكة. وما زال هؤلاء العلماء، وعلى رأسهم احفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (آل الشيخ) يشاركون في الكثير من تلك الميادين ورعايتها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الباب الثاني

الفكر الديني عند الوهابيين
أصوله وقضاياه الأساسية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل السادس

التزامهم بالمنهج السلفي

من المشهور عن المعتزلة انهم اعتمدوا العقل في دراسة عقائد الإسلام وتفسيرها تحت تأثير منهج الفكر اليوناني المسيطر يومئذ. وقد أحدث هذا المنهج انقلاباً جذرياً في اتجاهات الفكر الإسلامي ومفاهيمه خلال فترة تمتد إلى أكثر من مئتي عام، وأدى بأعداء المعتزلة كالاشاعرة والماتريدية والطحاوية وغيرهم، إلى اتباع نفس المنهج للرد عليهم.

وعندما جاء «الرعيل الثاني» من السلفيين، وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل، قالوا بان هذا النمط من التفكير قد أضر بالاسلام ضرراً شديداً، وشوه تعاليمه، وأبعدها عن مقاصدها. فدعوا إلى معارضة هذا الاتجاه، والعودة بمفاهيم العقيدة والايمان إلى ما كانت عليه أيام الرسول والصحابة، فلا تؤخذ إلا من القرآن والسنة، وما اشتبه عليهم من الآيات، حاولوا فهمه بأساليب اللغة، وان تعذر توقفوا وفوضوا الأمر إلى الله مخافة الوقوع في الزيغ والضلال[1].

كان هذا الموقف أول صدام عنيف بين أصحاب المنهج العقلي القائل

---

(١) راجع مقدمة كتاب
H. Laoust: la Profession de foi d'ibn Batta - Damas 1958 - P 68 - 69.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بإخضاع المفاهيم القرآنية إلى تدقيق النظر الفلسفي، وبين التيار المحافظ الذي هاجم الفلسفة واعتبرها عنصراً غريباً دخل العقيدة الإسلامية لتخريبها من الداخل. وخير من مثل هذا الاتجاه في تاريخ الفكر الإسلامي، احمد بن حنبل وابن حزم الاندلسي وابن تيمية الحراني. وقد استمر الصراع قائماً بين هذين الاتجاهين عبر التاريخ الإسلامي كله، وظهر بقوة في حركة النهضة العربية خلال القرن التاسع عشر كما أسلفنا.

بقي السلفيون بدون منهج يجمعهم حتى جاء ابن تيمية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) فنسق مناهجهم ووضع أسسها، وقسم طرق العلماء في فهم العقائد الإسلامية إلى أربعة أقسام:

١ ـ الفلاسفة:

ويقولون بان القرآن جاء بالطريقة الخطابية والمقدمات الاقناعية التي تقنع الجمهور ولا تقنع الفلاسفة لانهم أهل برهان ويقين، ولان العقائد لا تفهم إلا بالبرهان واليقين.

٢ ـ المتكلمون:

وهؤلاء يقدمون القضايا العقلية قبل النظر في الآيات القرآنية. فهم يأخذون بنوعي الاستدلال، المباشر وغير المباشر، لكنهم يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني، فيؤوّلون القرآن على مقتضى العقل، ولكنهم لا يخرجون عن عقائده.

٣ ـ طائفة من العلماء تنظر إلى ما في القرآن من عقائد، فتؤمن بها وبأدلتها، وتعتبرها هادية ومرشدة للعقل دون ان «يتخذ مضمونها مقدمة للاستنباط العقلي. وتستعين هذه الطائفة بالعقل أحياناً لتبرهن على عقائد القرآن، (الماتريدي).

٤ ـ فريق من العلماء يؤمنون بالقرآن، عقائده وأدلته، لكنهم يستعينون بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية. ومن هؤلاء الأشاعرة.

بعد ان عرض ابن تيمية هذه المناهج الأربعة، قال بان منهج السلفيين ليس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واحداً منها. فهم لا يؤمنون بالعقل. لأنه يضل، ويعتقدون بان القرآن وحي الهي أنزل على النبي، وحقائقه مطلقة ويجب ألا يفسر خارج هذا النطاق. واستناداً إلى هذا المعتقد هاجموا المنهج العقلي في شرح العقيدة، وقالوا بانه مستحدث في الإسلام، ولم يمارسه أي من الصحابة والتابعين. فلو كان هذا المنهج ضرورة لا بد منها لفهم تعاليم الإسلام، فمعنى ذلك ان أهل السلف لم يكونوا على فهم صحيح لها، وهذا مستحيل، وقول مرفوض جملة وتفصيلا. ويقولون أيضاً:

«بان مصدر كافة الحقائق الدينية في الإسلام هو القرآن ثم السنة المبينة له، فما يقرره القرآن وما تشرحه السنة هو الحقيقة بعينه، ولا يمكن ردها. وقد شهدت هذه السنة لرواتها من الصحابة والتابعين، أي الجيل الأول من فقهاء المسلمين ومفكريهم، برجاحة العقل وسعة الأفق، مما جعل ما وضعوه من حلول للقضايا الدينية التي تهم المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان، جديرة بالثقة المطلقة التي لا يرقى إليها الشك أو التجريح، وكل رأي في العقيدة يخالف رأيهم إنما هو بدعة تستحق المذمة والنكران[٢]. أما العقل، فلا سلطان له في تأويل القرآن وتفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات، وما تضافرت عليه الأخبار. وإذا كان للعقل من سلطان، فهو في التصديق والاذعان، وتقريب المنقول من المعقول، ورفع التعارض والتنافر بينهما، أي ان يكون شاهداً، وليس حاكماً، ومقرراً مؤيداً وليس ناقضاً ولا رافضاً، ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن من الأدلة[٣]. وفي رأي ابن تيمية ان جميع المناهج المنطقية التي اعتمدها الفلاسفة والمتكلمون تتسم بالعقم والتبدل.

فالمنطق بعد من أبعاد العقل البشري، وهو لذلك معرض للخطأ شأن كل منهج انساني أو وسيلة بشرية، بينما المنهج القرآني منهج ثابت موحى به، وعلى المؤمن ان يعتصم به لأنه الضمان الوحيد ضد الخطأ.

---

(٢) ابن تيمية. مجموعة الرسائل. القسم الأول. ص ١٨ وما بعدها وص ٧٦ وما بعدها.
(٣) محمد أبو زهرة. المذاهب الإسلامية. ص ٣١٥ ـ ٣١٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واستناداً إلى هذا المنهج، فهم السلفيون الايمان، ودرسوا التوحيد والصفات، والآيات المتشابهات، وأفعال الانسان، وقضية خلق القرآن وغيرها من المواضيع التي كانت محور التعاليم الوهابية. وسنجد ان أصول الفكر الوهابي تمتد إلى هذا المنهج، الذي مثله الامام أحمد بن حنبل، وابن حزم القرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية(٤)، وتلميذه ابن القيم الجوزية. وحيث ان هذا الأخير لم يأت بجديد في العقائد عما أتى به استاذه(٥)، فسنقتصر في بيان الأصول الوهابية عند ابن حنبل وابن تيمية.

ومن الجدير بالذكر ان الوهابيين يعترفون بالكتب الستة التي جمعها علماء من القرن الثالث الهجري كمراجع مجزوم بها للسنة، ويأتي في المقام الأول منها: الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ثم سنن أبي داوود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه.

وتحظى كتب الامام مالك بن انس التي تحوي عادات المدينة، وطن السنة، بالاحترام في هذا المجال، وخاصة الموطّأ.

أما مصادر الشريعة عندهم فأربعة:

أولاً: **القرآن**: ويتألف من ستة آلاف ومئتين وست وثلاثين آية (٦٢٣٦)، وهو الكتاب المقدس عند المسلمين، والأصل الأول الذي تتفرع عنه بقية المصادر.

ثانياً: **السنة النبوية**، وهي الأقوال والأحكام والأعمال التشريعية الصادرة عن النبي محمد (ﷺ) شرحاً وتوضيحاً لما جاء في القرآن.

ثالثاً: الاجماع، وهو الرأي الاجماعي الذي يصدر عن علماء الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان تحت «ارشاد القواعد والمبادىء العامة في القران والسنة وتطبيقاتها التفصيلية».

---

(٤) راجع:
H. Laoust. Le Traité de droit public d'Ibn Taymiya. P 44.

(٥) عبدالمتعال الصعيدي. المجددون في الإسلام ص ٣٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رابعاً: الاجتهاد وهو الرأي الفردي الذي يصدره أحد علماء الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان تحت «ارشاد القواعد العامة في القرآن والسنة والاجماع، وما في ذلك كله من تفصيل أو تطبيق عليه[٦]».

الوهابيون يحاربون البدع ومظاهرها

كانت العادات والتقاليد والأعراف التي مارسها العرب في جاهليتهم تشكل القواعد الأساسية لسلوكهم في الحياة والمجتمع. وكان أي خروج على هذه القواعد يعتبر إهانة خطيرة لمشاعر الجماعة، تلحق بمرتكبيها المذمة والعقاب[٧].

من الطبيعي على الانسان في مثل هذا المناخ الصارم ألا يتقبل أية أفكار جديدة إلا بصعوبة قصوى. ولهذا السبب واجه النبي محمد (ﷺ) في بداية دعوته معارضة شديدة من عرب الجاهلية عندما أخذ يحدثهم عن الاله الواحد، والبعث بعد الموت، ومفاتن الجنة والنعيم للاتقياء، وعذاب جهنم للكفرة والفاسقين، وقالوا بأن هذا التصور القرآني المحدث لله والانسان يخالف المأثور من عاداتهم وتقاليدهم، ومعتقدات آبائهم وأجدادهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الظاهرة في الآية الثانية من سورة الأنبياء بقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾، وفي الآية الخامسة من سورة الشعراء: ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾. بدأ هذا السلطان للأعراف والتقاليد يتلاشى شيئاً فشيئاً أمام روعة التعاليم القرآنية ومفاهيمها الجديدة. وأصبحت هذه التعاليم والمأثور من أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله، هي الطريقة المثلى للتفكير الصحيح، والايمان الصادق، والعمل الصالح، وميزان الحقائق كلها عند المسلمين. واعتبر كل عمل أو اعتقاد مخالف

---

(٦) راجع المجلة العربية، العدد الافتتاحي ـ الطبعة الثانية. آب اغسطس ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.

(٧) راجع. أجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام. ترجمة محمد يوسف موسى وغيره ص ٢٢٢ وما بعدها.
راجع أيضاً كتاب سيد حسين نصر: دراسات إسلامية ـ الدار المتحدة للنشر. بيروت ص ١٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لهذه الأقوال والأفعال، أو مقطوع الصلة بالسلف الصالح، بدعة تستوجب المذمة والاجتناب[٨].

كيف دخلت البدع الإسلام[٩].

أدى احتكاك المسلمين العرب بغيرهم من الأمم والشعوب، كالفرس واليونان والرومان إلى تبدل جذري في انماط الحياة التي كانوا يمارسونها أيام النبي وصحابته في الصحراء، واضطروا في أحيان كثيرة إلى إعادة النظر في ولائهم المطلق للسنة النبوية واقرار بعض البدع التي استقوها من عادات وتقاليد الشعوب الأخرى. وأمام هذه الظاهرة الخطيرة عكف الفقهاء والمجتهدون منذ نهاية القرن الثاني الهجري على دراسة الظروف والأوضاع التي يمكن فيها للمسلمين التجاوب مع بدعة من البدع المستجدة، وقد لعب «الاجماع»[١٠] دوراً هاماً في التوفيق بين هذه البدع المستحدثة والتعاليم الإسلامية، عن طريق تثبيت التقاليد والعادات التي ألفها المسلمون منذ زمن طويل وانعقد اجماعهم على اباحتها، مع انها في الواقع تخالف المعنى الحقيقي للاجماع في الإسلام لانها خرجت عن القواعد العامة في القرآن والسنة وتطبيقاتها التفصيلية.

وخير دليل على هذا الاتجاه مسألة عيد المولد النبوي[١١] الذي كان الفقهاء يعدونه بدعة مخالفة للسنة حتى القرن الثامن الهجري، لكنه تكرس بعد ذلك عيداً دينياً بعد أن أقره الاجماع الشعبي للمسلمين وحظي بموافقة فقهائهم[١٢].

وهناك أيضاً مظهر آخر من مظاهر البدع التي دخلت الإسلام وشوهت مفاهيمه وهو تعظيم الأولياء وتقديسهم. انتشرت هذه البدعة في الأوساط

---

(٨) المرجع السابق ص ٢٢٤.
(٩) البدعة الدينية هي كل ما يخالف تعاليم الدين ومبادئه الأساسية.
(١٠) الاجماع كما ذكرنا، هو الرأي الاجماعي الذي يصدره مجتهدو الأمة في كل زمان ومكان تحت ارشاد القواعد العامة في القرآن والسنة.
(١١) بدأ المسلمون يحتفلون بعيد المولد النبوي بعد مشاهدتهم الصليبيين وهم يحتفلون بعيد ميلاد المسيح.
(١٢) راجع، جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٢٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشعبية الإسلامية عبر العصور وأصبحت لها طقوس وتقاليد تختلف باختلاف البلدان والشعوب. وتقوم أساساً على الاعتقاد بأن الله فاطر السموات والأرض، بعيد كل البعد عن مخلوقاته الأرضية وهمومها، وان الأولياء الذين يتمتعون بمنزلة سامية عنده هم وسطاء بينه وبين البشر ولديهم القدرة على تحقيق آمال هؤلاء البشر وتطلعاتهم في هذا العالم الأرضي.

أدت هذه الحاجة النفسية المتمثلة بملء الهوة الفاصلة بين المؤمن الساذج ورغباته الحياتية من ناحية وبين الألوهية السامية من ناحية أخرى، إلى نمو سريع لبدع تقديس الأولياء وانتشارها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي. وقد سيطرت قداسة هؤلاء الأولياء على عقول الناس وعواطفهم وأصبحوا موضعاً للتكريم والاجلال، تقدم إليهم القرابين، وتنذر لهم النذور، وترفع إليهم الأدعية وفق شعائر معينة، وتبث القصص الخيالية عن خوارقهم. وكان لبعض الشعوب، خاصة الفرس، دور هام في نشر مثل هذه البدع التي بدأت بالظهور منذ أيام العباسيين بعد شيوع حرية الرأي والعقيدة في المجتمع الإسلامي. ويقول المستشرق المجري المعروف «جولد تسيهر» انه لم يكن هناك شيء أكثر خروجاً على تعاليم القرآن والسنة من هذا التقديس المبتدع الذي أفسد جوهر الإسلام ومسخ الكثير من حقائقه(١٣).

التيار المناهض للبدع

في مقابل هذا التيار المتساهل مع البدع الذي سار فيه كثير من العلماء والمجتهدين نشأ تيار معاكس هدفه حفظ العقيدة القرآنية من تشويهات البدع والخرافات، ومحاربة جميع الأساليب النظرية والعملية التي كانت تستخدم للتوفيق بينها وبين السنة، ومعارضة التفسيرات الجديدة للقرآن المستمدة من العقل حيناً ومن العاطفة أحياناً أخرى، ونقد آراء المتكلمين في العقائد، والتنديد بأفكار الأشعري التي كانت جزءاً من مذهب أهل السنة، واعتبارها من البدع التي تستحق المذمة والتجريح. كان الحنابلة على رأس هذا التيار المتشدد.

---

(١٣) المرجع السابق ص ٢٣٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد عرفوا عبر التاريخ الإسلامي كله بأنهم من أكثر الناس تمسكاً بالقرآن والسنّة في نقائهما الأول، سواء في العقائد أو في العبادات أو في اخلاقيات الحياة وتقاليدها. فهم لم يحيدوا عن حرفية المتون قيد أنملة، لأن القرآن في رأيهم كلام الهي ازلي ثابت لا يتغير بتغيير الأمكنة والأزمنة، وبالتالي لا يجوز للبشر التصرف بمعانيه وتأويلها حسبما تقتضيه الأهواء والنزعات والنحل. ولم يشذ الوهابيون عن هذا الاتجاه الصارم في فهم العقيدة، بل كافحوا كفاحاً مستميتاً لصيانة تعاليم الإسلام من خطر الأفكار الوثنية، والتفسيرات الفلسفية، وتنقيتها من هذه «البدع» التي أضرت بها ضرراً كبيراً[١٤]. وسنشرح موقفهم من هذه القضية بالتفصيل عندما نتكلم عن مفهومهم للتوحيد الالهي والقضايا الدينية الأخرى.

الوهابيون يحاربون التقليد

التقليد استعباد للعقل والعاطفة معاً لأنه يشل الفكر ويعطل قدرته على الاستنباط وتحليل معاني الأشياء والوصول إلى حقائقها. فهو كما يقول أبو الفرج بن الجوزي: «إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتأمل». وقد ذم القرآن التقليد والمقلدين في بعض آياته مثل قوله: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾[١٥]. وقوله في سورة لقمان: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾[١٦].

ان التقليد بدعة مستحدثة في الإسلام لم يعرفها الصحابة الأوائل لانه لم يكن في عصرهم مذهب رجل معين يلتزمون به، بل كانت النصوص القرآنية والسنة الصحيحة مرجعهم الوحيد لفهم العقيدة وقضاياها، وإذا لم يجدوا فيهما المبتغى نظروا إلى ما أجمع عليه الصحابة، وان لم يجدوا اجتهدوا[١٧]. وعندما جاء الأئمة

---

(١٤) المرجع السابق ص ٢٣٥.
(١٥) سورة الأنبياء، الآيات ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤.
(١٦) سورة لقمان. آية ٢١.
(١٧) محمد علي الشوكاني: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد. تحقيق الشيخ ابراهيم حسن=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأربعة. أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل (القرن الثاني الهجري)، اتبعوا نمط من تقدمهم من السلف في هجر التقليد وعدم الاعتداد به. وقد ظهر التمذهب بمذاهبهم والتعصب لها بعد وفاتهم دون أن يأذن بها أي منهم(١٨).

فالامام أحمد بن حنبل كان يقول: «من ضيق علم العالم ان يقلد في اعتقاده رجلاً»، وقوله أيضاً: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا». وروى عن الامام الشافعي قوله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي وأضربوا بقولي عرض الحائط». وعن الامام أبي حنيفة قوله: «هذا رأي فمن جاء برأي خير منه قبلناه» وعن الامام مالك قوله: «إنما أنا بشر أصيب واخطيء، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة». وهكذا ترك هؤلاء الأئمة الباب مفتوحاً أمام مبادرات العقل ليجتهد ويستنبط الأحكام، لدرايتهم بأن لكل زمان ومكان أحكامه وقضاياه الخاصة التي تختلف باختلاف الأمم والشعوب، وبأن التطور سنة من سنن الطبيعة والحياة.

ومن الذين هاجموا التقليد وذموه، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الذي قال: «أعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلد، وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه إنما خلق للتدبر والتأمل. وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها ان يطفئها ويمشي في الظلمة... واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم شخص فيتبعون قوله من غير تدبير بما قال، وهذا عين الضلال، لأن النظر ينبغي ان يكون إلى القول لا إلى القائل»(١٩). ويصف ابن حزم المقلد بأنه «راض ان يغبن في عقله». أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد هاجم التقليد والمقلدين، وما أدى إليه التعصب المذهبي من شقاق بين المسلمين وتمزيق وحدتهم. ومع ان الشيخ محمد من اتباع المذهب الحنبلي إلا انه غير مقلد. فهو إن تعصب إنما يتعصب لكلام الله ورسوله لأن فيه الحق والخير للمسلمين وللبشر أجمعين.

= الانيابي الشافعي. مطبعة البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٧٤ هـ ص ١٦.

(١٨) المرجع السابق ص ١٧.

(١٩) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس. القاهرة ١٣٣٤ هـ ص ٨٦ ـ ٨٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالشيخ كما يقول ابن غنام، «وان التزم بمذهب، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب، ولكنه يختار من الأقوال ما هو أصوب، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب[٢٠]». ومن أقوال الشيخ محمد في هذا الموضوع: «أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان أتانا منكم كلمة من الحق لاقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله (ﷺ) فانه لا يقول إلا الحق». ويتابع قائلا في رسالة إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف عالم الاحساء: «ولا خلاف بيني وبينكم، ان أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا، هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله ورسوله مقتدياً بأهل العلم، أو انتحل قول بعضهم من غير حجة، وأزعم ان الصواب في قوله. فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو الله وأناظر عليه فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه معكم»[٢١].

من الواضح ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يشير في هذا الكلام، وفي كلام كثير غيره، إلى ضرورة التخلص من مظاهر الجمود والتقليد والتعصب للمذاهب، التي كانت سائدة بين المسلمين في عصره. وهو وان كان واتباعه على مذهب الامام أحمد بن حنبل في الفروع، إلا انهم لا يقلدونه تقليداً أعمى، وإنما يأخذون بأي نص جلي من كتاب أو سنة، غير منسوخ، ولا مخصص، ولا معارض بنص أقوى منه، أو قال به أحد الأئمة الأربعة، أخذوا به وتركوا المذهب، كأرث الجدة والأخوة فأنهم يقدمون الجد بالأرث، وان خالف بذلك المذهب الحنبلي.

وإذا كان الوهابيون يجلون أقوال ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم من الأئمة، فهذا لا يعني انهم يقلدونهم في كل مسألة، بل يسعون وراء الحق ويأخذونه أينما وجد. يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

---

(٢٠) نقلا عن كتاب منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية. ج ١ ص ٢٣٥.
(٢١) راجع النص الكامل لهذه الرسالة في كتاب امين السعيد: سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط ١ ـ ص ٥٢ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«وعندنا ان الامام ابن القيم وشيخه، إماما حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهما في كل مسألة، فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا نبينا محمد (ﷺ). معلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل، منها:

١ ـ طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس، فانا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة.

٢ ـ ونرى الوقف صحيحاً.

٣ ـ والنذر جائزاً، ويجب الوفاء به في غير معصية[٢٢].

وهكذا يكون الوهابيون أول من دعى في العصور الحديثة إلى فتح الأبواب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وترك التقليد، والعمل بمبدأ الاجتهاد الذي اعتبروه واجباً على كل مسلم يستطيعه.

وينادون بالاجتهاد

الاجتهاد عند الوهابيين، هو المصدر الرابع للشريعة الإسلامية بعد القرآن والسنة والاجماع. وهو يعني الرأي الشخصي الذي يصدره أحد علماء الشريعة في زمان ومكان ما حول قضية لا نص عليها في القرآن والسنة. فهما لم يبينا الحكم في كل مسألة من مسائل الحياة، بل وضعا قواعد عامة للسلوك الانساني، وتركا للعلماء الحرية في فهمهما والاستنباط منهما. والاجتهاد يخضع لتلك القواعد، ويسمى أحياناً الرأي أو العقل أو القياس. أما الهدف منه فهو استيعاب التطورات الحادثة في مختلف العصور والأمكنة، على أسس من الأخلاقيات القرآنية السامية التي تفضي في النهاية إلى تحقيق السعادة للمسلمين وللجنس البشري بأسره. ولهذا عده المستشرق المجري المعروف أجناس «جولد تسيهر» العقل الساهر على نمو الشريعة الإسلامية وازدهارها، الذي يدفع العقم في قواعدها وتهمة الجمود في طبيعتها[٢٣].

---

(٢٢) راجع كتاب منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية. ج ١ ص ٢٣٩.
(٢٣) المجلة العربية العدد الافتتاحي ط ٢ آب اغسطس ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م. ص ١٩٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والواقع ان الاجتهاد أصبح ضرورة لا بد منها بعد خروج العرب المسلمين من الصحراء واحتكاكهم بأمم وشعوب كثيرة تختلف حضارتها وبيئاتها وتقاليدها وأفكارها، عما ألفوه في صحرائهم من أنماط الحياة ومفاهيمها. وهذا ما دفع بالرعيل الأول من فقهاء المسلمين، العرب منهم والأعاجم، إلى وضع أسس تشريعية اضافية للحياة الإسلامية الجديدة التي لم يرد نص على أحكامها سواء في القرآن أو السنة. ومنذ منتصف القرن الأول حتى أوائل القرن الرابع الهجري ظهر ما لا يقل عن تسع عشرة مدرسة من مدارس الفقه والرأي الشرعي في الإسلام. فتكّون من هذه الجهود التشريعية الرائعة التي قامت على مبدأ الاجتهاد، تراث ضخم من الفكر الحقوقي النادر الذي يتمثل في المذاهب الإسلامية المعروفة(٢٤).

ان هذا المفهوم الديناميكي للعقيدة الإسلامية يماشي في الحقيقة النظرة القرآنية القائلة بأن الحياة في جوهرها متغيرة(٢٥). والآيتان ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد آية ١١)، ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ (سورة المدثر آية ٣٧) إنما تعبران عن تلك النظرة تماماً. وتاريخ الفقه والتشريع منذ عصر الصحابة يدل على اتباع هذا الفهم وتطبيقه، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، وقوله: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج الآية ٧٨). ومن أقوال النبي (ﷺ) في هذا الموضوع: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». ولقد كان الاجتهاد من العوامل المهمة التي ساعدت على تيسير أمور المسلمين الدينية والدنيوية، وعلى استيعاب التطورات الحضارية التي تعاقبت عليهم بعد وفاة الرسول.

ومن الآيات القرآنية الدالة على الاجتهاد قوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٦٩: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾. وكذلك نجده في حديث الرسول (ﷺ) إلى معاذ بن جبل حين أوفده إلى اليمن والياً

---

(٢٤) محمد اقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام ص ١٧١.
(٢٥) المرجع السابق، ذات الصفحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فسأله: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضي بكتاب الله. قال النبي: وان لم تجد في كتاب الله؟، قال فبسنة رسوله، قال: وان لم تجد في سنة رسول الله؟ قال معاذ: اجتهد رأيي ولا آلو. قال معاذ: فضرب رسول الله صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله». وإذا بحثنا في فقه الصحابة نجد فيه كثيراً من الاجتهاد والرأي. وقد روى القاضي شريح عن الخليفة عمر انه قال له عندما ولاه قضاء الكوفة: «انظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله (ﷺ)، وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك واستشر أهل العلم والصلاح». وأشار ابن القيم إلى تغيير الأحكام من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان فقال: «ان الفتوى تتغير بتغيير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله»[٢٦]. وفي العصور الحديثة يعتبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أول مصلح ديني إسلامي تنبه إلى أهمية العودة إلى مبدأ الاجتهاد لتيسير أمور المسلمين ورفع آثار التقليد والجمود عنهم واستيعاب ما يستجد على حياتهم من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، دون المساس بالمبادىء العامة للاسلام. وإذا كان لم يؤثر عن الشيخ محمد اجتهادات كثيرة، فلأن ظروف الدعوة والبيئة التي عاش فيها لم تكن لتسمح بذلك، ولأن التطور الحضاري الذي بدأت تباشيره تظهر في الغرب زمن الشيخ لم يكن قد عرف بعد في الجزيرة العربية ولا في أية ناحية من نواحي العالم الإسلامي.

---

(٢٦) ابن القيّم. اعلام الموقعين ج ـ ٤ القاهرة ١٩٥٥ ص ٤٤١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل السابع

مفهومهم للإيمان

وقعت بلاغة القرآن وروعة تعاليمه وقع الصاعقة على المسلمين الأوائل بسبب تلك الخاصية العجيبة التي تتميز بها آياته من فصاحة وبلاغة ومعنى، إذ تحدث الخشوع في النفس بمجرد ان تلامس الأذن، وقبل ان يتأمل العقل معانيها... فهي تركيب موسيقي رائع يؤثر في الوجدان والقلب لتوه قبل ان يبدأ العقل بالعمل[1].

ولهذا السبب جاء ايمان الرعيل الأول من المسلمين إيماناً وجدانياً مطلقاً لا يخامره أي شك أو سؤال حول العقيدة ومفاهيمها. وزاد في هذا الايمان وصية النبي محمد (ﷺ) لصحابته بعدم الجدال في معاني القرآن خوفاً من الفتنة والضلال في متاهات ما وراء الطبيعة، وتفضيل الايمان القلبي على البحث العقلي «العقيم» في مثل هذه القضايا الغامضة والمعقدة.

كان لهذا النوع من الايمان ما يبرره من الناحيتين العقائدية والنفسية. فقد واجه النبي محمد (ﷺ) في بداية دعوته وضعاً حرجاً كغيره من الأنبياء والرسل، لأن تلك الدعوة كانت تحمل في أعماقها أفكاراً راديكالية في الدين والدنيا لم

---

(١) راجع كتاب:

L. Gardet. l'islam, Religion et Communanté. Paris 1970. P 41 - 42.

وكتاب مصطفى محمود. القرآن. محاولة لفهم عصري للقرآن. ط القاهرة ١٩٧٠ ص ١٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يعرفها المجتمع العربي الجاهلي من قبل، وكان من أهم أهدافها اقتلاع أفكار وعادات وقيم وثنية متأصلة في نفوس أفراد ذلك المجتمع منذ حقب غابرة، وزرع أفكار وقيم جديدة مكانها. واتخذت هذه العملية الشاقة مجالها الزمني اللازم.

كان هذا الايمان ضرورة لا بد منها من أجل تثبيت دعائم الإسلام ونشره في المجتمع الجاهلي وغيره من المجتمعات. وقد عبر النبي محمد (ﷺ) تعبيراً دقيقاً عن مفهوم هذا الايمان بقوله: «الإيمان معرفة في القلب، وإقرار في اللسان، وعمل بالأركان». أي انه جعل الايمان يعتمد على القلب وحده باعتباره موطن المعرفة ومنبعها. وفي القرآن آيات كثيرة تؤيد هذا الرأي مثل الآية: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾ (المجادلة ٢٢). وإلى هذا أيضاً توصل الغزالي بعد مراحل شكه المشهورة.

أما ابن خلدون فيصف هذا الايمان بقوله: «ان الايمان الذي هو أصل التكاليف وينبوعها، وهو بهذه المثابة ذو مراتب. أولها: التصديق القلبي الموافق للسان، واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب، فتتبع الجوارح، وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق والايمان، وهذا ارفع مراتب الايمان، وهو الايمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة»[٢].

بعد وفاة الرسول وظهور مشكلة الخلافة كقضية دينية وسياسية، وامتزاج العرب والمسلمين مع غيرهم من الشعوب أصحاب الحضارات العريقة، حدثت تحولات عميقة في مجاري الفكر الإسلامي واتجاهاته، وكانت مسألة حقيقة الايمان من ضمن مواضيع كثيرة تسلل إليها النقاش والجدال.

ان حقيقة الخلاف في معنى الايمان يتصل بتاريخ مولد حركة الاعتزال. وذلك عندما حمل الخوارج على الحكام الأمويين وكفّروا «العصاة» وكل من خالفهم الرأي، وقالوا بان لا واسطة بين الكفر والايمان. فمن آمن بتعاليم

---

(٢) ابن خلدون ـ المقدمة. تحقيق الدكتور عبدالواحد وافي. ط القاهرة ١٩٦٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام ولم يعمل بها فهو كافر. وفي مقابل هذا الرأي ظهر القول بالإرجاء. فرأى كثير من المرجئة ان الايمان هو معرفة الله ورسله، وانه تصديق بالقلب وإقرار باللسان، ولا يضر مع الايمان معصية ولا مع الكفر طاعة. وقد عد منهم الشهرستاني في الملل والنحل أصنافاً أربعة، تتفق كلها على ان المعاصي لا تسلب العبد صفة الايمان ولا تدخله النار. فالعمل عند جميع المرجئة ليس شرطاً للإيمان الصحيح ولا جزءا من حقيقته.

أما المعتزلة فقد عدوا الأعمال جزءاً من الايمان بحيث ان من يرتكب الكبائر لا يكون مؤمناً ولو اعتقد بالوحدانية وشهد ان محمداً رسول الله، لكنه لا يبلغ مرتبة الكفر، بل هو في منزلة بين المنزلتين.

وقال الاشاعرة بان الايمان الصحيح هو تصديق الرسول بما جاء به جملة وتفصيلاً.

وأضاف المحدِّثون إلى ذلك، العمل بالأركان. أمام هذا الخلاف بين الفرق حول حقيقة الايمان كان لا بد من ان يتطرق الفقهاء والمحدِّثون إلى هذه القضية الدينية الهامة، معتمدين على ما ورد في القرآن والسنة (أي على النقل) دون اللجوء إلى مظلة العقل، فجاءت آراؤهم مختلفة أيضاً، ولكنها ليست متباعدة.

فأبو حنيفة يرى الايمان إقراراً باللسان وتصديقاً بالجنان، كما يرى تلازم الإسلام مع الايمان، ولا يعد العمل جزءاً منه لان الايمان حقيقة مجردة ان وجدت فتوجد كاملة غير قابلة للزيادة والنقصان.

أما عند الامام مالك فالايمان هو التصديق والإذعان. لكنه يزيد، تصديقاً لما ورد في القرآن، بان بعض الذين آمنوا قد ازدادوا إيماناً بينما يقول الإمامية بأن الايمان هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله وبالنبوة وبكل ما جاء به النبي، وأضافوا إلى ذلك التصديق بالأئمة الاثني عشر.

كان الامام أحمد بن حنبل أكثر شمولاً عندما وصف الايمان بانه قول وعمل، يزيد وينقص، والبر كله من الايمان، والمعاصي تنقص الايمان، وصفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عبده ورسوله، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه ولم يشك في إيمانه. ويقول أيضاً «الايمان قول وعمل يزيد وينقص زيادته إذا أحسنت ونقصانه إذا أسأت، ويخرج الرجل من الايمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم، أو برد فريضة من فرائض الله جاحداً لها، فان تركها تهاوناً بها وكسلاً، كان في مشيئته، ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه»(٣).

يقترب الامام أحمد من المعتزلة عندما يقول بان الرجل يبقى مسلماً ولو ارتكب معصية ولا يسمى مؤمناً. ولكنه يبتعد عنهم عندما يفوض أمر من يموت عاصياً إلى ربه ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه. وهو بذلك يتقيد بما جاء في النصوص ولا يخالفها في شيء. بينما يقول المعتزلة بان من يمت عاصياً فهو مخلد في النار.

وعندما جاء ابن تيمية في أواخر القرن السابع الهجري لم يخرج عن هذا الرأي باعتباره يمثل رأي السلف الصالح. فحدد الايمان بانه «تصديق بكل ما جاء به النبي محمد والاذعان له»، استناداً إلى قوله(ﷺ): «الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٤). فالعمل عند ابن تيمية جزء من الايمان لأن النبي قال به: «الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

وبما ان العمل جزء من الايمان فأن هذا الايمان يزيد وينقص استناداً إلى معنى ظاهر الآيات القرآنية مثل قوله تعالى «في سورة الانفال الآية ٢» ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾.

وقوله في سورة التوبة آية ١٢٤ ـ ١٢٥: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. وقوله

---

(٣) المناقب لابن الجوزي ص ١٦٥.
(٤) ابن تيمية: الايمان ص ٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تعالى، في سورة الفتح آية ٤: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾. وقوله في سورة محمد آية ١٧ ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾. والآية: ﴿انهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾. (الكهف آية ١٣).

ثم يذكر ابن تيمية بان الصحابة ومن جاء بعدهم كانوا يعتقدون بان الايمان يزيد وينقص، ولكن إذا كان الايمان يزيد وينقص، والأعمال جزء منه فهل من ارتكب كبيرة لا يعد مؤمناً؟ يجيب ابن تيمية بأن الايمان باعتباره يزيد وينقص، له أصل إذا لم يتوافر في الشخص يعد كافراً، وما عداه لا يكفره وان كان ناقص الايمان. وهذا الأصل هو شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، وان كل ما جاء به النبي محمد صدق. أما مرتكب الكبيرة فيعد عاصياً أو فاسقاً وليس كافراً ولا يقال بانه في منزلة بين المنزلتين (كما قالت المعتزلة)، بل هو مؤمن ناقص الايمان. يقول ابن تيمية: «ان قيل إذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله، يلزم تكفير أهل الذنوب كما يقول الخوارج، أو تخليدهم في النار وسلبهم الايمان بالكلية كما يقول المعتزلة. وكلا هذين القولين شر من قول المرجئة. فان المرجئة من العلماء والعباد المذكورين عند الأمة بخير، وأما الخوارج والمعتزلة، فأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف متفقون على ذمهم وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان، وسائر أئمة المسلمين على انه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه ذرة من ايمان[٥]».

لم يحرج الوهابيون في تفسيرهم لمعنى الايمان عن الخط العام للفكر السلفي، إنما التزموا به كما ورد عند السلفيين الأوائل الذين استوعبوا حقائق الدين الإسلامي بكاملها.

لقد فهم الوهابيون الايمان استنادا إلى الحديث النبوي القائل: «الإسلام ان تشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله. والايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره». ثم قالوا بوجود تلازم بين

(٥) ابن تيمية: الايمان ص ١١٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام والايمان والعمل، والظاهر والباطن: «ان الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والايمان يفسر بالأعمال الباطنة». وبذلك يفسر كل منهما عند الاقتران. فإذا أفرد الايمان كما في كثير من آيات القرآن، دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، كما دلت على ذلك كثير من الآيات والأحاديث. أما الأركان الخمسة فهي جزء من مسمى الايمان ولا يحصل الإسلام على الحقيقة إلا بالعمل بهذه الأركان، والايمان بالأصول الستة المذكورة في الحديث وهي: الايمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول تتضمن الأعمال الباطنة والظاهرة. فالايمان بالله يقتضي محبته وخشيته وتعظيمه وطاعته والامتثال بأمره وترك نهيه. وكذلك الايمان بالكتب يقتضي العمل بما فيها من الأمر والنهي، فدخل هذا كله في الأصول الستة(٦).

ثم يورد الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الآيات التي تؤيد قوله السابق، مثل الآية ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الانفال ٢). والآية ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ (البقرة الآية ١٤٣). ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾. (الحجرات ١٥).

هذه الآيات تدل بوضوح على «ان الأعمال الظاهرة والباطنة داخلة في مسمى الايمان الذي يتألف من تلازمهما معاً».

وورد في السنة كثير من الأحاديث التي تستند إلى هذه الآيات مثل قوله (ﷺ) في حديث وفد عبدالقيس: «آمركم بالايمان بالله وحده. أتدرون ما الايمان بالله وحده؟ شهادة لا إله إلا الله واني رسول الله، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتؤدوا خمس ما غنمتم».

ثم يقولون بان الايمان يزيد وينقص. فإذا كانت الاعمال الظاهرة والباطنة من

---

(٦) كتاب الايمان والرد على أهل البدع ص ٢ (في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مسمى الايمان شرعاً، فكل ما نقص من الأعمال التي لا يخرج نقصها من الإسلام، فهو نقص في كمال الدين الواجب. وقد ورد في الحديث: لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...

ثم قوله(ﷺ) «لا ايمان لمن لا أمانة له». أي ان هناك نوعاً من الايمان المشروط الذي ينتفي بوجود الفسق والمعاصي. وفي المقابل هناك المؤمن الذي لا يتقيد بمعصية ولا بفسق أو بغيره فيكون ايمانه مطلقا. وهذا هو الفرق بين مطلق الايمان والايمان المطلق. والثاني هو الذي لا يصر صاحبه على ذنب، والأول هو المصّر على بعض الذنوب. وهذا هو رأي أهل السنة والجماعة في الفرق بين الإسلام والايمان، وهو الفرق بين مطلق الايمان والايمان المطلق. فمطلق الايمان هو وصف المسلم الذي معه أصل الايمان الذي لا يتم إسلامه ولا يصح إلا به وهو في أدنى مراتب الدين إذا كان مصراً على ذنب أو تاركاً لما وجب عليه مع القدرة عليه.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

«وأما المؤمن الايمان المطلق الذي لا يتقيد بمعصية ولا بفسوق وبنحو ذلك فهو الذي أتى بما يستطيعه من الواجبات مع تركة لجميع المحرمات، فهذا هو الذي يطلق عليه اسم الايمان من غير تقييد. فهذا هو الفرق بين مطلق الايمان والايمان المطلق. والثاني هو الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة في الفرق بين الإسلام والايمان وهو الفرق بين مطلق الايمان والايمان المطلق. فمطلق الايمان هو وصف المسلم الذي معه أصل الايمان الذي لا يتم اسلامه إلا به بل لا يصح إلا به. فهذا في أدنى مراتب الدين إذا كان مصراً على ذنب أو تاركاً لما وجب عليه مع القدرة عليه»[٧].

والمرتبة الثانية من مراتب الدين هي مرتبة أهل الايمان المطلق الذين كمل اسلامهم وإيمانهم بتنفيذ واجباتهم الدينية وترك ما حرمه الله عليهم، وعدم اصرارهم على الذنوب. وهذه المرتبة وعد الله أهلها بدخول الجنة والنجاة من

---

(٧) المرجع السابق ص ٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الجحيم استناداً إلى الآية: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾. (الحديد ٢١). فهؤلاء جمعوا الأعمال الظاهرة والباطنة فعملوا ما أوجبه الله وتركوا ما حرمه عليهم وهؤلاء هم أهل الجنة السعداء(٨).

من الملاحظ ان رأي الوهابيين في الايمان لا يختلف عن رأي السلف الصالح الذي يستبعد الأحكام العقلية عن قضايا العقيدة لان الايمان ينبع من القلب وحده، وان هذا الايمان القلبي يجب ان يلازمه عمل ظاهر كما أوصى بذلك القرآن والنبي. وفي هذا الموقف يقترب الوهابيون كثيراً من بعض الفلاسفة العقليين الغربيين. ففي العصر الوسيط كان الفلاسفة التقليديون يقولون: اؤمن كي أعقل». أما ديكارت، رائد المنهج العقلي في العصور الحديثة، فانه يستثني الدين والكتاب المقدس والعقائد الكنسية من التزام هذا المنهج، ويدعو إلى المحافظة على الموروث منها والإبقاء على التقاليد القديمة والتمسك بها(٩).

أما هيجل فانه يجعل من العقل مبرراً للايمان، بينما كان فلاسفة عصر التنوير يقولون بان العقل والايمان متعارضان. أي ان هناك تعارضاً بين الدين والفلسفة. ويرى هيجل بان فلسفة الدين ضرورية لحل هذا التعارض بين الايمان والعقل، وان وظيفة العقل هي الدخول في أعماق الايمان لمحو هذا التعارض بين الاتجاهين. ويقول أيضاً: «ان مضمون الدين هو الله، وبالتالي يكون الحديث عن الدين هو حديث عن الله ويكون التسليم بالدين هو ايمان مسبق بالله». أما مهمة الفلسفة فتقتصر على فهم الدين من الداخل، وليس الوقوف أمامه من الخارج ورفض كل إيمان مسبق. «ان مهمة الفلسفة عند هيجل هي تبرير اللاهوت وتثبيت عقائد الكنيسة ومضمونها(١٠)».

فالايمان عنده أول صور اليقين، ومن ثم فرق بين الايمان والمعرفة فما اعتقده أعرفه. إذاً الايمان معرفة. ففي الايمان تظهر الحياة والحركة والتطور والإرتقاء،

---

(٨) المرجع السابق ص ٤.
(٩) راجع مقال الدكتور حسن حنفي في مجلة تراث الانسانية مجلد ٨ ص ٣٨٣ وما بعدها.
(١٠) المرجع نفسه ص ٣٩٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن ثم فلا حاجة للمعجزات. وقد أنب المسيح اليهود الذين لم يؤمنوا إلا بالمعجزات، وطالبهم بالايمان بالروح، لأن المعجزة لا تعطي الايمان بل ان الايمان هو السبيل إلى رؤية الأشياء على حقيقتها. أي ان هيجل جعل الايمان أساساً للعقل، أو العقل خادماً للايمان.

ويقترب الوهابيون كثيراً من هذا الرأي الهيجلي حين يقولون بانه يجب قبول كل شيء جاء في القرآن والسنة بدون مناقشة، لأن القرآن وحي من الله ومصدر الحقيقة الأبدية للعقيدة الإسلامية والسنة مستمدة منه ويجب الايمان بها دون تساؤل.

لقد أوصى النبي محمد أصحابه بعدم الدخول في جدل قضايا العقيدة ومنها القدر. وقال لهم: «إذا جاء ذكر القدر فامسكوا»، لانه كان يعلم بان معضلة القدر من المعضلات الفلسفية العالية التي لا يتيسر الرد عليها بعلوم عصره... وان الجدل سوف ينزلق بأصحابه إلى متاهات يضيعون فيها. ولهذا فضّل الايمان بالقلب على الثرثرة العقلية العقيمة[11].

(١١) مصطفى محمود القرآن ص ١٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الثامن

موقفهم من التوحيد وقضاياه

التوحيد أساس الإسلام وجوهره، والمحور المركزي الذي تدور عليه جميع الأشياء في النظرة الإسلامية إلى الوجود، وبدونه لا يكون المسلم مسلماً ولو آمن بجميع أصوله وفروعه[1].

ومفهوم الوحدانية الالهية في الإسلام منزه تماما عن التصورات الوثنية للآلهة التي كانت منتشرة بين شعوب كثيرة في العالم القديم. وكانت هذه المسألة مثار بحث عند الفلاسفة والفقهاء المسلمين لاتصالها بقضايا أخرى جوهرية أثار معظمها المتكلمون مثل: الصفات، والتجسيم، وقدم العالم، وكلام الله، ورؤيته، والتوسل والشفاعة والاستغاثة وغيرها...

وقد تبين للشيخ محمد بن عبد الوهاب خلال رحلاته الاستقصائية عن أحوال المسلمين بأن خرافات وطقوساً وأفكاراً وثنية كثيرة غزت عقولهم وشوهت عقائدهم القرآنية. ورأى كم ابتعد هؤلاء عن ينابيع دينهم الحقيقية، وخاصة التوحيد، وكيف عصفت بهم رواسب العقائد الوثنية الجاهلية التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم، ولم يستطيعوا التفلت من قيودها، فأدت بهم إلى التفتت السياسي والاجتماعي والضياع الروحي...

---

(١) سيد حسين نصر: الصوفية بين الأمس واليوم، ترجمة كمال يازجي، الدار المتحدة للنشر، بيروت. ١٩٧٥ ص١٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لقد رآهم ينذرون ويتعبدون ويذبحون لغير الله، ويتخذون من بعض المتعبدين أولياء هم يطوفون بأضرحتهم، ويستغيثون بهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات... إلى غير ذلك من الطقوس الغريبة عن الإسلام كل الغرابة.

كان ذلك في رأي ابن عبدالوهاب قمة الضلال والإنحراف عن صراط الله وتعاليمه، وصورة مثيرة ومشوهة لها لا يمكن أن يقبلها ذهن انسان عاقل بأي حال من الأحوال.

تأججت في نفس الشيخ روح الثورة ضد هذه الطقوس الوثنية مثلما فعل قبله أستاذه تقي الدين بن تيمية. فكانت مهمته الأولى بعد رجوعه من رحلاته هي شرح معنى التوحيد الآلهي كما جاء في القرآن، وفهمه النبي وصحابته ـ فوضع كتاباً سمّاه «التوحيد»، جمع فيه الآيات والأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه، وكشف الشرك والتحذيرات منه. لكن مفهوم الشيخ محمد للتوحيد لا يتركز في هذا الكتاب فقط وإنما يبدو في عمق أكبر وجلاء أكثر في عدد من رسائله التي اتبع فيها خطى أستاذه ابن تيمية، وتجاوزه أحيانا في قوة التركيز والوضوح.

وقد اعتبر الوهابيون التوحيد عنوان دعوتهم ومفتاح عقيدتهم، ومن أجل ذلك سموا بالموحدين. والوحدانية في الإسلام لها شعب ثلاث:

١ ـ وحدانية العبادة.
٢ ـ وحدانية الخلق.
٣ ـ وحدانية الذات والصفات.

وحدانية العبادة:

يقول الوهابيون بان العبادة يجب ان توجه إلى الله وحده وألا يشرك معه أحد. وهم بذلك متفقون مع جمهور المسلمين. وهذا معنى لا إله إلا الله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ (سورة الجن)[٨١].

ويترتب على وحدانية العبادة أمران:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أ ـ ألا يعبد إلا الله لأن اشراك أي شخص أو شيء في عبادته معناه الكفر بما أوصى به في كتابه وعلى لسان رسوله، إذ هو الإلٰه الحق المستقل بالربوبية، ومن سوى بينه وبين أحد المخلوقات في شيء من العبادة فقد أشرك، وان كان يعتقد بوحدانية الخالق. فالمشركون من العرب «كانوا يؤمنون بوحدانية الله وبانه خالق السموات والأرض». استناداً إلى قوله تعالى في سورة (لقمان الآية ٢٥) ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾. ومع ذلك سموا مشركين لانهم عبدوا مع الله غيره. والقرآن مليء بالآيات التي ترد على من أشرك بالله في عبادته ووحدانيته.

ب ـ ان نعبد الله حسبما شرّعه في كتابه وعلى ألسنة رسله، وان نمتنع عن تقديس أي مخلوق من المخلوقات حتى لا يصبح شريكاً في العبادة. يقول ابن تيمية: «الدعاء من جملة العبادات فمن دعا المخلوقين من الموتى والقائمين واستغاث بهم، كان مبتدعاً في الدين، مشركاً برب العالمين، متبعاً غير سبيل المؤمنين، ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعاً بدعة ما أنزل بها من سلطان».

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب فالعبادة عنده إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله؟ قلت: «من أنواعها: الدعاء، الاستغاثة، ذبح القربان، النذر، الخوف، الرجاء، التوكل الانابة، المحبة، الخشية، الرغبة، التأله، الركوع، السجود، الخشوع، التذلل، التعظيم، الذي هو من خصائص الالهية». ويضيف قائلاً: «ان من صرف شيئاً من أنواع هذه العبادات لغير الله وقع في الشرك، وقذف بحق الله وانحرف عن حقيقته الأبدية»[٢].

وقد بنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا المفهوم لوحدانية العبادة ثلاثة أمور كان قد تبناها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية وهي:

---

(٢) منير العجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية. ج ١ص ٢٥٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١ ـ منع التقرب إلى الله بالأولياء الصالحين.

٢ ـ منع الاستغاثة والتوسل إلى الله بالموتى من البشر وبالأشياء المخلوقة والأحجار والأشجار وغيرها.

٣ ـ منع زيارة قبور الصالحين والأولياء والأنبياء للتبرك والتقديس.

ـ منع التقرب إلى الله بالأولياء والصالحين:

أفرط كثير من المسلمين خلال عصورهم المتعاقبة في تكريم أشياء أو أشخاص لا صلة لهم بالعقيدة الإسلامية، ورفعوهم إلى مرتبة القداسة التي لا تتفق مع الشرع بأي حال من الأحوال.

وقد شدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب النكير في ذلك واعتبره مدنساً لمبدأ التوحيد ومنافياً له، بل عده نوعاً من الشرك، وبدعة في الدين، لانه لم يرد أي ذكر له في القرآن أو السنة.

يقول في كتاب أرسله إلى شريف مكة أحمد بن سعيد: «فان الله تبارك وتعالى أرسل محمداً ﷺ، إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله إلى الدين الكامل، والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره، وزبدته هو اخلاص الدين لله بعبادته لا شريك له، والنهي عن الشرك، وهو ان لا يُدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلاً عن غيرهم، من ذلك انه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له أو لا يحلف إلا به، ولا يذبح إلا له، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له.

وهذا أمر هين عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه، فمن عرف هذه المسألة عرف ان أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم[٣].

فالامام محمد بن عبدالوهاب لا ينكر كرامات الأولياء ومكانتهم، بل يقرها ويعترف بالمكاشفات التي يعطيها الله لهم، وما يجري على أيديهم من خوارق

---

(٣) امين السعيد: سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ط ١ ص ٤٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العادات، ولكن ذلك لا يسوغ اتخاذهم وسائط بين الله والبشر.

يقول في رسالة إلى أهل القصيم: «واترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات إلا انهم لا يستحقون من حق الله شيئاً. ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله»(٤).

ويقول أحد علماء الدعوة الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن. «فالله غني عن كل ما سواه وكل ما سواه مفتقر إليه، وانه قائم بالقسط على خلقه، وانه المنفرد بتدبير خلقه، لا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته، فلا يحتاج في رحمته من يستعطفه. وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فانهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم، ومن يعينهم على قضاء حوائجهم، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجاتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم. فأما القادر على كل شيء، الغني بذاته عن كل شيء، العالم بكل شيء، الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقيض لحق ربوبيته وألوهيته وتوحيده، وظن به ظن السوء. وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده، ويتمنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح»(٥).

فالله عند الوهابيين لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين البشر بل توجه الدعوات إليه مباشرة. والأساس في ذلك ان ولاية الله تعالى المذكورة في قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، (يونس ٦٢)، هي التقوى والايمان كما ورد في الآية ٦٣ من سورة يونس ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ والآية ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾.

فالأولياء ليسوا معفيين من أحكام الشرع، بل مطالبون به لأن كل انسان في هذا العالم مسؤول عن عمله، ولا يتقرب إلى الله بالالتجاء إلى ولي والتزلف إليه. فالتوسل إلى الله بعباده غير جائز في الدين، لأن الله لا يقبل من أي انسان

---

(٤) منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٢٤٨.
(٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ـ الشيخ عبداللطيف ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلا عمله. والسيئات لا تمحى بالاستغاثة وبطلب المغفرة من نبي أو ولي، إنما يغفر الله الذنوب لكل من تاب أو أناب، وأقلع عن المعصية وسلك سبيل المؤمنين. ومن أجل ذلك نهى النبي محمد عن ان يستغفر للمشركين، كما جاء في الآية: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (التوبة ١١٣).

شفاعة النبي:

ان الكلام في منع التقرب إلى الله بالأولياء والصالحين، يقودنا إلى البحث في شفاعة النبي(ﷺ): هل هي مستجابة عند الله، وما موقف الوهابيين منها؟

ينطلق الوهابيون في تفسيرهم للشفاعة من قاعدة هامة مؤداها ان الله أعطى الانسان الإرادة والفهم والحياة، ورتب عليه مسؤولية مطلقة عن أعماله في هذا العالم ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾. (سورة الزلزلة آية ٧).

فالله وضع للبشر قواعد للسلوك في الدين والدنيا وبين لهم الخير والشر وأعطاهم حق الاختيار بين الطريقين. وهذه ثقة كبرى وتكريم عظيم من الله للانسان. تقول الآية ١٠٨ من سورة يونس ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾.

لقد اتفق المسلمون على الشفاعة لكنهم اختلفوا في المشفوع له. فالمحدّثون والأشاعرة والأمامية، ذهبوا إلى انها لأهل الكبائر من المسلمين. بينما قال المعتزلة بانها لزيادة ثواب المؤمنين المستحقين للجنة، واستدلوا على انها لا تمحي ذنوب العصاة بقوله تعالى، في سورة البقرة ١٢٣ ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها عدل، ولا تنفعها شفاعة﴾. وبقوله في سورة آل عمران آية ١٩٢ ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ وفي سورة غافر آية ١٨: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾. وبقوله في سورة الأنبياء آية ٢٨: ﴿لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الانسان لا ينفعه سوى عمله وطاعته للأوامر الالهية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقال ان الصحابة كانوا يستشفعون بالنبي (ﷺ) ويتوسلون في حياته بحضرته. وقد روى البخاري في صحيحه عن انس بن مالك، ان عمر بن الخطاب كان إذا قحط الناس يستقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». وروى أيضاً ان رجلاً قال لرسول الله: «إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك»، فرد النبي قائلا: «ويحك أتدري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك»(٦).

أما الوهابيون فانهم يؤمنون بشفاعة النبي ويعدون منكرها من أهل البدع والضلال لكنها شفاعة مشروطة بإذن الله ورضوانه. يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى أهل القصيم: «وأؤمن بشفاعة النبي (ﷺ) وانه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي (ﷺ) إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى تحقيقاً لقوله تعالى في سورة النجم آية ٢٦: ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾. فهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله. وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ (المدثر آية ٤٨).

بهذا الموقف يكون الوهابيون قد سووا بين الناس جميعاً أمام الحضرة الالهية لان ﴿من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت: ٤٦).

منع الاستغاثة والتوسل بالموتى وزيارة قبور الصالحين:

لم يكن السلفيون يجيزون الاستغاثة بغير الله ولا التوسل بالأحياء والأموات وغيرهم من المخلوقات. ويقال ان النبي محمد(ﷺ) نفسه منع الاستغاثة به، كما روى ذلك الطبراني في معجمه الكبير بقوله: ان منافقاً كان يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر: قوموا نستغث برسول الله من هذا المنافق، فأجابه النبي (ﷺ): «انه

---

(٦) ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»(٧). وهذا معناه كما يقول ابن تيمية ان ما لا يقدر عليه البشر لا يجوز ان يطلب إلا من الله، وليس من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم. ولا يجوز ان يقال لغير الله أغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهد قلوبنا. فالمغفرة يجب ان تكون من الله مباشرة. وقد ذكر ابن تيمية ان أبا يزيد البسطامي كان يقول «استغاثة المخلوق بالمخلوق كالاستغاثة بالغريق». والوهابيون يؤيدون هذا الرأي، ويأخذون به ويشنون هجوماً عنيفاً على كل ما ينافيه. إذ كيف يجوز لانسان ان يستغيث بانسان أصبح جسداً ماتت فيه الحياة وتحلل إلى رمة من تراب؟ وكيف يجوز ان نقف على القبور نتوسل الموتى ونطلب شفاعتهم كما كان يقف الجاهليون على أطلالهم بأسى وتفجع؟. ان كل هذا نوع من الشرك بالله نهى عنه الإسلام وحذر منه.

يقول الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن في إحدى رسائله: «لما وقع في آخر هذه الأمة ما أخبر به نبيها من اتباع سنن من قبلها من أهل الكتاب، وفارس والروم، وتزايدت تلك السنن حتى وقع الغلو في الدين، وعبدت قبور الأولياء والصالحين، وجعلت أوثاناً تقصد من دون الله رب العالمين، عظمها قوم لم يعرفوا حقيقة الإسلام، ولم يشموا رائحة العلم، ولم يحصلوا على شيء من نور النبوة، ولم يفهموا شيئاً من أخبار الأمم قبلهم، وكيف كان بدء شركهم ومنتهى نحلتهم، وحقيقة طريقتهم، وما هذا الذي عابه القرآن عليهم وذمه، وتلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين بأن دس عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية والألفاظ اللغوية، فسمى الشرك وعبادة الصالحين توسلا ونداء وحسن اعتقاد في الأولياء وتشفعاً بهم واستظهاراً بأورادهم الشريفة، فاستجاب لهم صبيان العقول وخفافيش البصائر وداروا مع الأسماء ولم يقفوا مع الحقائق، فعادت عبادة الأولياء والصالحين، ودعاء الأوثان والشياطين، كما كانت قبل النبوة، وفي أزمان الفترة حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة، وهذا من أعلام النبوة كما ذكره غير واحد، ولم يزل ذلك في ظهور وازدياد حتى عم ضرره وبلغ

---

(٧) ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. ص ٩٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شره الحاضر والباد، ففي كل اقليم وكل مدينة وقرية ممن ينتسب إلى الإسلام ولائج يدعونهم مع الله ويلتمسون بدعائمهم قرب الرب ورضاه، ويفزعون إليهم في المهمات والشدائد ويلوذون بهم في النوائب والحاجات، وبعضهم لا يرد مطلوبة من جهة الأولياء والانداد، وقد رأينا وسمعنا في ذلك ما يعز حصره واستقصاؤه»[٨].

منع زيارة قبور الصالحين والأولياء والأنبياء للتبرك والتقديس:

قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتباعه بهدم القباب التي كانت تظلل قبور زيد بن الخطاب وبعض الصالحين، لان الناس كانوا يعظمونها وينذرون لأصحابها النذور ويذبحون الذبائح ويستغيثون بهم ويستشفعون. وكانت غاية الشيخ من وراء ذلك «سد الذرائع وازالة سبب من أسباب الشرك، بمنع الناس من قصد تلك الأماكن».

ولكن خصوم الشيخ يومئذ أشاعوا بانه نبش قبور الصالحين والصحابة وأزال أضرحتهم لانه لا يحبهم ولا يكرمهم. وهذا مخالف للواقع، إذ ان الشيخ كما قلنا لا يقذف بحق أحد من الصالحين، ولم ينبش قبر أحد منهم، بل أزال القباب التي تظللها، خلافاً لسنة النبي الذي أمر بتسوية القبور: «خير القبور الدوارس»، منعاً لما كان يحدث عندها من المفاسد.

أما زيارة قبر النبي (ﷺ) فقد حدث حولها لغط كثير. والمعروف ان الحج، أحد أركان الإسلام، ومن طقوسه زيارة قبر النبي وإقامة الشعائر حوله. وورد عن النبي قوله «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». لذلك اتفق الأئمة على عدم جواز لمس قبر النبي محمد ولا تقبيله. وكانت الروضة النبوية منفصلة عن مسجده إلى زمن الوليد بن عبدالملك، ولم يكن أحد يدخلها ليتمسح بقبر النبي ولا يدعو بأي دعاء فيها.

كان ابن تيمية أشد الناس معارضة لزيارة قبور الصالحين والأولياء والأنبياء

---

(٨) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣ ص ٧٥ ـ ٧٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والسفر إليها. ولم يستثن الروضة النبوية من حكمه، استناداً إلى الحديث الشريف: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». ومعنى ذلك ان السفر إلى هذه المساجد مستحب، أما السفر إلى غيرها فمنهى عنه. وقد رفض النبي محمد (ﷺ) ان يكون قبره موضع تقديس فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وهذا هو السبب الذي حدا بالنبي ان يختار مدفنه في مسكنه أي في حجرة عائشة.

ان أساس اعتقاد ابن تيمية بهذا الرأي، هو إفراد الله وحده بالعبادة والبعد عن الوثنية وكل ذرائعها. أما الأحاديث الواردة عن النبي والتي تحث على زيارة قبره والسؤال بجاهه، مثل «إذا سألتم الله فأسألوه بجاهي فإنّ جاهي عند الله عظيم». أو «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي». أو «من زارني ضمنت له على الله الجنة». فهي في رأي ابن تيمية أحاديث منحولة وباطلة ولا يقوم عليها أي دليل(٩).

التزم الوهابيون برأي ابن تيمية هذا، لكنهم أجازوا الزيارة بشرط ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله: «إذا عرفت أقوال العلماء في هذه المسألة فاعلم ان الزائر إذا نوى بالزيارة التي فيها شد الرحل لسفر زيارة مسجد رسول الله ﷺ صار ذلك به سفر طاعة باجماع العلماء رحمهم الله، ويحصل له زيارة قبر النبي ﷺ تبعاً إذا وصل المسجد وفعل ما المشروع من البداءة بتحية المسجد، ثم سلم على رسول الله ﷺ، والزيارة والسلام على صاحبيه رضي الله عنهما، وذلك لا محظور فيه بوجه بل هو مصلحة محضة فأي محظور في تحصيل المصلحة المطلوبة على وجه صحيح بالاجماع والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً(١٠).

وهكذا فان الوهابيين لا يمنعون زيارة قبر النبي، بل يوافقون عليها بالشروط التي ذكرها الشرع...

---

(٩) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. ج ٣٠ ص ٣٢٥.
(١٠) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. رسائل وفتاوي الشيخ عبدالرحمن بن حسن ص ٥٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وحدانية الخلق والتكوين:

تعني هذه الوحدانية ان الله هو خالق جميع الكائنات، لا شريك لـه في الملك ولا منازع له في السلطان، ولا إرادة لأي مخلوق تنـازع ارادته. هـو مصدر كـل شيء، وإليه كل شيء يعود. وهذا ما أشارت إليه الآيات: ﴿لـو كان فيهـما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾، (الأنبياء ٢٢). والآية ﴿ان الله لا يخفى عليـه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ (آل عمـران ٥) والآيـة ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشـاء، لا إله إلا هـو العزيـز الحكيم﴾. (آل عمران ٦).

ويندرج تحت هذا القسم من الـوحدانيـة قضـايـا الجـبر والاختيـار، والخـير والشر، والعدل الآلهي.

الجبر والاختيار:

جـرى حوار خصيب بـين الفرق الإسـلامية المختلفـة حـول مـوضـوع الجـبر والاختيار وهي قضية شغلت الفلاسفة ورجال الدين في مختلف عصور التاريخ، ومـا زالت حتى اليوم أحـد أهم المواضيـع الفلسفية المعقـدة. وقـد أثـيرت عنـد المسلمـين منذ الخـلاف بين عـلي ومعاويـة عـلى الخـلافـة، واختـلاطهم بـالأمم والشعوب أصحاب الديانات القديمـة الذين أسلمـوا وفي أذهانهم رواسب كثـيرة من معتقداتهم السالفة. وقد تكلم فيها من قبل فـلاسفة اليـونان، ونقلهـا عنهم السريان، وخاض فيها الزردشتيون، وبحث فيها النصارى. وجوهر هذه المسألة يتلخص في السؤال التالي: هل للانسان إرادة حرة يختار بهـا ويترك مـا يشاء من الأفعال، فيتحمل مسؤولية عمله، وينال الثـواب والعقاب في الآخـرة بناء عـلى العدل الإلهي الذي يجازى فيه كل إنسان حسب عمله؟ أم ان هذا الانسان مجبر عـلى عمله ومسيّر كـالآلـة، وارادتـه معلولـة بعلل، فـإذا حصلت العلة حصـل المعلول لا محالة؟

لقـد ورد في القرآن آيـات كثيرة تـوحي بالاختيـار وحريـة الإرادة، وبـالتـالي بمسؤولية الانسان عن عمله، مثل قوله تعالى في سـورة الكهف آية ٢٩: ﴿وقـل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر﴾. وفي سورة الزلزلة آية ٧- ٨: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾

وقوله أيضاً في سورة فاطر آية ١٨: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. وفي سورة النساء آية ١٢٣ ﴿ومن يعمل سوءاً يجزَ به﴾. وفي سورة البقرة آية ٢٨٦: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾. ووردت آيات أخرى تشير إلى الجبر المطلق وتعطيل إرادة الانسان عن العمل مثل الآية: ﴿ان كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر آية ٤٩). والآية ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (الحديد ٢٨)، والآية: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ (الرعد ٨).

ويتفق ان تحتوي الآية الواحدة على تأكيد للجبر والاختيار معاً مثل قوله تعالى في سورة آل عمران آية ١٦٥: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير﴾. وقوله في سورة النساء آية ٧٩: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. وقوله في سورة الرعد آية ١١: ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

يتبين من ظاهر هذه الآيات وجود تعارض فيما بينها ولذلك انقسم المسلمون في فهم هذه القضية إلى فريقين رئيسين: أهل الاختيار وأهل الجبر.

أهل الاختيار:

على الرغم من نهي النبي عن الخوض في موضوع القدر بقوله: «إذا جاء ذكر القدر فامسكوا»، وإيمانه المطلق بالقضاء والقدر: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه». فقد ظهر في الإسلام قوم يقولون بحرية الإرادة الانسانية وبقدرة الإنسان على خلق أفعاله، معارضين بذلك الفكرة الشائعة بان الإنسان مسيّر لا مخيّر. وأطلق على هؤلاء اسم «القدرية».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقيل بان معبد الجهني وغيلان الدمشقي كانا أسبق الناس في الإسلام قولاً بالقدر، وان أكثر الخوض فيه كان بالبصرة والشام وبعضه في المدينة، كما يقول ابن تيمية.

أهل الجبر:

ظهرت طائفة الجبرية تعارض هؤلاء القدرية، وكان على رأسهم جهم بن صفوان الذي قال بان الانسان مجبر على أعماله، لا اختيار له فيها ولا قدرة، **ولا يستطيع ان يعمل غير ما عمل، وان الله قدر عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه،** لأنه يخلق فيه الأفعال كما يخلق الحركة في الجماد. «فكما يجري الماء ويتحرك الهواء ويسقط الحجر، كذلك تصدر الأفعال عن الانسان، يصدرها الله فيه وتنسب إلى الانسان مجازاً كما تنسب إلى الجمادات. فكما يقال «أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وطلعت الشمس، وأمطرت السماء، وأنبتت الأرض، كذلك يقال: كتب محمد وقضى القاضي، وأطاع فلان فلاناً، وعصى فلاناً، كلها من فرع واحد على طريق المجاز، والثواب والعقاب جبر، كما ان الانسان جبر، والله قدر لفلان فعل كذا وقدر له ان يثاب، وقدر على الآخر المعصية وقدر ان يعاقب[11]».

تضمن هذا الرأي كثيراً من التطرف والخطورة لانه يدعو إلى تعطيل الإرادة الانسانية وترك العمل والركون إلى القدر، وهبوط الانسان إلى مرتبة الجماد. لذلك نهض كثير من العلماء للرد على جهم ومقاومة حركته التي تدعو أيضاً إلى المغالاة في تأويل الآيات التي تثبت لله الصفات. وعلى أنقاض القدرية والجهمية قام مذهب جديد هو مذهب الاعتزال، فأخذ عن القدرية قولهم بان الانسان قدرة توجد الفعل بمفردها واستقلالها عن الله حتى يتحقق العدل الإلهي في الثواب والعقاب. وأنكر بان تكون الأشياء بقدر الله وقضائه. وأخذ عن الجهمية نفيهم للصفات الإلهية والقول بخلق القرآن.

---

(١١) احمد امين: فجر الإسلام. ط ٩ ـ ١٩٦٤ ص ٢٨٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رأي المعتزلة:

يرى معظم المعتزلة ان للانسان قدرة على خلق أكثر أفعاله الاختيارية التي يتردد فيها أمام الفعل أو عدمه، حتى إذا فعلها كان هو مصدرها وفاعلها. أما الأفعال اللاإرادية، مثل رعشة اليد وغيرها من الأفعال المنعكسة، فلا يمكن أن يقال بأن الانسان صنعها بملء حريته واختياره. فالأفعال الارادية أولى ان تنسب إلى الانسان من ان تنسب إلى الله، إذ لو كان الله مصدرها كما يقول أهل الجبر فليس هناك ما يدعو إلى مسؤولية هذا الانسان عنها وبالتالي إلى عقابه أو ثوابه عليها. إذ كيف يثاب أو يعاقب من لم يفعل في حقيقة الأمر خيراً أو شراً من تلقاء نفسه، بل أتى بعمل أجراه الله على يديه دون ان تكون لارادته أي تأثير في القيام به؟

هذه باختصار وجهة نظر المعتزلة في القضية، وهي نظرية اخلاقية تعتمد على آيات قرآنية كثيرة منها: ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ والآية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ والآية ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فهذه الآيات كما يقول المعتزلة تثبت مسؤولية الانسان عن عمله. وهذه المسؤولية تقتضي حرية الإرادة في الأفعال وهذا عدل من الله وتكريم للانسان. ومن أجل ذلك جعل المعتزلة العدل أحد أصولهم الاربعة.

رأي الأشاعرة:

رفض الأشعري أفكار الجبرية والمعتزلة وحاول ان يشق طريقاً وسطاً بينهما، فقال كالمعتزلة بوجود نوعين من الأفعال: إرادية، وغير إرادية. ففي الأفعال غير الإرادية يشعر الانسان بعجزه عن منع وقوعها، مما يدل على أنّها غير خاضعة له وأن لا إرادة له فيها، ومن ثم لا يسأل عنها. أما الأفعال الإرادية فيشعر بالقدرة على التحكم بها. وهذا يدل على ان له قدرة يستطيع ممارستها، بوعي وإرادة، وبها يكتسب أفعاله.

ولكن هل الكسب عند الأشعري مختلف عن الخلق؟ يقول الأشعري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأنصاره بان الكسب معناه اقتران قدرة العبد بفعل الله، أي ان الانسان إذا أراد ان يفعل فعلاً من الأفعال فان الله يخلق له في اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل. بمعنى ان قدرة الانسان لا تعدو ان تكون أداة تستخدمها قدرة الله لتنفيذها الفعل الذي يريده العبد. وقد ظن الأشعري انه بهذا التفسير استطاع حل المشكلة، وبرهن على فساد رأي الجبرية والمعتزلة، ووجد حلاً لمشكلة الثواب والعقاب، لانه متى ثبت ان للعبد قدرة فان ذلك دليل على انه مسؤول عما يكتسب.

ومن الملاحظ ان الأشعري يؤكد بان الفعل مخلوق من الله وليس من الانسان، وانه يتم عند وجود قدرة الانسان على اكتسابه من الله. وهذا يعني ان الانسان ليست لديه القدرة على خلق أفعاله، ويعترف كأهل الجبر بان الله هو الذي يخلق أفعال العباد باعتباره خالق كل شيء. وقد فطن ابن تيمية إلى هذه الناحية ووصف الأشعري بانه جهمي.

رأي الامام أحمد بن حنبل والسلفيين:

ينطلق موقف الامام أحمد في هذه القضية من مبدأ هام وهو الايمان العميق بالله وكتبه ورسله. ذلك ان الله لم يخلق الإنسان في هذا العالم ويتركه سدى ﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾، بل شمله بعطفه ورحمته، كما يشمل الأب أبناءه، والراعي رعيته، فرسم له الطريق التي تقوده إلى السعادة في الدنيا والآخرة. وهذا الايمان المطلق بالله هو الذي جعل الامام أحمد يفوض اموره إليه فيما غاب أو حضر، وان كان يتخذ الأهبة لما يحضره من الأمور، فلا يكون من الذين يتمنون الأماني، ويستسلمون ولا يعملون، بل يعمل ويتوكل على ربه، مؤمناً بقدرته وبالقدر خيره وشره. فهو لم يتخذ موقفاً سلبياً من العالم والحياة ولم يمنعه إيمانه العميق بالقضاء والقدر من السعي والعمل وتحمل مسؤوليات وجوده. لكنه أرسى هذا السلوك على مبدأ اخلاقي، وهو الثقة المطلقة بالله الذي يريد للناس اليسر ولا يريد لهم العسر، وبالقرآن الذي يحوي قواعد اخلاقية هدفها إسعاد البشر في الدنيا والآخرة. وقد ذكر عنه قوله: «اجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الله، على ان السنة التي توفي عليها رسول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله ﷺ أولها الرضى بقضاء الله، والتسليم بأمره، والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به، والبعد عما نهى عنه، واخلاص العمل لله، والايمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين[١٢]».

فقد مقت ابن حنبل الجدال في قضايا الدين خوفاً من الضياع في متاهات غامضة ومعقدة أحياناً. فعندما نكون مؤمنين فمعنى ذلك ان نكون لنا ثقة مطلقة بالله، باعتباره منبع الخير والحق، وما يصدر عنه فهو حق مطلق وخير مطلق، فلماذا الجدال فيه إذاً؟

والامام احمد إذ يؤمن بالقدر خيره وشره يقرر بان علم الله وقدرته يشملان كل شيء في الكون، وما يفعله الانسان فبقدرة الله وبإرادته. وهو بذلك يخالف تفكير القدرية مخالفة تامة ويشارك في رأيه جمهور المسلمين وأهل الفقه الذين يقولون باستحالة وقوع أي شيء في العالم بدون إرادة الله وقدرته.

والامام أحمد عندما يهاجم أفكار القدرية، فانه لا يلجأ إلى الأدلة العقلية لإبطالها، بل يرى ان ما ثبت بالقرآن والسنة لا يحتاج إلى دليل، وان السنة أمرت بوجوب الايمان بالقدر خيره وشره، والابتعاد عن الخوض في تفاصيله وقضاياه: «لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب، أو حديث عن رسول ﷺ، أو عن أصحابه، فأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود[١٣]».

أما رأي ابن تيمية في هذه المسألة فلا يخرج عما قاله ابن حنبل والسلف الصالح. لكنه يفلسف أفكاره ليرد على خصومه المتمنطقين بسلاح العقل. وقد درس آراء جميع الذين سبقوه في مسألة القدر، وحللها، فوجد أكثرها بعيداً عن الحقيقة كما يتصورها. فأيد معتقد أهل السلف، أي الايمان بالقضاء والقدر، وبمسؤولية الانسان من أعماله الخيرة والشريرة، لأن الله يعلم بكل شاردة وواردة تحدث في خلقه، وان الآثار عن الصحابة والتابعين قد أشارت إلى ذلك، فحق

---

(١٢) ابن الجوزي: المناقب ص ١٧٦.
(١٣) ابن الجوزي: المناقب ص ١٥٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على المؤمنين التسليم بها، وكفى بذلك دليلاً وبرهاناً، ولا حجة وراء ذلك.

ثم تعرض ابن تيمية للقائلين بالجبر وفند آراءهم، فاستحسن بعضها، وهاجم البعض الآخر قائلاً:

هؤلاء قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف أثبتوا القدر وآمنوا بان الله رب كل شيء ومليكه، وانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وانه خالق كل شيء، وهذا حسن وصواب، ولكنهم قصروا في الأمر والنهي والوعد والوعيد، وأفرطوا حتى غلا بهم إلى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء[١٤]﴾.

وتعرض بعد ذلك للقدرية، فبين آراءهم وحللها، ونفى صحة الحديث المروي: «القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم لم يقولوا بوجود قوتين في العالم، قوة للخير وقوة للشر، ولا حكموا بان المعصية من العبد لا من الله».

ومن نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم، فلم يقله أحد من علماء القدرية، ولا يمكن ان يقوله، «فان أصل قوله ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلتاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بإرادة خلقها فيه مختص بأحدهما، ولا قدرة جعلها فيه تختص بأحدهما[١٥]». ثم يدرس رأي الأشاعرة، ويعتبرهم من القائلين بالجبر، ولا يرى في قولهم بأن الأفعال مخلوقة لله والكسب للعبد، ما ينفي عنهم صفة الجبر.

وينتقد تفريقهم بين الفعل والكسب، لان الكسب ان كان مجرد اقتران لا تأثير له فهو لا يصلح مناطاً لتحمل المسؤولية واستحقاق العقاب والثواب. وان كان فعلاً له تأثير وتوجيه، وإيجاد وإحداث وصنع وعمل فهو مقدور، فان قلت لله فهو جبر، وان قلت للعبد فهو اعتزال[١٦].

---

(١٤) ابن تيمية: الرسائل والمسائل، ج ٥ ص ١٢٨ طبعة المنار.
(١٥) راجع، ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ١٤١.
(١٦) المصدر السابق ص ١٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وعندما يتكلم عن المعتزلة فانه لا يهاجمهم، بل يجدهم أقرب إلى مذهب أهل السلف من الأشاعرة وأهل الجبر، فيقول:

«هـذا المقام وأي مقـام، زلت فيـه أقـدام، وضلت فيـه أفهـام، وبـدل دين المسلمين، والتبس فيه أهل التوحيـد بعباد الأصنـام على كثـير ممن يدعـون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام، ومعلوم عن كل من يؤمن بـالله ورسولـه ان المعتزلة والشيعة والقدرية المثبتين للأمر والنهي والـوعد والـوعيد خـير ممن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق، والمتنبي الكاذب وأولياء الله وأعدائه الذين ذمهم السلف، بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الحـلال في كتاب «السنة والرد على القدرية[١٧]».

ما هو مذهب السلف في هذه القضية؟

لقـد قرر ابن تيميـة بان مـذهب السلف الصالـح هو الايمـان بـالقـدر خـيره وشره، وشمول قدرة الله الكون والعباد أجمعين، وان الله خلق الانسان وكـل ما يحمله من قوى، وان هذا الانسان يفعل ما يشاء بقـدرته ومشيئتـه: «ان مذهب سلف الأمـة، مع قـولهم: الله خلق كل شيء وانـه خلق العبد هلوعـا إذا مسـه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، ونحو ذلك، إلا ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئـة وقدرة. وقـال تعالى: ﴿لمن شـاء منكم ان يستقيم، وما تشـاؤون إلا ان يشاء الله رب العالمين﴾. وقال تعالى: ﴿ان هذه تـذكرة فمن شـاء اتخذ إلى ربـه سبيلاً، وما تشاؤون إلا ان يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾[١٨].

ان ابن تيمية في هذا القول «يعمم إرادة الله، ويثبت القدرة للانسان، ولكنـه يقر بشمول الإرادة الإلهية لكل شيء كما هو ثابت في النصوص، ويقر في الوقت نفسـه بثبات القـدرة الانسانيـة بالحس والشعـور. ولا يمكن انكـار مـا جـاء بـه النص، وما يمثله الحس والشعور، وان الناس بسبب ذلك يتحملون مسؤوليـات أعمالهم في هذه الدنيا ولا يحتج بقدرة الله وقضائه، وان القدر لازم لا مناص منه

---

(١٧) نفس المصدر ص ١٣٠.
(١٨) ابن تيمية: الرسائل والمسائل ج ٥ ص ١٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلا عندما يغالط حسه، ويكابر نفسه، فليس لأحد أن يحتج في الذنوب بقدر الله تعالى بل عليه ألا يفعلها، وإذا فعلها فعليه ان يتوب منها»[١٩].

ويقول ابن تيمية أيضاً: «من المستقر في نظر الناس ان من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلاً لكذبه وظلمه وعدله بل الله فاعل ذلك، لزم ان يكون الله المتصف بالكذب والظلم»[٢٠].

وهكذا يوفق ابن تيمية بين سلطان الله المطلق وشمول ارادته من ناحية وبين كون الانسان فاعلاً مختاراً من ناحية أخرى.

موقف الوهابيين:

ما هو موقف الوهابيين من مجمل هذه الآراء؟ وفي أي رأي التزموا؟ هل أقروا بها كما وردت عند الامام ابن حنبل، أم كما فلسفها ووضع أصولها ابن تيمية؟

الوهابيون كما قلنا يرجعون في آرائهم إلى القرآن والسنة والسلف الصالح. ولكن تبين من خلال عرضنا لهذه القضية ان الامام أحمد وابن تيمية يتفقان في الهدف لكنهما يختلفان في الأسلوب. فابن حنبل لا يقحم التفسيرات العقلية في مثل هذه المواضيع خوفاً من الضياع والزلل، بينما يستعمل ابن تيمية التحليل المنطقي للبرهان على صحة آرائه والرد على الذين خاضوا في هذا الموضوع، خاصة المعتزلة والأشعرية، بنفس الأسلوب.

ان الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التزاماً منه بابعاد الجدل والكلام عن تعاليم العقيدة خوفاً من التيه والضياع، نراه يأخذ برأي ابن حنبل وابن تيمية ويلتزم بهما. «فهو يؤمن بالقدر خيره وشره، كما أوصى بذلك النبي، لأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بارادته ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في

---

(١٩) منهاج السنة ج ١ ص ٢٦٩.
(٢٠) ابن تيمية: المسائل والرسائل ج ٥ ص ١٤٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العالم يخرج عن قدرته ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور»[٢١].

وفي رأي الوهابيين ان القدر الذي يجب الايمان فيه يكون على درجتين: الدرجة الأولى: الايمان بان الله سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاءً لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وانه كتب ذلك عنده واحصاه وان أعمال العباد تجري على ما سبق علمه وكتابه.

الدرجة الثانية: الايمان بان الله خلقٌ أفعال العباد كلها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم. وهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وينكرها جميع القدرية بقولهم «ان الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها منهم بل هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم من خير وطاعة ومعصية وشر.

«والدرجة الأولى نفاها غلاة القدرية كعبد الجهني وعمر بن عبيد ونص أحمد والشافعي على كفر هؤلاء.

وأما من قال ان الله لم يخلق أعمال العباد ولم يشأها منهم، مع اقرارهم بالعلم، ففي تكفيرهم نزاع مشهور بين أهل العلم. فحقيقة القدر الذي فرض علينا الايمان به ان نعتقد ان الله سبحانه وتعالى علم ما العباد عاملون قبل ان يوجدهم، وانه كتب ذلك عنده قال الله تعالى: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾، وقال ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾، ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولو شاء الله ما اشركوا﴾. فهذه الآيات وغيرها صريحة في ان أعمال العباد خيرها وشرها، وضلالهم واهتداءهم، كل ذلك صادر عن مشيئته. وقال تعالى: ﴿ونفس وما سواها ،فألهمها فجورها وتقواها﴾، وقال: ﴿ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾، فدل بذلك على ان الله سبحانه هو الذي جعلها فاجرة أو تقية، وانه خلق الانسان هلوعاً، خلقه متصفاً بالهلع وقال: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾. ففي هذه الآية

---

(٢١) منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٢٤٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بيان ان الله خلق المؤمن وايمانه والكافر وكفره. وقد صنف البخاري رحمه الله تعالى كتاب «خلق أفعال العباد» واستدل بهذه الآيات أو بعضها على ذلك»[٢٢].

ثم يورد الشيخ ابو بطين، وهو من كبار علماء الدعوة، البراهين الدالة على تقدم علم الله بأفعال الكائنات قبل خلقها وفي حياتها وبعد موتها، ويستمد هذه البراهين من القرآن والسنة، متجنباً الاستعانة بأي حكم من أحكام العقل:

«أما الأدلة على تقدم علم الله سبحانه بجميع الكائنات قبل إيجادها، وكتابته ذلك، ومنها السعادة والشقاوة، وبيان أهل الجنة وأهل النار قبل ان يوجدهم، فكثير جداً كقوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في السماء إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾. وقال النبي ﷺ: «ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء». وفي حديث آخر «ان أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة والأحاديث في ذلك كثيرة جداً»[٢٣].

وعندما انتقل الشيخ ابو بطين إلى الكلام عن الثواب والعقاب كان لا بد من ان يتبنى رأي ابن تيمية فيهما، لابتعاده عن رأي القدرية والجبرية. فيقول: «فهؤلاء الذين وصفنا قولهم بان الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاءها منهم، هم القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة[٢٤]. وقابلتهم طائفة أخرى غلوا في اثبات القدر وهم يسمون الجبرية، فقالوا ان العبد مجبور مقهور على ما يصدر منه لا قدرة له فيه ولا اختيار، بل هو كغصن الشجرة الذي تحركه الريح والذي عليه أهل السنة والجماعة الايمان بان أفعال العباد مخلوقة لله صادرة عن مشيئته وهي أفعال لهم وكسب لهم باختيارهم، فلذا ترتب عليها الثواب والعقاب، والسلف يسمون الجبرية قدرية لخوضهم في القدر»[٢٥].

ويقول الوهابيون أيضاً بأن الله أجلّ من أن يجبر العباد على المعاصي لان من

---

(٢٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ١٧٢.
(٢٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ١٧٢ ـ ١٧٢.
(٢٤) نفى ابن تيمية صحة هذا الحديث.
(٢٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ١٧٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أمره وقدرته أعظم من أن يجبر أو يفصل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحب فهو قادر على ان يجعل العبد مختاراً راضياً لما يفعله مبغضاً تاركاً لما يتركه.

وكان الامام الأوزاعي من أصحاب هذا الرأي أيضاً فقال: «ما اعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة فأهاب ان أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والجبل والخلق، فهذا يعرف من القرآن والحديث».

وحدانية الذات والصفات:

آمن المسلمون الأوائل إيماناً مطلقاً بما جاء في القرآن والسنة فيما يخص الصفات الإلهية وغيرها من مسائل العقيدة. فكان التوحيد الخالص فكرتهم الرئيسية التي تحدد مفهومهم لكل عقائد الدين وقضاياه. ولهذا السبب لم تكن مسألة الصفات الإلهية، موضع خلاف بين الصحابة أو كبار الأئمة، لأن جهودهم يومئذ كانت موجهة إلى نشر الإسلام وتثبيت قواعد دولتهم الجديدة، والاستعداد للانقضاض على أعدائهم المتربصين بهم. فكانوا إذا وجدوا آيات قرآنية تنسب إلى الله بعض الصفات التي تتنافى مع فكرتهم المجردة عنه، أو تؤذي مفهومهم لمعنى التوحيد والتنزيه، مثل نسبة اليد أو الوجه أو العرش إليه، لم يحاولوا تأويلها. ومع ذلك أجمعوا على ان لهذه الآيات ظاهر وباطن، ويجب الا تفهم على حرفيتها، لأن الله ليس جسماً تنسب إليه يد أو عين أو يستوي على العرش، استواء عادياً.

«وكانوا يؤثرون عدم الخوض في تفسير هذه النصوص»، فيفوضون المراد منها إلى الله بعد تنزيهه عن كل شبه بالانسان أو المخلوق. وقد اعتمدوا في هذا التنزيه أو التقديس على قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فانه لا يجوز عقلاً ان يكون هناك وجه تشبيه أو مماثلة بين الخالق والمخلوق. ولذا فان قوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ يعد برهاناً على استحالة المماثلة بين الله والانسان»[٢٦].

---

(٢٦) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد المله. تحقيق الدكتور محمود قاسم ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وحدانية الذات عند المسلمين تعني إذاً عدم مماثلة الله لأي شيء، أو مساواته بأحد من خلقه. فذاته السامية لا تتبعض لانها ليست مركبة من أجزاء كبقية المخلوقات، ولا تتكيف لأن العقل البشري يعجز عن إدراك ماهيتها. وهذه الوحدانية في الذات يؤمن بها جميع المسلمين، «ويتفقون على أصل المعنى فيها من غير نكير من أحد على أحد. وهي في مرتبة البديهيات الدينية التي لا يختلف فيها عالم من العلماء ولا فرقة من الفرق ولا أي مذهب من المذاهب الإسلامية سواء كان متصلاً بالفلسفة أم كان مجافياً لها»(٢٧).

ولكن الاختلاف بين هذه الفرق والمذاهب يدور في معظمه حول أوصاف الذات الإلهية التي ذكرها القرآن: كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، واليد، والعين، والاستواء والعلو وغير ذلك.

وحول هذا الموضوع يقول ابن تيمية:

«لفظ التوحيد والتنزيه والتشبيه والتجسيم ألفاظ قد دخلها الاشتراك بسبب اختلاف اصطلاحات المتكلمين وغيرهم، فكل طائفة تعني بهذه الأسماء ما لا تعنيه غيرها، فالمعتزلة وغيرهم يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي جميع الصفات، وبالتجسيم أو التشبيه إثبات شيء منها، حتى ان من قال ان الله يرى، أو ان له علماً فهو عندهم مجسم. وكثير من الطوائف المتكلمة بصفاته يريدون بالتوحيد والتنزيه نفي الصفات الخبرية أو بعضها، وبالتجسيم والتشبيه اثباتها أو بعضها، والفلاسفة تعني بالتوحيد ما تعنيه المعتزلة وزيادة، وحتى انهم يقولون ليس له صفة سلبية أو إضافية أو مركبة منهما والاتحادية تعني بالتوحيد انه هو الوجود المطلق»(٢٨).

وتعني الصفات السلبية ان لا أول لله ولا انتهاء مثل القدم والبقاء. والمراد بالصفات الإضافية مثل رب العالمين أو خالق السموات والأرض. أما الصفات المركبة فتعني المخالفة للحوادث(٢٩). ومن المعروف عن الفلاسفة والمعتزلة انهم

---

(٢٧) محمد أبو زهرة: ابن تيمية ص ٢٥٨.

(٢٨) ابن تيمية: نقض المنطق. ص ٢٥٦.

(٢٩) كان الامام ابو حنيفة أول من وضع هده الفروق الدقيقة بين الصفات الإلهية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يشددون على فكرة التنزيه، وينفون عن الذات الإلهية أية صفة تقرر معنى منميزاً يستقل العقل بادراكه، ويعتبرون الأوصاف التي وردت في القرآن أسماء لله، لأن أي إثبات لها يعني تقويض فكرة التوحيد والتنزيه. وأمعن المعتزلة في نفي هذه الصفات حتى لقبوا بالمعطلة. وكلامهم في ذلك مشهور.

وقد جاءت آراؤهم هذه كرد فعل على الغلو في التشبيه الذي قال به المشبهة والكرامية الذين التزموا بظاهر الآيات القرآنية وفهموها حرفياً، فانتهوا بان اثبتوا لله عدداً كبيراً من الصفات الانسانية، وقالوا بان له وجهاً ويدين وعينين. وذهبوا في غلوهم إلى التصور بان الله جسم يختلف عن بقية الأجسام، وهذا ما دفع المستشرق الفرنسي «ليون جوتييه» إلى الظن بأن جميع المسلمين في صدر الإسلام كانوا من المشبهة.

أما الأشاعرة الذين يدعون تمثيل مذهب السلف، فقد فرقوا مثل خصومهم المعتزلة بين الصفات السلبية (مثل القدم ومخالفة الحوادث) والصفات الإيجابية (مثل العلم والقدرة والحياة). ورأيهم في الصفات الأولى يتفق ورأي المعتزلة لكنهم على خلاف في الصفات الثانية التي يعتبرونها زائدة على الذات[٣٠]. فالله عالم مريد، وقادر ومتكلم وله كل الصفات التي ورد ذكرها في القرآن. وهذه الصفات مغايرة للذات الإلهية، ومختلفة فيما بينها، وقد صرح أبو حسن الأشعري بانه «بنى رأيه هذا على ما يعلمه من الانسان وصفاته أي انه ينص على ضرورة تطبيق الاعتبارات الانسانية على الأمور الإلهية، بمعنى ان حكم الشاهد يجب ان يكون هو حكم الغائب أيضاً». فالله عالم بمعنى ان له علماً، أو قادر بمعنى ان له قدرة. وهلم جرا. وليست هذه الصفات هي عين الذات، بل هي زائدة عليها»[٣١].

أما المعتزلة والفلاسفة فقد عمدوا إلى تأويل الآيات الدالة على التجسيم

---

(٣٠) يعتبر كتاب الأب ميشال الآر من الكتب القيمة حول موضوع الصفات الإلهية وهو بعنوان:
Le Probleme des attributs divins dans la doctrine d'Al - AS'Ari. imp. Catholique. Beyrouth, 1965.

(٣١) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد. تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم ط ٢ ص ٤١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لإثبات آرائهم التنزيهية. بينما يقول الأشاعرة بأن لله وجهاً ويدين وعيناً، لكنها أوصاف قائمة بذاته، وليست زائدة عليها. وبذلك تهربوا من التجسيم تمشياً مع العقل الذي يراه منافياً للوحدانية.

موقف الامام احمد بن حنبل من هذه الصفات :

كان الامام أحمد يثبت جميع الصفات الإلهية التي وردت في القرآن والحديث. وهو بذلك يلتزم بالخط الفكري الذي ارتضاه لنفسه، أي إتباع معاني ظاهر النصوص وعدم اللجوء إلى غيرها من وسائل الاستدلال. فالله عنده، سميع بصير، متكلم، قادر مريد، عليم خبير عزيز ليس كمثله شيء، استناداً إلى الآيات التي تتضمن هذه الصفات، كما انه لا يبحث عن كنه هذه الصفات ولا عن حقيقتها، ويعتبر التأويل خروجاً عن القرآن والسنة وضرباً من ضروب الزيغ والبدع. ويعتمد في ذلك على ما جاء في سورة آل عمران آية ٧ : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب﴾.

ويقول الامام أحمد بان صفة المؤمن من أهل السنة هي «ارجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله، كما جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ ان أهل الجنة يرون ربهم، فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال».

هل يمثل موقف الامام أحمد رأي السلف؟ وما موقف ابن تيمية منه؟

يقرر ابن تيمية بان مذهب السلف هو إثبات كل ما جاء في القرآن والسنة من صفات وأسماء وأخبار وأحوال. ومن الآيات الدالة عليها: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾، (آل عمران ٢) والآية: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾. (الاخلاص ٤). ﴿وهو العليم الحكيم﴾ ﴿وهو السميع البصير﴾ ﴿وهو العليم القدير﴾ ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ﴿وهو الغفور الرحيم﴾، ﴿وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد﴾ ﴿فعال لما يريد﴾ ﴿هو الأول

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير﴾. (الحديد ٣ ـ ٤) ثم قوله تعالى في سورة محمد آية ٢٨ :﴿ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم﴾.

وقوله ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾، ﴿وغضب الله عليه ولعنه﴾. ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم﴾ ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾. ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين﴾. ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾. ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن، وقربناه نجياً﴾، ﴿ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أسماء الله وصفاته. فالسلف يثبتون كل ما جاء في القرآن أو السنة من أوصاف إلهية، كالمحبة والغضب، والسخط والرضا، والنداء والكلام، والنزول إلى الناس في ظل من الغمام، ويثبتون له الجلوس على العرش، والوجه واليد من غير تأويل أو تفسير بل كما يدل المعنى الحرفي الظاهر. بيد ان هذه الأوصاف ليست كالحوادث، ولا تتنافى مع التنزيه والتوحيد، فيد الله ليست كيد أي من المخلوقات، ولا نزوله كنزولهم، ولا وجهه كوجههم، ولا غضبه كغضبهم، ولا تكبره كتكبرهم، ولا محبته كمحبتهم، بل كل ذلك بما يليق بذاته العلية، لأن هذه الذات ليست كذوات المخلوقات، وبالتالي فان صفاتها ليست كصفاتهم لان اتحاد الاسم لا يستلزم التشابه في الوصف(٣٢).

ويعتبر ابن تيمية ان هذا المنهج في الفهم هو منهج أهل السلف، فيقول: «الصواب ما عليه أئمة الهدى، هو ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الأولين، أهل العلم والايمان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة، لا ترد

---

(٣٢) راجع محمد ابو زهرة: المذاهب الإسلامية. ص ٣٢٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالشبهات، فيكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يعرض عنها، فيكون من باب الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً، ولم يترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لا يحملون الكتاب إلا أماني»[٣٣].

فابن تيمية إذا يرى ان مذهب السلف يثبت لله اليد بدون كيف ولا تشبه، وكذلك الوجه والفوقية والنزول وغير ذلك من الأوصاف التي تدل عليها ظواهر النصوص القرآنية. ومع هذا فان مذهبهم ليس مجسما ولا معطلا، وإنما هو بين الاثنين: «ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، فيعطلوا أسماء كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل»[٣٤].

وتدعيماً لهذا الرأي الذي يعتنقه ابن تيمية، يورد تعليلات قائمة على مبدأين:

١ ـ إثبات كل ما جاء في القرآن والسنة حول أسماء الله وصفاته، بدون تأويل واخراج عن معناه الظاهر، لان ذلك غير مستحيل عقليا، ثم اخضاعه لحكم العقل حتى يكون موائماً له ومنسجماً معه.

٢ ـ الإقرار بان ظاهر القرآن والسنة لا يؤدي إلى التشبيه أو التجسيم، لان ما يثبت لله بنصها من الصفات يختلف عن جنس ما يثبت للحوادث. فالصفات التي يورد إنها تثبت لله أحوالاً تليق بذاته تعالى وبوحدانيته وتنزيهه عن كل تشابه مع الحوادث. «فالتشابه في الاسم لا يقتضي التشابه في الحقيقة، والمنفي ليس هو التشابه في الأسماء، إنما هو التشابه في الحقائق، وان الله سبحانه وتعالى مخالف للحوادث في ذلك تمام المخالفة»[٣٥].

وعلى الرغم مما أورده ابن تيمية بما يعني نفي التشبه والتجسيم عن مذهبه،

---

(٣٣) المرجع نفسه ص ٣٢١.
(٣٤) ابن تيمية: العقيدة الحموية الكبرى (في مجموعة الرسائل ص ٢٤٩).
(٣٥) محمد ابو زهرة: ابن تيمية ص ٢٦٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الـذي هو في رأيـه مذهب السلف الصـالح، فاننا نجده يثبت الفوقيـة والتحتية والنزول والصعود من غير تكييف فيقول: «كتـاب الله من أوله إلى آخـره، وسنة رسوله من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتـابعين، ثم كـلام سائـر الأئمة مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر في ان الله سبحانه وتعالى فـوق كل شيء وانـه فوق العـرش، وانه فـوق السماء، مثـل قولـه تعالى: ﴿إليـه يصعـد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، ﴿اني متوفيك ورافعـك إلي﴾، ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾. وقال سبحانه ﴿ثم استوى على العرش﴾ في ستة مواضع. وقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معـراج الرسـول ﷺ إلى ربه، ونزول المـلائكة من عنـد الله وصعودهـا إليه؟! وفي حـديث الخوارج: «ألا تأمنوني وأنا أمين من السماء يأتي إلي خبر السماء صباحاً ومساء».

إلى ان قـال: «ليس في كتاب الله، ولا في سنـة رسول الله ﷺ ولا عن أحـد من سلف الأمة، ولا من الصحابة والتابعين، ولا عن الأئمة الـذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصـاً ولا ظاهـراً، ولم يقل أحـد منهم ان الله ليس في السماء، ولا انه ليس على العرش، ولا انـه في كل مكـان، ولا ان جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا انـه لا داخل العـالم، ولا خارجـه، ولا متصـل ولا منفصـل، ولا انـه لا تجـوز الاشـارة الحسيـة إليـه بـالأصـابـع ونحوها»[٣٦].

هل هذا الذي يقوله ابن تيمية هو حقاً مذهب السلف في الصفات؟.

من الواضح ان ابن تيمية شديد التمسك بآراء السلف الصالح، وهو حجـة في المـأثور عنهم من عهـد الصحابـة إلى عهد الأئمـة المجتهدين. لكنـه يفلسف آراءهم ويتوسع في تفسيرها، فيروي عنهم كلاماً يشير صراحـة إلى اثباتهم جهـة العلو والاستـواء، والإشارة الحسيـة إلى الله بالأصـابع وغـيرها من القضـايا التي

---

(٣٦) ابن تيمية: الرسالة الحموية الكبرى (مجموعة الرسائل ص ٤١٩ ـ ٤٢٠).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تؤدي إلى التشبيه الذي نفاه أهل السلف وحتى ابن تيمية نفياً قاطعاً مخافة تدنيس فكرة التنزيه الإلهي المطلق.

فهو كما قلنا توسع في تفسير أقوالهم المستمدة من القرآن والسنة متجنباً التأويل والتفسير المجازي، بينما العبارات المروية عنهم أقرب إلى التفويض منها إلى التفسير، أو ابداء الرأي في معنى معين. والأمثلة على ذلك كثيرة منها: قول الامام مالك عندما سئل عن معنى الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». فهذه العبارات لا تدل على ان الاستواء من جنس الجلوس الذي يعرفه البشر. اي انه توقف عن شرح المعنى أو تفسيره.

وقد روى أيضاً عن الامام أحمد قوله في أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم: «نؤمن بها ونصدقها بلا كيف ولا معنى». كما ذكر «الخلال» في مستنده ان الامام أحمد قال عندما سألوه عن الاستواء: «استوى على العرش كيف شاء وكما شاء وبلا حد ولا صفة يبلغها واصف». وهذا معناه التفويض وبالتالي التنزيه، وليس فيه تخريج اللفظ على الظاهر ولا غير الظاهر.

وقد تنبه إلى هذه القضية الدقيقة الفقيه الحنبلي المعروف جمال الدين بن الجوزي (٥١٤ ـ ٥٩٧ هـ) قبل ابن تيمية بأكثر من قرن عندما تصدى لبعض العلماء الذين قالوا انهم يمثلون رأي السلف فقال:

«رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة أبو عبدالله بن حامد، وصاحبه القاضي أبو يعلي، وابن الزاغوني[٣٧]. فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب، ورأيتهم نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحسن، فسمعوا ان الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام على صورته، فاثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفما ولهوات، وأضراساً، وأضواء لوجهه... ويدين وأصابع وكفّاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين، ورجلين. وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس... وقد أخذوا

(٣٧) ابن حامد توفي سنة ٤٠٣ هـ. ابو يعلي توفي سنة ٤٥٨ هـ ابن الزاغوني توفي سنة ٥٢٧ هـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالظاهر في الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة، ولا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني لله تعالى، ولا إلى الغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحديث، ولم يقنعوا ان يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا انها صفات قالوا لا نحملها عن توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجيء واتيان على معنى بر ولطف، ولا ساق على شدة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين أو الشيء إنما يحمل على حقيقة إذا أمكن، فان صرف صارف حمل على المجاز، ثم يتخرجون من التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام، وقد نصحت التابع والمتبوع، وقلت لهم: «يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمدِ بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل، فإياكم ان تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه، ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها، فظاهر القدم الجارحة، ومن قال استوى بذاته المقدسة»، فقد أجراه سبحانه مجرى الحسيات، وينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل، وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم فلو انكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم وإنما حملكم إياه على الظاهر قبيح، فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس فيه»[٣٨].

ان هذا الكلام لابن الجوزي ينفي عن أهل السلف واحمد بن حنبل أي قول منسوب إليهم يجانب التنزيه المطلق أو يقترب من التشبيه. وقد أوردنا من أقوالهم ما يفيد التوقف والتفويض إلى الله.

موقف الوهابيين من قضية الصفات:

لقد تجنب الوهابيون الخوض في متاهات هذه القضية المعقدة خوفاً من التيه والضلال، ورجعوا فيها إلى رأي الامام أحمد مباشرة. وهذا الموقف يتخذونه في معظم قضايا العقيدة، مؤمنين بان ذلك هو رأي السلف الصالح المبني على التوحيد والتنزيه الخالصين.

---

(٣٨) محمد ابو زهرة: ابن تيمية ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب أرسله إلى أهل القصيم شارحاً فيه عقيدته: «ومن الايمان بالله، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله (ﷺ). من غير تحريف ولا تعطيل، بل اعتقد ان الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا أنفي ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلام عن مواضعه، ولا الحد في اسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لا سمي له ولا كفوء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قولاً وأحسن حديثاً فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمي».

ان كلام الشيخ واضح وصريح في معناه. فهو يقر آيات الصفات وأحاديثها كما وردت، ويكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها من دون تحريف أو تعطيل. كما انه لا يكيف ولا يؤول ولا يمثل الله بصفات خلقه.

أما الصفات التي أوردها الفلاسفة والمتكلمون، كالجوهر والعرض والجسم والجهة وغيرها فيرى الشيخ عدم التعرض لها لا بنفي ولا باثبات. «لان عقيدة أهل السنة هي السكوت، من أثبت بدّعوه، ومن نفى بدّعوه. فالذين يقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض هم الجهمية والمعتزلة والذين يثبتون ذلك هم: هشام واصحابه. والسلف بريئون من الجميع».

«ومذهب الامام احمد وغيره من السلف انهم لا يتكلمون في هذا النوع، إلا بما تكلم الله به ورسوله. فما اثبته الله لنفسه، واثبته رسوله، اثبتوه، مثل: الفوقية، والاستواء، والكلام، والمجيء وغير ذلك. وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله، نفوه كالمثل والند، والسمي وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله، اثباته ونفيه، مثل الجوهر، والجسم والعرض، والجهة وغير ذلك، لا يثبتونه ولا ينفونه، فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وصاحبه، فهو عند أحمد والسلف، مبتدع، ومن اثبته مثل هشام بن الحكم وغيره، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع، اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه»[٣٩].

من الواضح ان الوهابيين لا يتصورون وجود الله بدون الصفات، فلو كان بغير صفات لامتنع على العقل البشري ادراكه. والمعتزلة لم يجدوا سوى الصفات السلبية ليصفوا بها الله إمعاناً في تنزيهه، وأدى بهم هذا الموقف إلى التعطيل، أي تعطيل الصفات عن الذات. أما عدم وصف الله بالصفات الإيجابية فيؤدي إلى إبعاد ذاته عن إدراك العقول. فالعقل البشري لا يمكن ان يعقل أو يتصور ذاتاً لا صفات لها. وهذا ما يستند إليه الوهابيون وأهل السلف وانصارهم في هذه القضية. ان المبالغة في التنزيه على النحو الذي قالت به المعتزلة يبعدنا كل البعد عن تعقل الذات الإلهية، وان كان التشبيه لا يليق بحق الله، إلا انه يقربه إلى مدارك الناس وعقولهم وأفهامهم. فالله تعالى عندما ذكر صفاته في آيات كتابه إنما كان يدرك ضعف العقل البشري في تصور المطلق، وحاجة هذا العقل إلى تصورات حسية حتى يتم عنده فعل الإدراك. وهذا ما أكدته النظرية الحديثة في المعرفة.

والوهابيون عندما اثبتوا الصفات الإلهية كما وردت في القرآن والسنة كقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، ﴿تجري بأعيننا﴾، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾، ﴿لما خلقت بيدي استكبرت﴾، ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، ﴿يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله﴾، ﴿وجاء ربك﴾. فانهم لم يقارنوا مطلقاً بين هذه الصفات والصفات الحسية المعروفة لدى البشر خوفاً من الوقوع في التجسيم، بل قالوا كما قال ابن تيمية بأنها من نوع آخر متميز عن الحسيات الكونية بدون تكييف أو تأويل، وفوضوا حقيقة علمها إلى الله.

ومن الواضح ان ظاهر تلك الآيات يدل على التجسيم. والتجسيم ينافي التوحيد والتنزيه، فهو ينافي التوحيد لأن الجسم يقبل الانقسام والتجزئة ومحتاج

---

(٣٩) من رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم. راجع كتاب أمين سعيد: سيرة الامام محمد بن عبدالوهاب ط ١ ص ٦٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لأن تقوم به الأعراض وهو ينافي التنزيه لأن الله لو كان جسماً لكان مثلاً لهذه الأجسام، لأن حقيقة الجسم من حيث هو جسم، أي من حيث هو جوهر ممتد، لا تختلف من جسم إلى آخر. . .

وكان موقف السلف والوهابيين من هذه الصفات كما قلنا هو إقرارها كما وردت بدون تشبيهها بحواس البشر كما فعل الكرامية(٤٠). أو تعطيلها كما فعل المعتزلة والفلاسفة، أو باثبات بعضها ونفي بعضها الآخر كما فعل الأشاعرة. وفي ذلك يقول أحد أئمة الدعوة الوهابية الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ في أحد رسائله:

«. . . حدث بسبب ذلك من الخوض والجدال في صفات الله ونعوت جلاله التي جاءت بها الكتب وأخبرت بها الرسل ما أوجب الكثير من الناس تعطيل وجود ذاته وربوبيته كما جرى للاتحادية والحلولية. فمن باب الكلام والمنطق دخلوا في هذا الكفر الشنيع، والأفك الفظيع، ومنهم من عطّل صفات كماله ونعوت جلاله، التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسله، وتمدح بها وأثنى عليه بها صفوة خلقه وخلاصة بريته، حتى آل هذا القول والتعطيل بأهله إلى أن شبهوه بالعدم المحض، فلم يصفوه إلا بصفات سلبية، ولم يثبتوا له من صفات كماله ونعوت جلاله ما هو عين الكمال والتعظيم والايمان والجلال. واختلف هذا القسم اختلافاً كثيراً في أصول المقالات وفروعها، فمنهم من طرد الباب في جميع الصفات، ومنهم من أثبت بعضها زعماً منه ان العقل لا يثبت سواها، ونفى ما عداها من الصفات كما هو المعروف عمن ينتسب إلى الأشعري والكرامي، ثم هؤلاء قد يقولون في آيات الصفات وأحاديثها تجري على ظاهرها، يريدون انها تتلى ولا يتعرض لاثبات ما دلت عليه من المعنى المراد والحقيقة المقصودة، بل يصرحون برد ذلك ونفيه، ومقصود السلف بقولهم أمرّوها كما جاءت، وقول من قال تجري على ظاهرها، اثبات ما دلت عليه من الحقيقة، وما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومجده وقيوميته وحده، كما ذكر الوليد بن مسلم عن مالك

---

(٤٠) نسبة إلى مؤسسها محمد بن كرام المتوفى ٢٥٥ هـ ٨٦١ م.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والليث وسفيان الثوري، والأوزاعي انهم قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف. وقولهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة الذين لا يردون ما دلت عليه وجاءت به من الحقيقة المقصودة والمعنى المراد. وقولهم بلا كيف رد للممثلة الذين يعتقدون ان ظاهرها فيه تمثيل وتكييف (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

ومذهب السلف اثبات ما دلت عليه الآيات والأحاديث على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومجده، ومن قال تجرى على ظاهرها وأنكر المعنى المراد كمن يقول في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ انه بمعنى استولى، وفي قوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ انه بمعنى القدرة، ومع ذلك يقول تجري على ظاهرها فهذا جاهل متناقض لم يفهم ما أريد من قولهم تجرى على ظاهرها، ولم يفهم ان الظاهر هو ما دلت عليه نصاً أو ظاهراً في معناه المراد، ولا ينبغي في الايمان الاتيان بقول ظاهر يوافق ما كان عليه السلف وأهل العلم مع اعتقاد نقيضة في الباطن، بل هذا عين النفاق وهو من افحش الكفر في نصوص الكتاب والسنة والسلف. وأهل العلم والفتوى لا يكتفون بمجرد الايمان بألفاظ الكتاب والسنة في الصفات من غير اعتقاد لحقيقتها وما دلت عليه من المعنى، بل لا بد من الايمان بذلك وكذا الاستواء على العرش والعلو والارتفاع، وحديث الجارية نص في ان اعتقاد العلو والفوقية لا بد منه في الايمان، وكما دلت عليه النصوص الظاهرة من الكتاب والسنة كقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾[41] وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح﴾[42]، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[43]، ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾[44].

لقد خالف الوهابيون آراء المتكلمين والفلاسفة والصوفية في التوحيد لأن

---

(٤١) سورة الأنعام آية ١٨.
(٤٢) سورة فاطر آية ١٠.
(٤٣) سورة المعارج آية ٤.
(٤٤) سورة غافر آية ٢. راجع مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هؤلاء إما أولوا الآيات وإما جسموا فوقعوا في متاهات لا حصر لها وابتعدوا بذلك عن حقيقة تعاليم الإسلام كما فهمها الصحابة والسلف الصالح.

وهذا يجرنا إلى البحث في حقيقة موقف السلف والوهابيين من قضايا التصوف والتأويل وخلق القرآن ورؤية الله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل التاسع

موقفهم من التاويل وعلم الكلام

يتصل موضوع تأويل الآيات المتشابهات اتصالاً وثيقاً بموضوع الصفات والتوحيد. فالكلام في أحدهما يقود إلى الكلام في الآخر. وأساس هذه القضية أن آيات متشابهات وردت في القرآن في مقابل أخرى محكمات. كما نصت الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران ٧).

ان معظم الآيات المتشابهات هي المتعلقة بصفات الأفعال المضافة إلى الله مثل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. والاستواء لغة هو القيام والانتصاب، وهما من صفات الجسد والأجسام. وفي قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾، أثبت لنفسه العين وأثبت لنفسه اليد في قوله ﴿لما خلقت بيدي استكبرت﴾ ﴿وبداه مبسوطتان كل البسط﴾ وأثبت الجنب بقوله ﴿يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله). وأثبت لنفسه الكلام: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، والمجيء ﴿وجاء ربك﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي يدل ظاهر معناها على التجسيم. والتجسيم كما قلنا ينافي التوحيد والتنزيه. فكان لا بد في نظر المتكلمين والفلاسفة القائلين بالتوحيد، من أعمال العقل في تفسير هذه الآيات بما يتفق

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ووحدانية الله وتنزيهه، فأولوها وحرفوها عن ظاهر معناها، فوقعوا إما في التعطيل وإما في التجسيم وزادوا المشكلة تعقيداً. ففسروا الآية: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ بمعنى الاستيلاء والغلبة، فاستوى على العرش في رأي المعتزلة يعني استولى على العالم، واستولى على ملكه، واللغة تجيز هذا التفسير. وفسروا العين بقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ بمعنى العلم. أما الوجه ففسروه بذات الله، وفسروا اليد بمعنى القوة أو المنعة، وفسروا الجنب بمعنى الطاعة وفسروا الساق بمعنى الشدة.

كل هذا التأويل اجتهد فيه المعتزلة حتى يؤكدوا وحدانية الله وتنزيهه عن الجسمية. والنفي الذي ساقه الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين» عن آرائهم في الصفات، أبلغ دليل على ما توصلوا إليه في التعطيل المطلق عن طريق التأويل.. وشارك المعتزلة في هذا التأويل الفلاسفة والصوفية والأشاعرة وغيرهم من المتكلمين ولكن بمعان مختلفة. لقد اختلف العلماء في موقف السلف من قضية التأويل. بعضهم قال بأنهم تجنبوا حتى لا يقعوا في الفتنة والضلال كما أشارت الآية، وفوضوا معرفة حقيقة الآيات المتشابهات إلى الله؟ والبعض الآخر ادعى بأنهم كانوا مؤولين ومفسرين وطلبوا الحق ومعهم أدواته، وقد أمنوا الزيغ والضلال لأنهم طلبوا العلم من وجهه، ودخلوا إليه من بابه.

ولكن ما معنى التأويل: هل هو التفسير؟ أم المراد به معرفة المآل والنتيجة؟

يقول ابن تيمية بأن السلف لم يتوقفوا أمام الآيات المتشابهات، وإنما أخذوا بظاهر معناها من غير بحث عن الكيفية، لأن السؤال فيها بدعة. ويدعي بأن مصدر الاشتباه في آيات الصفات ليس من ذاتها، لأنها موافقة لكل معقول، بل من ناحية العقول وحدها. فالضلال يتأتى من فشل العقول وتيهها في معرفة الكيف والحقيقة، لا من حيث الظاهر الواضح المبين. والمتشابه نسبي بالنسبة للعقول التي تتحيز وتتيه لا بالنسبة للقلوب التي تطلب الحق من ينبوعه. وليس من السائغ أن يفسر المتشابه بأنه غير المفهوم للناس لأن ذلك يقتضي أن الصحابة لم يفهموه، وأن النبي أيضاً لم يفهمه، وهذا غير معقول في ذاته.

يقول ابن تيمية:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«المقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله تعالى قد أنزل كلاماً لا معنى له، ولا يجوز أن الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقول من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع أنه خطأ. . . وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان يعلم معنى المتشابه من القرآن وبين أن يقال: الراسخون في العلم لا يعلمون، كان هذا الاثبات خيراً من ذلك النفي، فإن معنا الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وتدبره، وهذا مما يجب القطع به، وليس معنى قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير المتشابه فإن السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله، منهم مجاهد مع جلالة قدره، والربيع بن أنس، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ونقلوا ذلك عن ابن عباس، وأنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. ويقول أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيها من متشابه القرآن، وتأولته على غير تأويله وفي قوله عن الجهمية: «إنها تأولت ثلاث آيات من المتشابهة» ثم تكلم على معناها، دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه، وأن المذموم تأويله على غير تأويله، فأما تفسيره المطابق لمعناه، فهذا محمود ليس بمذموم، وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده، وهو التفسير في لغة السلف، ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره أن في القرآن آيات لا يعرف الرسول وغيره معناها، بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه»[1].

ويؤكد ابن تيمية أن ما ذكره هو ما عليه كثير من أهل السنة الملتزمين بأقوال السلف ومذهبهم، لكنه من ناحية أخرى يصرح بأن بعض العلماء نقل عن بعض السلف أنهم كانوا يتوقفون ويفوضون الأمر لله قائلين بأنه لا يعرف تأويله إلا هو. وحجتهم أن الله قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله، (الآية)، وبأن النبي قد ذم مبتغي المتشابه بقوله: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم».

ويرد ابن تيمية على ذلك قائلا إن السؤال للاستفهام لا للاشكال غير مذموم ولا منهى عنه. ذلك أن التأويل عنده يختلف عن معنى التفسير. فهو يعني بالتأويل معرفة الحقيقة والمآل، وإن استعماله في القرآن يجب ألا يتعدى هذا

---

(١) ابن تيمية: تفسير سورة الاخلاص ص ٧ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المعنى. أما استعماله بمعنى التفسير، أي كشف المعنى الباطن والمحتمل للفظ والانصراف عن ظاهره، فقد اعتمده الفلاسفة وعلماء الكلام، بينما عنى الفقهاء بالتأويل تخريج اللفظ على غير المعنى الظاهر لدليل آخر.

وتفسير كلمة تأويل بمعنى معرفة المآل والحقيقة، كما يقول ابن تيمية، يتفق مع رأي الذين يفسرون والذين لا يفسرون من أهل السلف، وإن اطلاق كلمة تأويل بهذا المعنى يتفق مع كثير من آيات القرآن، كما يتفق مع المعنى اللغوي. ثم يسوق الآيات القرآنية التي تطابق المعنى الذي فهمه من التأويل والتفسير[٢]. أما هدف التأويل عند المتكلمين فهو تفسير الآيات المتشابهة في الصفات بما يتفق مع التنزيه. فيؤولون اليد بالنعمة أو القوة، والاستواء بمعنى الاستيلاء، وتجري بأعيننا بمعنى العلم، والجنب بمعنى الطاعة والساق بمعنى الشدة...

ولقد ذهب بعض العلماء إلى التفريق بين النصوص المتشابهة التي إذا فسرت بغير ظاهرها يتعين فيها معنى واحد على طريق المجاز، وبين ما يحتمل أكثر من معنى واحد من المعاني المجازية، فأوجبوا تأويل الأول وترك الثاني.

ويتفق الغزالي مع ابن تيمية في أن أكثر السلف فسروا بعض التفسير، ولم يتوقفوا توقفاً مطلقاً بالنسبة لآيات الصفات. وإنهم فسروا الآيات المتعلقة بالاستواء واليد والعين والوجه ونحوها على مقتضى الظاهر. لكن هذا الظاهر في رأيه لا يعني كون الله تعالى استوى على عرشه استواء من غير كيف معلوم، أو استواء يليق به أو نحو ذلك، وإنما الظاهر هو المعنى المجازي الذي تصور فيه المعاني، وإن المجاز واضح، حتى أنه لا يعد تأويلاً على أي معنى كان التأويل، لأن التأويل حتى على اصطلاح الفقهاء، هو تخريج اللفظ على غير ظاهر معناه بسبب أوجب ذلك، وتفسير الألفاظ على ذلك ليس في تخريجها على غير معناها.

ووضح الغزالي رأيه هذا في كتابه: إلجام العوام عن علم الكلام، فقال:

«حقيقة مذهب السلف، وهو الحق عندنا، أنّ كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم

---

(٢) راجع كتاب محمد أبو زهرة. ابن تيمية ص ٢٨٠ ـ ٢٨٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الاعـتراف بالعجـز، ثم السكوت، ثم الإمسـاك، ثم الكف. (فأما التقديس) فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها. (وأما التصـديق) فهو الإيمـان بما قاله ﷺ، وإن ما ذكـره حق، وهو فيـما قالـه صادق، وإنـه خلق على الـوجه الذي قاله وأراده. (وأما الاعتراف بالعجز)، فهو أن يقر بأن معـرفة مـراده ليس على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته، (وأما السكوت) فألا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه، ويعلم أن سؤاله عنه بدعة، وأنه بخوضه فيـه مخاطـر بـدينة وأنـه يوشـك أن يكفر لـو خاض. (أمـا الامسـاك) فألا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصديق والتبديل بلغة أخرى، والزيـادة فيه والنقصـان منه، والجمـعُ والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الايراد والإعراب والتصريف والصيغة. (وأما الكيف) فأن يكف باطنـه عن البحث عنه والتفكـير فيـه. وأما التسليم لأهله فـالا يعتقد أن ذلـك إن خفي عليه لعجـزه فقد خفي عـلى رسول الله ﷺ، أو عـلى الأنبياء، أو عـلى الصديقـين والأولياء فهـذه سبع وظـائف، اعتقد كـافة السلف وجـوبهـا عـلى كـل العـوام، ولا ينبغي أن يـظن بالسلف الخلاف في شيء منها»[٣].

ويستـطرد الغزالي في شرح مـا يظنـه رأي السلف في معاني الصفـات، فيقرر بأنهم فسروا الآيات والأحاديث المتشابهة تفسيراً معنوياً وليس جسمياً، وانهم لم يفسروا الفـوقية بـالجهة أو مـا يقترب من معنـاهـا، وقـال أيضـاً إن اليـد ليست بـالنسبة لله يـداً أو عضواً، بـل هي كما يقـال وضع الأمـير يـده عـلى المـدينـة، والصورة ليست شكلاً بل معنى.

وهكـذا فإن الإمـامين الغـزالي وابن تيمية يلجـآن إلى استنتاجـات شخصيـة يؤيدها البعض، ويعارضها البعض الآخر.

ومن المـلاحظ وجود اختـلافات في الـرأي حول مـوقف السلفيين من قضيـة تـأويل أو تفسـير الآيات المتشـابهات. ويـرجح الـوهابيـون الـرأي القـائـل بـأن السلفيين توقفوا وفوضوا، وذموا التأويل والمشتغلين بـه، وهنا يختلفـون مع رأي

---

(٣) الغزالي، الجام العوام عن علم الكلام، ص ٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ابن تيمية والغزالي والقائلين برأيهما. فهم لا يشكون بأن الرسول وصحابته وعموم أهل السلف كانوا يعرفون معاني القرآن ويفهمونها، لكنهم لم يخوضوا في تفسير ما تشابه من الآيات، وخاصة آيات الصفات، حتى لا يؤدي بهم ذلك إلى تباين في الآراء مما يؤثر في مجرى العقيدة ومفاهيمها. وهذا ما كانوا يتجنبونه باستمرار. وقد فوضوا أمر معرفة معاني هذه الآيات المتشابهات إلى الله مع إيمانهم بظاهرها. فلو أنهم أولوا وفسروا لوقعوا فيما وقع فيه المتكلمون من متاهات وخلافات لا حصر لها، لأن الأمور الإلهية خارجة بطبيعتها عن طور العقل. ولهذا السبب ذم الوهابيون علماء الكلام وكفروهم لأنهم باعتمادهم منهج الجدل والكلام في قضايا العقيدة إنما انحرفوا بكثير من قضاياها عن معانيها الحقيقية ومزجوها بالمنطق والفلسفة ولم يصلوا في النهاية إلى أية نتيجة. فالبحث في العقائد يورث الشك أكثر مما يورث اليقين والإيمان، لأن في العقائد الإيمانية مسائل يتقبلها الإنسان ويؤمن بها وتنفذ إلى قلبه من غير حاجة إلى دليل أو برهان. وطبيعة هذه العقائد إنها إيمانية وليست استدلالية. ويذكر لنا مؤرخو علم الكلام أن أئمة هذا العلم قد اعتراهم الندم في آخر حياتهم لاشتغالهم به.

فالإمام الغزالي يتمنى إيماناً كإيمان العجائز. والإمام فخر الدين الرازي الذي أربت مؤلفاته على المئة في علم الكلام والفلسفة، يبكي كثيراً ويقول: «يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام». وفي الوصية التي كتبها، نجده يؤمن بأن طريقة القرآن التي تسعى إلى التسليم بعظمة الله وجلاله من غير تعقيد أو التواء هي أسلم من طريقة المتكلمين والفلاسفة. ومما جاء في هذه الوصية: «ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً ولا تروى غليلاً، ورأيت أصلح الطرق طريقة القرآن»(٤).

فالوهابيون إذاً التزموا بما كان عليه الرسول وصحابته، ولما كان عليه الأئمة الذين أرادوا أن يحفظوا تعاليم الإسلام من الانزلاق إلى متاهات الجدل والكلام العقيم وضياع حقائق تعاليمه، واختلفوا مع الأشاعرة والغزالي والمتكلمين الذين

---

(٤) فتح الله خليف: محاضرات في الفلسفة الإسلامية (علم الكلام). للسنة الثانية قسم الفلسفة لجامعة بيروت العربية سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ ص ١١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ادعوا بأن هدفهم كما يقول ابن خلدون في مقدمته: «كان الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».

وقد ذم الوهابيون علم الكلام وحرموه وشنوا هجوماً عنيفاً على العاملين به تمسكاً بما ورد عن الشافعي وابن مالك وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وجميع أهل الحديث من السلف. ومما روى أن الشافعي ناظر حفصاً الغرض وكان من متكلمي المعتزلة فقال الشافعي:

«لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام».

وقال الإمام أحمد بن حنبل، «لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا نكاد نرى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دخل».

وكذلك اتفق أهل الحديث من السلف على ذم علم الكلام وقالوا: ما سكت عنه الصحابة، مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بتركيب الألفاظ من غيرهم، إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر. ولذلك قال الرسول: «هلك المتنطعون، أي المتعمقون، في البحث والاستقصاء». وقال أهل الحديث رداً على من قال بأن علم الكلام هو فرض عين، أي فرض على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمه، بأنه لو كان من الدين «لكان أهم ما يأمر به الرسول ويعلم طريقته ويثني عليه وعلى أربابه، فقد علمهم الاستنجاء (كالوضوء والتيمم) وندبهم إلى علم الفرائض، ونهاهم عن الكلام في القدر».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل العاشر

موقفهم من قضية خلق القرآن

كـان من الطبيعي بعـد أن أثيرت مسـألة التـوحيد والصفـات أن تثار قضيـة تتصـل بهما أشـد الاتصال، وهي مسـألة كـلام الله وخلق القرآن، التي كـونت موضوعاً هامـاً وجديـداً في الجدل العقـائدي، والتي تبلورت في السؤال التـالي: هـل القرآن مخلوق أم غـير مخلوق؟ ثم كيف نفهم أن لله صفة الكـلام، وكيف نفسر ظهور هذه الصفة بالوحي الذي أنزل على الأنبياء والرسل؟

لقد ظهر القـول بخلق القرآن في أواخـر الدولـة الأمويـة بدمشق عـلى لسان الجعد بن درهم أستاذ مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أميـة. ولما أتى جعـد إلى الكوفة، أخذها عنه الجهم بن صفوان. والاثنـان قتلا بسبب هـذا الرأي الـذي اعتبر مخالفاً لعقيدة أهل السنة والجماعة.

انتقل هذا الكـلام إلى المعتزلـة الذين زادوا المسـألة تفصيـلاً وجدلاً، وظلت تنمو وتزدهر حولها المناظـرات، وتؤلف فيها الكتب إلى عهـد المأمـون الذي تبنى أفكار المعتزلة وجعل من القول بخلق القرآن، الدين الرسمي للدولة، واضطهد من خالفه الرأي اضطهاداً قاسياً. فكان من ضحاياه الإمام أحمد بن حنبل وكثير من الفقهاء والمحدثـين. وكادت أن تقـع فتنة كـبرى بين المسلمـين أيام المـأمون والمعتصم والواثق بسبب هذه القضيـة، غير أن المتـوكل، الـذي استلم الخلافـة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعدهم، أوقف نفوذ المعتزلة وأمر بالرجوع في العقيدة إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ادعى المعتزلة بأن ذات الله وصفاته وحدة لا تتجزأ اطلاقاً، وبالتالي لا يلحقها تغيير ولا تعتريها المحدثات. ولكن ورد في القرآن آيات تسند إلى الله صفة الكلام، منها: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ الآية: و﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾. ﴿تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ والآية: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾... والآيات في ذلك كثيرة.

فما معنى وصف الله بالمتكلم، ووصف القرآن بأنه كلام الله؟

نظر المعتزلة إلى القرآن نظرتهم إلى الكلام الإنساني الذي يتألف من حروف وأصوات. فهم يريدون به فعل المتكلم الذي يعبر عما يدور في نفسه من المعاني لكي يعلمها المخاطب.

وإذا كان القرآن يتألف من كلمات، وكانت هذه الكلمات حادثة، فلا بد من أن يكون حادثاً. فالقرآن ليس قديماً لأنه ليس صفة من صفات الله، بل فعل من أفعاله.

والله يخلق الكلام في اللوح المحفوظ أو في جبريل، أو ينزله وحياً على الرسل.

واستند المعتزلة في هذا الرأي على أدلة شرعية وأخرى عقلية.

أما أدلتهم الشرعية فهي:

١ ـ قول الله تعالى في كتابه ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾: وإذ، ظرف زمان، فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختصاً بزمان معين، والمختص بزمان فهو حادث.

٢ ـ تقول الآية: ﴿الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾، وهذا دليل على أن القرآن يحتوي على أجزاء متعاقبة. وكل ما كان هذا شأنه يعتبر حادثاً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ وكل ما جعله الله فهو مخلوق. ﴿وإنا أنزلناه قرآنا عربياً﴾ و﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ والنزول لا يكون إلا في زمان محدد. وكل ما يقترن بالزمان فهو مخلوق وحادث.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾. وكل ما هو مسموع لا بد من أن يكون حادثاً لأنه مركب من حروف وأصوات.

٥ ـ قول الآية ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها﴾. فلو كان الكلام قديماً، كيف يجوز نسخ بعض آياته والاتيان بما هو خير منها؟ كما أن الله تعالى يقص في القرآن أنباء أمم خلت. وهذا دليل على حدوثه، لأنه يتصل بحوادث تاريخية. واحتج المعتزلة أيضاً بأن القرآن يحتوي على آيات فيها الأوامر والنواهي والوعد والوعيد. وحيث أن هذه أمور مختلفة ومتضادة، فكيف يقال بأنها صفة من صفات الذات الإلهية وأزلية مثلها؟.

أما شواهد العقل عندهم فهي:

١ ـ أن القرآن يحتوي على أوامر ونواه، فلو كانت هذه الأوامر والنواهي قديمة لما كان لها آية قيمة إلا إذا وجد المأمور والمنهي بها.

٢ ـ لو كان كلام الله صفة ذاتية أو معنوية له لوجب أن تتحد طبيعة الوحي لدى جميع الرسل والأنبياء. لكن الواقع أن الوحي الخاص بكل رسول يرتبط ببعض الحوادث التي احتلت فترات زمنية معينة. فكلام الله لموسى غيره لعيسى، وكلامه لهما غيره للنبي محمد، فكيف يعقل إذا أن يكون الكلام صفة ذاتية وقديمة، مع حدوث الوحي واختلاف الرسل؟.

٣ ـ لقد اجمع المسلمون قبل ظهور الخلاف في مسألة خلق القرآن على أن هذا القرآن كلام الله ليس في ذلك ريب، كما اتفقوا على أنه سور وآيات وحروف منتظمة، وكلمات مجموعة، وهي مقروءة مسموعة، ولها مفتتح ومختتم، وهو معجزة رسول الله. وهذا الكلام المسموع المقروء يتكون من حروف وآيات، وهو شيء آخر غير كلام الله الذي يقال أنه صفة من صفاته. فالقرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إذن يشبه الكتب الموحى بها كالتوارة والانجيل، وهذه كتب منزلـة، وهي مخلوقة اوحى بها الله إلى من اصطفاه من خلقه. وتختلف طرق الوحي أو الكلام. فقد يكون ذلك عن طريق إلالهام كما أوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في اليم، وقد يكون من وراء حجاب، بـأن يخلق الألفاظ في نفس النبي، كـما كلم الله موسى تكليماً. وقد يكون بأن يرسل رسولاً بكلامه، وهو جبريل الذي فال لمحمد عليه السلام: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. فلا مفـر إذا من الاعتراف بـأن القرآن كـلام الله، وإنه مخلوق، وبـأن الحـروف التي نكتبـه بهـا في مصـاحفنـا مخلوقـة أيضاً[1]. أحدث هذا الرأي ردود فعل عنيفة لدى فريق من الفقهاء والمحدثـين، خـاصة بعـد اقترانـه باضـطهاد معـارضيه، وتكفـيرهم، أيام المـأمـون والمعتصم والواثق. وقد أدى ذلك إلى قيام فريقين يناهضان رأي المعتزلة في الصفات عامة وفي مسألة خلق القرآن على الأخص وهما:

١ ـ السلفيون الذين قالوا بـأنه يجب الإيمـان بالصفـات الإلهية التي وردت في القرآن بدون تأويل أو تعليل، وفوضوا معناها إلى الله، ورأوا الوقوف عند النص، وأنكـروا الجدل والمـراء في الدين، والخصـومة والمنـاظرة فيـما يتنـاظـر فيـه أهـل الكلام، وسلموا بالروايات الصحيحة، والآثار التي جاء بهـا الثقات عـدلاً عن عـدل حتى ينتهي ذلـك إلى رسـول الله ﷺ. لا يقـولـونْ كيف، ولا لم ذلـك. وحجتهم كما أشرنا عند حديثنا عن توحيد الذات والصفات، أن العقل البشري لم يمنح القدرة على معرفة كنه الله وصفـاته، فـوجب الإيمان بمـا جاء بـه الأنبياء والوقوف عند ما قالوه، وعدم إثارة المسائل التي لم يتـطرقوا إليهـا، وسد الـطرق على من يثيرونها. ولا يصح الجدل إلا في بيان خطأ الذين يحاولون ادخال الجدل والنقـاش في العقائـد وفسـاد منهجهم. فلما أثـار المعـتزلـة القـول بخلق القـرآن أجابهم السلفيون بـأن القرآن كـلام الله، لا نقول مخلوق ولا غـير مخلوق، وان إثارة هذه المسألة بدعة لم يقلها النبي ﷺ، ولا صحابتـه، فلا نتـابعكم في السير فيها، ولا نتابعكم في الجدل والخصومة، ونقف عند قـولنا: القـرآن كلام الله. وهذا ما قاله الله في كتابه الكريم. وكان على رأس هذا الفريق الإمام أحمـد بن

---

(١) محمود قاسم. مناهج الأدلة في عقائد الملة طـ ٢ ص ٦٤ ـ ٦٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حنبل الذي سنشرح رأيه بعد قليل.

٢ ـ فريق من المتدينين الذين قالوا بأن القرآن بحروفه وأصواته قديم. وبالغوا في ذلك حتى صرح بعضهم أن الجلد والغلاف قديمان فضلاً عن المصحف، وقالوا: «قد تقرر الاتفاق على أن ما بين الدفتين كلام الله، وأن ما نقرؤه ونسمعه ونكتبه كلام الله، فيجب أن تكون الكلمات والحروف هى بعينها كلام الله، ولما تقرر الاتفاق على أن كلام الله غير مخلوق، فيجب أن تكون الكلمات أزلية فيه وغير مخلوقة»(٢).

كان الإمام أحمد بن حنبل، أشد المُقارعين لرأي المعتزلة في هذه المسألة فأثبت لله كل الصفات التي وردت في القرآن والحديث الشريف. وهو في ذلك متبع للنصوص لا يتعداها إلى غيرها من وسائل الاستدلال. وهو يؤمن بأن الله تعالى قديم لا بداية له ولا نهاية، وكذلك صفاته التي فيها صفة الكلام. ومن صفة الكلام تنبثق مسألة خلق القرآن.

ومن المعروف تاريخياً أن الإمام أحمد عانى محنة شديدة مع بعض الفقهاء والمحدثين لأنه لم يقل بما تقوله المعتزلة من أن القرآن مخلوق. فما هي حقيقة موقفه من هذه القضية المعقدة، هل كان يعتقد بأن القرآن الذي يتلوه القارىء بصوته، وتكتب حروفه في المصاحف قديم لقدم صفة الكلام؟ أم أنه لم يصرح بخلق القرآن لأن ذلك بدعة لا يصح لمثله النطق بها؟

لقد اختلفت الروايات في موقف الإمام أحمد من هذه المسألة:

فريق قال بأنه كان يتوقف، ويرى الخوض في هذا الأمر بدعة يجب الابتعاد عنها، ولا تصح مجادلة الذين يثيرونها. وحجتهم في ذلك رد الإمام أحمد على سؤال المأمون له: ما تقول في القرآن؟ فأجاب: هو كلام الله، فقيل له: أمخلوق هو؟ فقال هو كلام الله لا أزيد عليها، ولما قيل له أن الله لا يشبهه شيء في خلقه في معنى من المعاني، قال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(٣).

---

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام ج ٣ ط ٧ ص ٤٠.
(٣) محمد أبو زهرة ابن حنبل ص ١٣٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يعني هذا الكلام أن الإمام أحمد كان يتوقف في هذه القضية ولا يجزم بأمر معين. ويروي عنه قوله أيضاً: «من زعم أن القرآن مخلوق، فهو جهمي، والجهمي كافر، ومن زعم أنه غير مخلوق فهو مبتدع».

ولكن ابن قتيبة، تلميذ عبد الرحمن مهدى، المعاصر للإمام أحمد، يرد هاتين الروايتين وينفي أن يكون ابن حنبل قد آثر السكوت في هذه القضية فيقول: «كيف يتوهم على أبي عبد الله مثل هذا القول، وأنت تعلم من أن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد الأمرين»(٤).

ويوافق شيخ الإسلام ابن تيمية على رأي ابن قتيبة ويقرر بأن الإمام أحمد كان من القائلين بعدم خلق القرآن.

أما الفريق الثاني فيدعي بأن الإمام أحمد كان يرى أن القرآن بحروفه وكلماته وعباراته ومعانيه غير مخلوق، وإن رسائل الإمام وكثيراً من عباراته المروية تدل على ذلك، ومنها رسالته إلى المتوكل عندما طلب إليه هذا أن يبين له حقيقة القول الشافي في مسألة خلق القرآن(٥). وكان على رأس هذا الفريق ابن قتيبة وابن تيمية.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه عن ابن حنبل أن الإمام أحمد كان في أول الأمر متوقفاً، ممتنعاً عن الخوض في أمر ليس من السنة الخوض فيه، فلم يعلن رأيه، أو لعله لم يكن قد كون لنفسه رأياً، فلما طمى السيل، وراجع المصادر التي بين يديه من الآثار وأخبار الصحابة والتابعين أعلن رأيه هذا، حرصه على عدم الخوض فيه، لأن الاختصام في كتاب الله تعالى غير جائز(٦).

أما الذين يقولون بعدم توقف الإمام أحمد وقوله أن القرآن كلام الله غير مخلوق فإنهم يعتمدون على مضمون رسالته إلى الخليفة المتوكل حول هذه المسألة إذ يقول في أحد أقسامها وقد قال الله تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك

---

(٤) محمد أبو زهرة ابن حنبل ص ١٣٣.
(٥) المرجع نفسه ص ١٣٤.
(٦) المرجع نفسه ذات الصفحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، وقال ﴿لله الخلق والأمر﴾ فأخبر بالخلق، ثم قال ﴿والأمر﴾ فأخبر أن الأمر غير الخلق، وقال عز وجل: ﴿الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان﴾ فأخبر أن القرآن من (الله). وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم. مالك من الله من ولي ولا نصير﴾. وقال: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم، إنك إذاً لمن الظالمين﴾. وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم، مالك من الله من ولي ولا واق﴾. فالقرآن من علم الله...

وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاء هو القرآن، لقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾. ولقد روى عن غير واحد ممن مضى في سلفنا أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام غير مخلوق، وهو الذي أذهب إليه، لست بصاحب كلام، ولا أرى في شيء من هذا إلا ما كان من كتاب الله، أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»(٧).

يتضح من نص هذه الرسالة أن الإمام أحمد لم يكن يستحسن الجدال في مثل هذه المواضيع، لكنه اضطر إلى ذلك اضطراراً، فختم الرسالة بقوله: «لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا». كما صرح بأن القرآن غير مخلوق اعتماداً على قول السلف، بأنه كلام الله، وكلام الله غير خلق الله. ثم يفرق بين الأمر والخلق، فالقرآن أمر، والأمر غير الخلق، وهو من علم الله، وعلم الله غير خلقه. وقد استمد كل هذا من آيات الله، وأحاديث النبي وأخبار الصحابة والتابعين.

وقد ناصر هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يوضح المسألة ويدعمها

---

(٧) راجع النص الكامل لهذه الرسالة في كتاب محمد أبو زهرة ابن حنبل ص ١٣٦ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بأدلة عقلية، فيقول بأن القرآن غير مخلوق، وبأن هذا هو رأي السلف. وكل من يقول عكس ذلك فهو مبتدع.

ويفرق ابن تيمية قبل كل شيء بين القرآن وقراءته: فالقرآن كلام الله الذي أوحى به إلى نبيه، أما القراءة فهي صوت القارىء الذي يسمع. وقد جاء في الآية: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه﴾. وقال النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم». وحيث أن القراءة صوت الإنسان، فهي مخلوقة مثل هذا الإنسان، ومخلوق أيضاً المداد الذي تكتب به المصاحف. ولكن يجب التفريق بينه وبين كلام الله لأن الآية التالية تؤكد التفريق. ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مداداً﴾.

ثم ينتقل ابن تيمية إلى توضيح رأي الإمام أحمد والسلف في مسألة تكلم الله بالقرآن وإنه غير مخلوق فيقول:

«السلف قالوا لم يزل الله متكلما إذا شاء بالعربية، كما تكلم بالقرآن العربي، وما تكلم به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة، لأن الله تكلم بها»[٨]. ويقول أيضاً:

«والسلف اتفقوا على إن كلام الله منزل غير مخلوق، فظن بعض الناس أن مرادهم أنه قديم العين، ثم قالت طائفة هو معنى واحد، وهو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل منهى والخبر بكل مخبر، والله سبحانه وتعالى أن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان انجيلا، وهذا القول مخالف للشرع والعقل»[٩].

خلاصة كلام ابن تيمية أن القرآن غير مخلوق، لكنه لا يقول بأنه قديم. أي

---

(٨) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٣ ص ٢١ ـ ٢٢ مطبعة المنار.
(٩) المرجع نفسه ص ١٥٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أن صفة الكلام قديمة بقدم الذات، لكن التكلم ذاتـه ليس بقديم. وعـلى ذلك فالقرآن ليس بقديم كما أنه ليس بمخلوق.

رأي الوهابيين في هذه المسألة:

يثبت الوهابيـون صفة الكـلام ويقولـون بأن القـرآن كلام الله غـير مخلوق، تكلم به حقيقة وأنزله وحياً على النبي محمد. وهم بذلك على رأى الإمـامين ابن حنبل وابن تيمية.

وقد أكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الاتجاه في رسالته إلى أهل القصيم حـين قال: «واعتقـد أن القرآن كـلام الله منزل، غـير مخلوق، منـه بـدأ وإلَيـه يعود، وإنه تكلم به حقيقة وأنزله عـلى عبده ورسـوله وأمينـه على وحيـه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ». ويهاجم الوهابيون رأي المعتزلـة وجميع القـائلين بخلق القرآن وتأويل آياته ويعتبرون الإسلام منهم براء، كـما أنهم يهاجمـون رأي الأشاعرة في هذه القضية وفي غيرها من القضايا.

فالأشعري ميز بين نوعين من الكلام:

الكلام النفسي: الذي يدور في خلد الله منذ الأزل، أي أنـه صفة قـديمة في الله لا تتغير، وقد عـبر عنها في وقت من الأوقـات بواسـطة الوحي، وتجـلى هذا الوحي في صورة كلام للنبي يستطيع أن يفهمه الناس.

ثم الكـــلام اللفـظي: أي المكتـــوب في المصحف المعـــبر عن معنى الكـــلام القديم، وهذا الكلام حادث.

وفي رأي الوهابيـين أن مذهب أهـل السنة والجـماعة في هـذه القضية مخـالف لمذهب المعتزلة والحشوية من جهة، ولـلأشعريـة من جهة أخـرى. وقد جـاء في إحدى رسائل عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين:

«وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو مخالف للمـذهبين خـلافاً معنـوياً لأنهم يقولون كـلام الله غير مخلوق، والكـلام عندهم اسم للحـروف والمعاني، فتبـين ذلك غلط من قال أن الخلاف في ذلك لفظي. ومذهب أهل التوحيد والسنة أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله يتكلم بحرف وصوت وأن القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، وأن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة، والقرآن والسنة يدلان على ذلك دلالة صريحة ولله الحمد والمنة. قال الله تعالى؛ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾. وقال: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، نفرق بين الايحاء المشترك وبين التكليم الخاص، وقال تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾. ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي﴾ وقال: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾. ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾. ﴿افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾. ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾... والآيات في ذلك كثيرة.

أما السنة في ذلك فأكثر من أن تحصى. منها أمره ﷺ الاستعانة بكلمات الله في عدة أحاديث. وقوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان فمن قال أن الله لا يتكلم قد رد على الله ورسوله وكفره ظاهر»(١٠).

ثم يرد الشيخ أبو بطين على من يدعي بأن في القرآن معان مجازية كثيرة، ومنها آيات الكلام، فيقول:

«وقد ذكرتم أن العرب يضيفون الفعل إلى غير الفاعل فهذا لا ينكر أعني وجود المجاز في لغة العرب، وأما وقوع المجاز في القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء. حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر أن أكثر الأئمة لم يقولوا أن في القرآن مجازاً، ورد القول بوجود ذلك في القرآن واستدل له بأدلة كثيرة وعلى تقدير جواز وجوده في القرآن. فمن المعلوم أنه لا يجوز صرف الكلام عن حقيقته حتى تجمع الأمة على أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، ولو شاع ادعاء المجاز لكل أحد ما ثبت شيء من

---

(١٠) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين ص ٩٦ - ٩٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العبادات ولبطلت العقود كلها كالأنكحة والطلاق والأقاريـر وغيرهـا، وجل الله أن يخاطب الأمة إلا بمـا تفهمه العرب من معهود مخـاطبتها ممـا يصح معنـاه عند السامعين. وأيضاً فالكلام إذا قام الدليل على أن المتكلم به عـالم ناصـح مرشـد قصده البيان والهدى والدلالة والايضاح بكل طريق وحسم مواد اللبس ومواقـع الخطأ، وان هذا هو المعروف والمألوف في خطابه، وأنـه اللائق بحكمتـه لم يشك السامع في أن مراده هو ما دل عليه ظاهر كلامه»[11].

ثم يسوق الشيخ أبو بطين أدلة قرآنية أخرى حول حقيقة كلام الله فيقول:

«وأيضـاً فالأدلـة الدالـة على أن الله يتكلم حقيقـة أكثر من أن يمكن ذكـرهـا هنا. منها أن الله سبحانه فـرق بين الايحـاء المشترك وبـين الأنبياء وبـين التكليم الخاص لموسى فقال تعالى: ﴿إنـا أوحينا إليـك كما أوحينـا إلى نوح والنبيـين من بعده﴾ إلى قولـه ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾. فلو لم يكن موسى سمـع كلام الله منـه بلا واسـطة لم يكن له ميـزة على غـيره من الـرسـل، ولم يكن في تخصيصـه بالتكليم فائدة ولم يسم كليم الله وقد قال تعالى: ﴿يا موسى إني اصطفيتك عـلى الناس برسالاتي وبكلامي﴾ وأيضاً فقد قال «الفراء» إن الكلام إذا أكد بـالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة، وقد أكد الفعل بالمصدر في قوله ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا نادى ربك موسى﴾، وقال: ﴿وناديـنـاه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾، وقال: ﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنـا ربك﴾، وقـال تعالى: ﴿فلما أتـاها نـودي من شاطىء الـوادي الأيمن﴾ الآية. ففي هـذا ونحوه دلالة صريحـة أن الله كلم موسى ونـاداه بنفسه بـلا واسطة ومـوسى سمع كلام الله ونداءه لأنه لا يجوز لغير الله أن يقول: ﴿إني أنا الله رب العالمـين﴾. وقد ذكر الإمـام أحمد رضي الله عنـه في كتاب الـرد على الجهميـة عن الزهـري قـال: «لما سمـع موسى كـلام الله قال يـا رب هذا الكـلام الـذي سمعتـه هـو كلامك؟ قال نعم يا موسى هو كلامي وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسـان ولي قوة الألسن كلها وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك بقدر مـا يطيق بـدنك، ولـو كلمتك بأكثر من ذلك لمت».

---

(١١) نفس المصدر السابق ص ٩٧ ـ ٩٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلما رجع موسى إلى قومه قالوا صف لنا كلام ربك، فقال: «سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم. قالوا فشبهه، قال هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثلها»(١٢).

وبعد أن أثبت الشيخ أبو بطين صفة الكلام، انتقل إلى قضية خلق القرآن، فأنكر رأي القائلين بأن السلف كانوا يعتقدون بخلق القرآن أو أنهم توقفوا عن إعطاء رأي في القضية، وأكد بأنهم أجمعوا على عدم القول بهذا الخلق:

«وقلتم إن القول بأن القرآن غير مخلوق لم يقله السلف، وإن عدم القول بذلك هو الصواب وإنه هو اعتقادكم فما تقولون مخلوق ولا غير مخلوق. فإما هذا القول لم يقله السلف فلا ندري من تعني بالسلف عندكم، فإن كان يعني بالسلف عندكم جعداً، وجهماً، وابن أبي داوود وأتباعهم كأبي علي الجبائي، وأبي هاشم وأتباعهم من الجهمية والمعتزلة، فصدقتم بأن هؤلاء لم يقولوا هذه المقالة، وإنما قالوا القرآن مخلوق، وبعداً لمن كان هؤلاء سلفه واستبدل سبيلهم بسبيل النبي ﷺ وصحابته.

وما عرض لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الأمين

وإن كان يعني بالسلف عندكم الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة الذين رفع قدرهم، وأعلى منزلتهم، الذين هم سلف الأمة حقاً، فأخطأتم في نسبة عدم القول بذلك إليهم، فإنهم كلهم مجمعون على إن القرآن كلام الله غير مخلوق».

«قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرآن: « ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود»(١٣). رواه محمد بن جريره، وهبة الله بن الحسن الطبريان في كتاب السنة لهما. وقد أدرك عمرو بن دينار أبا هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ. فهذا يدل على شهرة القول بذلك في زمن الصحابة الذين أدركهم عمرو بن دينار وعلى شهرته عند

---

(١٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. رسائل الشيخ أبي بطين ص ٩٩.
(١٣) المرجع نفسه ص ١٠٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التابعين، وإنهم كلهم على ذلك. وقال البخاري حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق، فعمرو بن دينار حكاه عن مشيخته والناس، وسفيان حكاه أيضاً عن مشيخته، فهذا صريح في الدلالة على اشتهار هذا القول في القرون التي أثنى عليها النبي ﷺ أئمة الإسلام في ذلك أكثر من أن يمكن ذكره هنا كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والليث والثوري والشافعي وابن المبارك وأحمد واسحاق وأبي عبيد والبخاري وغيرهم من أئمة الحديث وكلهم على ذلك مجمعون ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون»[١٤].

ثم يرد الشيخ أبو بطين على المدعين بأن بعض السلف قالوا بخلق القرآن مثل ابن المدني وابن معين، فيقول بأن هذين العالمين وغيرهما من أئمة الحديث أجابوا بخلق القرآن كرهاً وتحت التعذيب، هذا إذا صحت الرواية بأنهما قالا بذلك.

أما من يدعي توقف السلف في قضية الصفات ومسألة خلق القرآن وغيرها، فإن الوهابيين، بلسان ابن بطين، ينفون ذلك، إذ كيف يقف الإنسان موقف الحيرة والشك والضلال وعدم المبالاة أمام الحق الواضح الذي ينبع من آيات الله البينات ومن أقوال الرسول وصحابته أئمة الدين والعلم والهدى[١٥].

والوهابيون التزاما منهم باحقاق الحق ومحاربة الباطل لا يقرون التوقف في هذه القضية وإنما ينحازون إلى جانب العقيدة التي التزموا بها ودافعوا عنها في كل أقوالهم وأفعالهم. وفي ذلك يقول أبو بطين:

«وأما قولكم: إن الصواب في هذه المسألة الوقف، وإنه هو اعتقادكم، لا تقولون مخلوق ولا غير مخلوق فمضمون هذه المقالة إن الله يحب منا أن نقف موقف الحيارى الشاكين، ونبقى في الجهل البسيط لا نعرف الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)، وإن الله

---

(١٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. رسائل الشيخ أبي بطين. ص ١٠٣ ـ ١٠٤.
(١٥) نفس المصدر، ص ١٠٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يحب عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ ويحب منا الحيرة والشك. ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال، وإنما يحب الدين والعلم واليقين. وقد ذم الله الحيرة بقوله تعالى: ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران﴾.

فالرب سبحانه وتعالى عالم بما سيقع من التنازع فقال: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ ومن المحال أن يأمرهم برد ما تنازعوا فيه إلى ما لا يفصل النزاع ويبين الحق من الباطل وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[16].

ثم يرد على من يدعي بأن الكلام لا بد من أن يصدر عن جوف وفم ولسان وشفتين، لأنه إذا ثبت هذا فيعني أن المتكلم جسم، وإذا كان جسماً فهو مكون من أجزاء وبالتالي قابل للانحلال والاندثار، تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً.

يقول الشيخ أبو بطين:

«وأما قولكم إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين فهذا باطل لأن الله تعالى قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، أتراها قالت بفم ولسان وشفتين. والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا لها شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شيء أتراها نطقت بلسان وأدوات وقال: ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ أتراها تكلمت بجوف وفم ولسان وشفتين، ولكن الله أنطقها كيف شاء، فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول بجوف ولا فم ولا لسان ولا شفتين. وقال النبي ﷺ «إني لأعرف حجرا كان يسلم علي»[17].

ومما يثبت اعتقاد السلف بأن كلام الله غير مخلوق فرضهم الكفارة على من

---

(١٦) المرجع السابق نفسه ص ١٠٥.
(١٧) المرجع السابق ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يحلف بالقرآن ويحنث في يمينه، لأنهم أجمعوا على عدم الحلف بالمخلوقات وعدم انعقاد اليمين بها.

«قال الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية، وزعمت أن اسم الله في القرآن إنما هو اسم مخلوق، فقلنا قبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه، قالوا لم يكن له اسم، فقلنا قبل أن يخلق العلم؟ كان جاهلاً لا يعلم حتى خلق لنفسه علماً؟وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نوراً؟ وكان لا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة؟ فعلم الخبيث أن الله قد فضحه وأبدى عورته للناس حين زعم أن الله سبحانه في القرآن إنما هو اسم مخلوق. فقلنا للجهمي لو أن رجلاً حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذباً لا يحنث لأنه حلف بشيء مخلوق ولم يحلف بالخالق ففضحه الله في هذه»[18].

وقد فرق الوهابيون أيضاً بين كلام الله وصوت قارىء هذا الكلام، وقالوا بأن السلف وأئمتهم ميزوا بين هذا الكلام وقارئه ولم يقولوا بأن أصوات العباد ومداد المصاحف قديمة أو مخلوقة. وقد جاء ذلك في إحدى رسائل الإمام أبي بطين حيث قال:

«واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله تعالى، فالصوت المسموع صوت القارىء والكلام كلام الباري. فهم يميزون ما قام به العبد وما قام به الرب تبارك وتعالى ولم يقل أحد منهم أن أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم مع اتفاقهم أن المثبت بين لوحي المصحف كلام الله، وقد قال النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم». فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله، والأصوات التي يقرؤون بها أصواتهم. فالكلام شيء والصوت شيء آخر، هذا محالاً يخفي على من لم يرسخ التعطيل في قلبه، ثم ليعلم أن معتمدنا في إثبات الصفات على الكتاب والسنة فمهما جاء فيهما فهو الحق والصدق لا يجوز التعريج على ما سواه ولا الالتفات إلى هذيان يخالفه فإن الله تعالى أمرنا بالأخذ بكتابه والاقتداء برسوله»[19].

---

(١٨) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. رسائل الشيخ أبي بطين. ص ١٠٩ ـ ١١٠.
(١٩) المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لقد شمل الوهابيون بتفكيرهم كل جوانب قضية خلق القرآن. فأقروا بأنه غير مخلوق، لكنهم لم يقولوا بأنه أزلي خوفاً من تدنيس فكرة التنزيه. ثم إنهم كانوا حذرين عندما ميزوا بين كلام الله وصوت قارئه فلم يقولوا بأن مداد المصاحف وأصوات العباد قديمة ولا مخلوقة بل قالوا بأن الكلام كلام الله، والصوت صوت الإنسان وهو قول يقترب من رأي الأشاعرة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الحادي عشر

موقفهم من بعض القضايا الدينية الأخرى

موقفهم من الصوفية:

ابتدع المتصوفون المسلمون أفكاراً جديدة في العقيدة والحياة لم يعهدها المسلمون الأوائل في القرآن والسنة، إذ غيروا وبدلوا في مفاهيم العقيدة بما يتناسب مع أذواقهم وأحوالهم، وغالى بعضهم في تصوراته الدينية إلى أبعد الحدود. فكان من ثمرات هذا الغلو ظهور فكرة الحلول، أي حلول روح الله في بعض البشر الذين يملكون قدراً كبيراً من الصفاء الروحي العميق. وأشهر من قال بها الحلاج، الذي اقترب كثيراً من الفكرة المسيحية حول طبيعة المسيح. لكنه تجاوز حدود هذه الفكرة إلى نظرية عامة تقول بأن الإنسان صورة الله على الأرض أخرجها من نفسه منذ الأزل وأعلن بواسطتها عن مكنون سره وجماله. وهذه الصورة تتألق في مظهرها الخارجي في طبيعتين: الناسوت، أي الطبيعة البشرية، واللاهوت أي الطبيعة الإلهية. وهاتان الطبيعتان ممزوجتان مزجاً تاماً بحيث لا نستطيع التفريق بينهما.

لم يعهد المسلمون قبل الحلاج مثل هذه الأقوال الجريئة بتصوراتها. فهو يدعي أنه صورة الله على الأرض، وأن كل إنسان يمثل واحدة من الصور الإلهية الكثيرة التي لا حصر لها، فأثار بذلك غضب المسلمين فقتلوه صلباً[1].

---

(١) أبو العلاء عفيفي. التصوف الثورة الروحية في الإسلام. دار المعارف بمصر ط ١ القاهرة=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفكـرة الثانيـة التي ابتدعهـا المتصوفـة هي فكرة الاتحـاد بين الله والإنسـان بـواسطة المحبـة والشوق. وعن طـريق هذه المحبـة يتصل الإنسـان بـالله ويعلو إليه. وعندما يصل إلى درجة الاتحاد بـالذات العليـا يصبح في غيبـوبة يسمـونها المحو، أي فناء الـذات الإنسانيـة الفانيـة في ذات الله الأزلية. ويسمـونها أيضاً «السكر» لأن الإنسان يغيب فيها عن الحس. ويطلق على هذه الحال اسم وحدة الشهود. ومن أبرز القائلين بهاء عمر بن الفارض الذي يعد من أقـطاب العشق الإلهي، وأعظم شاعر صوفي عرفته اللغة العربية.

وفي مقابل فلسفة ابن الفارض وأتباعه ظهرت فلسفة وحدة الوجـود التي حمل لواءها ابن عـربي. وملخصها أن الـوجود في حقيقـة جوهـره شيء واحد، لكنـه متعدد الصور والأجزاء في العالم الواقعي لأن الحواس لا تدرك إلا الجزئيات التي في متناولها، والعقل البشري عاجز عن ادراك وحدة الوجود الشاملة لأنه سجـين مقولاته. وهذه المقولات مستمدة من العالم الخارجي المتعدد الأجزاء والأشكال، المتضمنة في الزمان والمكان. أمـا الحقيقة الـوجوديـة الكلية فخـارجة عن نـطاق الحس والعقل.

ومن الصوفية من اتخذ نواح أخرى غير التي ذكرناهـا، منها مـذهب الاشراق الذي غلبت فيه الناحية الفلسفية على ما عداهـا. وهذا الاشراق نجـده متغلغلاً في التفكـير الصـوفي كله حتى يقـال إنّ أسـاس كـل تصـوف هـو هـذا الاشراق الـروحي. لكن بعض المتصوفـين اقتصروا عليه ولم يتجـاوزه إلى ما ذكـرنـاه من مناحي الفكر الصوفي. ومنهم من اقتصر في تفكيره على الاذعان لـلأولياء الـذين منحهم من صفات المعرفة والكشف والشفاعة ما لم يصل إليه الأنبياء.

أثارت هذه الآراء الغـريبة عـلى الإسلام حفيـظة الفقهاء الـذين وجدوا فيهـا خـطراً داهماً عـلى العقيدة، خـاصة وأن المتصـوفين استخـدمـوا في فهم القـرآن والسنة طرقاً متنوعة من التأويل، فحملوا النصوص ما لا تحتمل لتبرير فلسفاتهم ونحلهم. وقد جاء ذلك في وقت زرعت الحركة الكلاميـة الشك في كـل شيء،

= ١٩٦٣ ص ٢٣٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأشاعت الحيرة والبلبلة في الأفكار. فاندفع الناس إلى البحث عن طريق جديد للإيمان واليقين، واستغل الصوفيون هذا الوضع وقالوا بأن الوجدان الصوفي هو هذا الطريق الوحيد الذي يقود المؤمنين إلى مجالي الحضرة الإلهية أو الحق المطلق. وسلك بعض المسلمين هذا الطريق الذي يختلف عن طريق الأحكام الشرعية، وركزوا البحث في المعاني الباطنة للأحكام بالإضافة إلى معانيها الظاهرة. فنشأ نتيجة ذلك علم جديد إلى جانب علم الفقه، هو التصوف. أي ظهر علم باطن الشريعة إلى جانب علم الظاهر. وهذه التفرقة لم يعهدها المسلمون من قبل أبداً.

أحدث هذا المنهج الصوفي كما قلنا ذعراً بين الفقهاء الذين يمسكون بنواصي تعاليم الإسلام كما وردت في القرآن والسنة. فشنوا حملة نقد شديدة ضد المتصوفين واضطهدوهم بعد أن اتسعت شقة الخلاف فيما بينهم على مر الزمن، وأصبح لكل فريق وجهة نظر خاصة في فهم الدين، وماهية العبادة وطقوسها، والحد بين الحلال والحرام، وطبيعة الصلة بين الله والإنسان، هل هي صلة محب بمحبوبه، أم صلة عابد بمعبوده؟ وما هو التوحيد: هل يعني إفراد الله بصفات تميزه عن بقية المخلوقات أم إفراده بالوجود الحق إلى غير ذلك من المسائل التي هي من صميم الدين.

كان من الطبيعي إذاً أن يقع الصدام بين الفريقين بسبب اختلافهما في فهم العقيدة والمنهج والإيمان. وظهر الخلاف على أشده حوالى سنة ٢٠٠ هـ بين الفقهاء ومتصوفي البصرة والكوفة ثم تلاه سلسلة من حوادث العنف بين الفريقين في مصر والشام والعراق انتهت في سنة ٣٠٩ هـ. بصلب الحلاج.

اتهم الصوفيون الفقهاء بتجميد مفاهيم العقيدة وتحويلها إلى طقوس ميتة. وادعوا بأنهم حماة الدين بمعناه الحقيقي الباطني لا الظاهري، فوضعوا حدوداً لأحكام الباطن، وأعمال القلوب، وعدوا ذلك جزءاً من الدين، بل عدوه الفقه الحقيقي في الدين. واعتبروا أن الأعمال بالنيات، وبأن الفقيه الحقيقي هو البصير بأمر دينه المتفهم لحقيقة شرعه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لم تقتصر ثورة المتصوفين على الفقهاء، وإنما تعدتهم إلى معان أخرى لأحكام الشرع، مثل الفروض والنوافل والحلال والحرام والمكروه وغيرها. فأوجبوا وحرموا على أنفسهم أموراً لم ترد في الشرع، بل قادتهم إليها أذواقهم وأحوالهم. ومنحوا أنفسهم حق التشريع والفتوى.

اعتبرت هذه المفاهيم في نظر الفقهاء الحريصين على تعاليم الإسلام خطوة نحو الإباحية والتحلل من الشرع. فقاموا بحملة عنيفة على المتصوفين واتهموهم بالكفر والمروق.

كان أحمد بن حنبل من أبرز الشخصيات التي ناهضت أفكارهم بعد أن رآها تنتشر بين المسلمين، وتقوض إيمانهم القرآني المنبعث من القلب وتمارس طقوساً لا عهدة للإسلام بها.

لقد كان هؤلاء الفقهاء يعتقدون بأن تعاليم الإسلام كما جاءت في القرآن والسنة أمانة غالية بين أيديهم، يجب أن يحافظوا عليها بقلوبهم وعقولهم وعواطفهم ضد الهجمات الشرسة التي كانت تتوالى على معتقدات الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى، ومن بعض المسلمين أنفسهم الذين تأثروا بفلسفة اليونان والمنهج الجدلي عند المتكلمين. كان لا بد لهم من مواجهة هذه الأفكار بقوة، فظهر بعد ابن حنبل شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تصدى لتلك الهجمات، وقارع أصحابها بسلاحهم، فهاجم مذاهب المتصوفين وأفكارهم لأنها في رأيه تنافي معنى التوحيد كما فهمه السلف والتابعون، ووجد أن بعض قائليها ينسبون لأنفسهم أحوالاً يرتفع فيها التكليف بينهم وبين خالقهم، فاتهمهم بالمروق وتعطيل أحكام الشريعة، وهاجم الذين يعتقدون بولاية بعض المتصوفين وبقدرتهم الخارقة على التقرب إلى الله.

شن ابن تيمية على الصوفيين حرباً شعواء بعد أن فند أقوالهم وناقشها مناقشة العارف لدقائقها وأسرارها. وهاجم بصورة خاصة مذهبي الحلول ووحدة الوجودة، وكفر أصحابها. وساق أدلة عقلية وشرعية على بطلانهما.

أما الوهابيون فقد وجهوا بدورهم نقداً شديداً إلى المذاهب الصوفية وقالوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بأنها شوهت تعاليم الدين واستعانت بفلسفات الهند واليونان والفرس في بناء أفكارها ومعتقداتها وطقوسها. ويمكن تلخيص آراء الوهابيين في التصوف بما يلي:

١ ـ إن الفلسفات التي أتت بها المذاهب الصوفية مثل وحدة الوجود والحلول والفناء إنما هي فلسفات غريبة وتصورات مضللة ومشوهة لتعاليم القرآن والسنة وللتوحيد الذي هو أبرز العقائد الإيمانية في الإسلام.

٢ ـ إن المنهج الصوفي في دراسة العقيدة بعيد عن الشرع، ويستعمل التأويل للوصول إلى ما يمس باطن الشريعة، لأن علم الظاهر الذي قال به الرسول والصحابة والتابعون لا يوصل إلى الحقيقة، وهذا في رأي الوهابيين كفر مبين، لأن التأويل أدى إلى وقوع الشك في العقيدة وتفسيرها في صور متعددة ومتناقضة أحياناً.

٣ ـ إن العقائد الصوفية وما يتخللها من الطقوس إنما هي دخيلة على روح الإسلام وتعاليمه خاصة فيما يمارسون من المجاهدات والمراتب والحالات بغية الوصول إلى الحق المطلق الذي هو الله.

ويوجه الوهابيون نقداً عنيفاً إلى فكرة الولي الصوفي الذي يعتقد الصوفيون بأنه يستطيع الوصول إلى مقام القرب من الله بفضل قداسته وصفائه الروحي، وان له القدرة على إدراك معاني الغيب والكشف عن حقائق الأشياء. حتى أنهم يعتبرون الولاية أعلى مرتبة روحانية يصل إليها المسلم، أي أنها أعلى مرتبة من النبوة.

وقد رأينا كيف ثار الوهابيون على ما نسجه كثير من المسلمين والمتصوفين من الأوهام والخرافات حول بعض من يظنونهم أولياء فيقدمون إليهم النذور ويطلبون منهم تفريج الكربات وحل المشكلات وهذا في رأي الوهابيين شرك كبير بالله جاء الإسلام لمحاربته وتقويضه.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحد أئمة الدعوة الوهابية في رسالة عنوانها: «ضلال بعض المتصوفة والافتتان بالقبور»:

«ومما يبين حكمة الشريعة وإنها كما قيل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، إن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يصلون للميت، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه، يقول في شيخه، وآخر من أعيان الشيخ المتبرعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ ويعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها»[٢].

ثم يصف الشيخ عبد اللطيف كيف أن بعض المتصوفين يخشعون أمام قبور أوليائهم أكثر من خشوعهم في المساجد أمام الله، وكيف جعلوا من هذه القبور أمكنة يحجون إليها فيقول:

«وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والذل وحضور القلوب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتباً (وسموها مناسك حج المشاهد) كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفي كذبه على من له معرفة بالنقل، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ، وإن لم يسموا ذلك نسكاً وحجاً فالمعنى واحد وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد النبي ﷺ، لا حج البيت... ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا في المشرق والمغرب... وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم

---

(٢) راجع النص الكامل لهذه الرسالة في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ ص ٣٩٧ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسواعلى ملة إمام الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله﴾، وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت طلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه الهاً، وعزلوا محمداً ﷺ أن يتخذوه رسولاً... ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه... ومنهم من قال أسقط الربوبية، وقل في الرسول ما شئت[٣]...».

ويستطرد الشيخ عبد اللطيف في وصف سلوك المتصوفين المنافي للشريعة، فيتهم من خالف القرآن منهم بالشرك، وبالبدعة من خالف السنة. حتى أن بعض المتصوفين أنفسهم رفعوا أصواتهم ضد الذين غالوا في تصوفهم وانحرفوا إلى ما لا تقره شريعة أو دين. ويصف أبو القاسم القشيري في رسالته الشهيرة كيف أن بعض المتصوفين «توانوا في مسائل الشريعة اعتماداً على ما سموه بالحقيقة. وزال الورع من نفوسهم وطوى بساطه واشتد الطمع بهم وقوى رباطه وارتحل من القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة. ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة»[٤]...

أما الزهد فإن الوهابيين لا ينكرونه، لأن الإسلام دعا إليه، ولأن النبي والخلفاء وكثيراً من الفقهاء كانوا من الزاهدين، لكنهم لم يمارسوا الرهبنة التي دعا إليها المتصوفون.

رؤية الله:

وهذه أيضاً مسألة وقع فيها الخلاف بين مفكري الإسلام من فلاسفة

---

(٣) المرجع السابق ص ٣٩٧ ـ ٤٠٠.
(٤) الرسالة القشيرية ص ٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومتكلمين. فقد ورد في القرآن بعض الآيات التي تؤكد رؤية الله وتثبتها، مثل قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾. ووردت آيات أخرى تنفي هذه الرؤية وتحجبها مثل: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً﴾، ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾. فلو كانت الرؤية ممكنة، كما يقول أهل النفي، لما نفاها الله على وجه التأكيد بقوله: لن تراني.

كانت هذه الآيات محور مناقشات نشطة بين الفرق الكلامية المختلفة بسبب اتصالها بقضية التوحيد والصفات.

فالمعتزلة أنكروا هذه الرؤية إنكاراً مطلقاً في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لأنهم ينكرون الجسمية والجهة عن الذات الإلهية، ولأن للرؤية عندهم شروطها الخاصة كاللون والضوء ووجود الشيء المرئي في مقابل الرائي. وهذا كله محال في حق الله، لأن هذه الشروط لا تصدق إلا بالنسبة للأجسام، والله ليس بجسم كما برهنوا على ذلك. وتأكيداً لرأيهم ذكروا الآيات الموحية بنفي الرؤية.

أما الآيات الأخرى التي تثبتها مثل: ﴿ووجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، فقد أولوها بما يوافق تفكيرهم، وقالوا بأن معنى النظر في هذه الآية إنما هو التوقع والانتظار وليس الرؤية البصرية. ولكن إذا كانت هذه الرؤية بالبصر مستحيلة، فإن هناك رؤية من نوع آخر هي الرؤية القلبية. ويريدون بها زيادة علم يفيضه الله على قلوب المقربين.

لقد رفض المعتزلة الأحاديث الدالة على الرؤية لأنها أحاديث آحاد لا يصح الاحتجاج بها. أما الأشاعرة فقالوا بجواز رؤية الله في الآخرة وليس في الحياة الدنيا. وهم بذلك منسجمون مع رأيهم القائل بإثبات الجهة لله. وقد استدلوا على ذلك ببعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ أي مبصرة. وليس المقصود بالنظر هنا الاعتبار ولا الانتظار أو التوقع، لأن حياة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الآخرة ليست دار اعتبار أو توقع أو انتظار كما يقول المعتزلة، وإن اضافة النظر إلى الوجوه في الآية دليل على أن الرؤية بصرية ولا يجوز أن يحمل معنى البصر محملاً آخر، لأنه يجب التمسك بظاهر النص ولا يجوز تأويله إلا لحجة. أما الآية التي يستدل بها المعتزلة على عدم الرؤية، فهي ليست حاسمة لأن موسى لم يسأل ربه شيئاً مستحيلاً، وإلا لكان المعتزلة أكثر علماً بالله من أحد أنبيائه. ثم يلجأ الأشاعرة إلى آيات أخرى لتأكيد إمكانية الرؤية منها قوله تعالى؛ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾. وهذه الزيادة في رأيهم هي النظر إليه، وهذا تأويل ظاهر. ويحتج الأشاعرة أيضاً بأدلة عقلية فيقولون بأن كل موجود لا بد من أن يكون مرئياً من حيث هو موجود، لا من حيث هو جوهر أو عرض، وبما أن الله موجود إذاً فهو مرئي.

أما الوهابيون فيعتبرون رؤية الله حقاً لأنها موضع اتفاق أهل السنة، وقد جاءت بها نصوص محكمة. فلا يمكن أن تكون قلبية بل هي بصرية، ولذلك لا يراه الكافرون لأنهم محجوبون عنه.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة إلى أهل القصيم: «وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته».

فالرؤية عند الوهابيين تقع على الذات الإلهية المتصفة بكل وصف يليق بعصمتها وبربوبيتها من جلال وكمال وجمال. وفي ذلك يقول الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ:

«إن الرؤية تقع على الذات المتصفة بكل وصف يليق بعظمته وإلهيته وربوبيته من جلال وجمال وكمال وإن صفات الجلال ترجع إلى الملك والمجد والسلطان، والعزة والجمال وصف ذاتي، كما أن الجلال كذلك، والكمال حاصل بكل صفة من صفاته العلى فله الجلال الكامل والجمال الكامل، والمجد والعزة التي لاتضاهي ولا تماثل. فهذه أوصاف ذاتية لا تنفك عنه حال من الأحوال، وإنما يقال تجلى بالجلال والمجد والعزة والسلطان إذا ظهرت آثار تلك الصفات، كما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقال تجلى بالرحمة والكرم والعفو والإحسان إذا ظهرت آثار تلك الصفات في العالم ويستحيل أن يرى تعالى وقد تخلف عن صفة جلال وجمال وكمال»[٥].

من الواضح أن الوهابيين يعتمدون في رأيهم على النصوص بدون تأويل أو تبديل التزاماً منهم بعقيدة أهل السنة والجماعة. ولا يحاولون معرفة الحال التي تكون عليها الرؤية خوفاً من الوقوع في التجسيم. فالمؤمنون يرون الله في الآخرة بلا كيف، لأن الكيفية تكون للصور والأجسام. وذلك يكون رأيهم وسطاً بين الذين ينفون الرؤية نفياً قاطعاً كالمعتزلة وبين الذين يثبتونها كما تثبت للأشخاص والأجسام كالحشوية والمجسمة.

وقد سبق الوهابيين إلى مثل هذا الرأي الإمام أحمد بن حنبل الذي قال في إحدى رسائله المبينة لعقيدة أهل السنة والجماعة، إن الإيمان بالرؤية يوم القيامة جزء من إيمانها:

«والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روى عن النبي ﷺ ثبت من الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ رأى ربه فإن ذلك مأثور بحديث صحيح، رواه قادة عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس، والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به على ظاهره ولا نناظر فيه أحداً[٦].

اعتمد ابن حنبل في هذا الرأي على السنة ولم يعتمد على القرآن وحده، لأنه يحوى آيتين معارضتين في الظاهر وهما: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ والأخرى، ﴿لا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾. وحيث أن الإمام أحمد لا يمكن أن يرى في القرآن تعارضا، لذلك التجأ إلى السنة لأن فيها الفصل، وأثبت الرؤية يوم القيامة وجعل استحالتها في الحياة الدنيا، حسب الآية الثانية.

وقد أخذ برأي الإمام أحمد جمهور المسلمين، ومنهم الوهابيون كما رأينا.

---

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ ص ١١٢.
(٦) المناقب لابن الجوزي ص ١٧٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن مبادىء الوهابيين أيضاً، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو مبدأ يجمع المسلمين عليه لأن القرآن دعا إليه وكذلك النبي. يقول تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. وجاء في آية أخرى: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾.

والغرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نشر الخير والأخلاق التي دعت إليها الرسل والنهي عما نهت عنه، لأن المنكر مرذول وهدفه الشر والفتنة.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة». أي أن الدعوة إلى هذا المبدأ واجبة على كل إنسان يريد أن ينشر ما يتعارف عليه الناس من الأخلاق والقيم وردع الذين يمعنون تهديماً بنظام العقيدة والمجتمع، بالحسنى أولاً وبالقتل إذا لم يرتدعوا. فإذا حصل المعروف ولم يقع المنكر بمجرد الدعوة إلى ذلك، فلا يجوز الحرب والقتال. وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفىء إلى أمر الله﴾.

ويكفي في المعروف مجرد الأمر به من غير أن نحمل من ضيع المعروف على عمله. مثلاً يجب ألا نحمل الناس على الإحسان، بل يكفي أن ندعوهم إليه. لكن الحال يختلف في المنكر إذ لا يكفي مجرد النهي عنه بل يجب منعه، فشارب الخمر ولاعب الميسر مثلاً من الواجب نهيهما باللين، فإن لم ينتهيا خشنا لهما القول، فإن لم يرتدعا ضربناهما، فإن لم يكفا قاتلناهما حتى يتركا ذلك.

فالنهي عن المنكر واجب لأن المنكرات قبيحة. ومن الواجب النهي عن القبائح التي نهانا الله عنها من أجل سعادتنا وسعادة أفراد المجتمع الذي نحيا فيه، والإنسان حين ينهى عن القبائح، إنما يدفع عن الآخرين الأذى والضرر الذي يصيبهم منه. ولقد قرر الوهابيون هذا المبدأ على جميع المسلمين المؤمنين وذلك لنشر دعوة الإسلام ومبادئه الحقيقية النابعة من القرآن والسنة، ودفع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الذين يبدلـون الحق بالبـاطل ويفسـدون على المسلمـين أمر دينهم، وقـد تصدى الوهابيون عملياً لكـل ما اعتقـدوه منكراً، فهـاجموا بعنف المشـاهد والقبـور التي اتخذها بعض المسلمين أماكن لممارسة الـطقوس المنـافية لـلإسلام في رأيهم. ومـا تزال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعـودية تقمـع كل منكر تراه بين الناس اعتقاداً منها بوجوب افهام الناس حقائق دينهم وتعاليمه الحقيقية وزرع الهداية في نفوسهم.

التكفير:

أثار خصوم الوهابيين كثيراً من التساؤلات حول موقفهم من المسلمين الـذين يخالفونهم الرأي في النظر إلى العقيدة، فاتهمهم البعض بأنهم يكفرون كل من لا يؤمن إيمـانهم أو يزكي آراءهم، ووجـه إليهم البعض الآخر تهمـة الكفر وقـالوا بأنهم من الخوارج. لكن الحقيقة غير ذلك تماماً. فالوهابيـون كما رأينـا مسلمون حنابلة، متمسكون بالعقيدة الإسلامية كما وردت من منابعها الصافيـة في القرآن والسنة. وحيث أن مسألة تكفير المذنب من المسلمين قـام حولهـا جدل كثـير بين مختلف الفرق والمذاهب الإسـلامية منـذ العصر الأموي وخـلاف معاويـة وعلي، لذلك كان لا بد للوهابيين من أن يقولوا رأيهم فيها بصراحة ووضـوح، خاصـة وأنهم ظهروا في بيئة تشبه تمامـاً البيئة الجـاهلية من حيث الاعتقـادات والتقاليـد الوثينة المنافية للإسلام.

فعلماء مكة كانوا يأخذون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤيديه تكفيرهم لكل من يخالفهم الرأي من الناس[٧]. وكان جماعة من أهل نجد يقـولون أن من نطق بالشهادتين فهو مسلم ولا يجوز تكفيره. فلما رد عليهم الشيخ بأن كثيراً من البدو قد كفروا عارضوه واكتفوا من إسلام هؤلاء بالشهادة، ورفعوا عنهم صفـة الكفر. لكن الشيخ محمـد أجابهم: «إنكم تعـرفون أن أهـل الباديـة قد كفـروا بالكتاب كله وتبرأوا من الدين كله واستهزأوا بالحضر الذين يصدقـون البعث... ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بـأن من قال لا إلـه إلا الله لا يكفر».

---

(٧) راجع كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء: «من أنكر البعث أو شك فيه، أو سب الشرع، أو سب الآذان إذا سمعه أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سب من زعم أن المرأة ترى أو الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه أو ابنه، إنه كافر مرتد، قال علماؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي، لا ننكره ولكن يقولون: لا إله إلا الله وهي تحميهم من الكفر، ولو فعلوا كل ذلك»[٨].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضاً في رسالة إلى الشيخ عبد الرحمن السويدي أحد علماء بغداد:

«وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد أن عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك»[٩].

ثم يرد الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن أحد أحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب، على من يقول بأن الوهابيين يكفرون جميع أهل الأمة الذين يعارضونهم الرأي فيقول:

«وأما قوله فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله، فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة. وفي الحديث أن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأول: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي إلى قيام الساعة إلا من وافقه على قوله الذي اختص به. وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا إليه؟ بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج يكفرون جميع من خالفهم، بل لهم أقوال، وتفاصيل يعرفها أهل العلم. والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب أعني ما دعا إليه

---

(٨) منير العجلاني تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٢٧٧.
(٩) راجع نص الرسالة في نهاية هذه الدراسة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات، مجمع عليه عند المسلمين لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم وعدل عن مناهجهم كالجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور بل قوله مما أجمعت عليه الرسل واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاءوا به وتصوره ولا يكفر إلا على هذا الأصل بعد قيام الحجة المعتبرة. فهو في ذلك على صراط مستقيم، متبع لا مبتدع، وهذا كتاب الله وسنة ورسوله، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ، ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى، معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به وتقسيمهم للشرك إلى أكبر وأصغر، والحكم على المشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما للناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل. وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحل الاجماع عليها، وإنها من ضروريات الإسلام كما ذكره تقي الدين بن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل»(١٠).

ويرد الشيخ عبد اللطيف أيضاً على من قال بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب كفر بلاد المسلمين الذين خالفوه الرأي:

«وأما قوله، وجعل بلاد المسلمين كفاراً أصليين، فهذا كذب وبهت ما صدر ولا قيل ولا أعرفه من أحد من المسلمين، فضلاً عن أهل العلم والدين بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الإسلام في كل زمان ومكان، وإنما تكلم عن الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أنداد الله رب العالمين، أو يسندون إليهم التصرف والتذكير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف والمتفق عليه عند أهل العلم أن من فعل ذلك ممن يأتي الشهادتين يحكم عليه، بعد بلوغ الحجة والكفر والردة، ولم يجعلوه كافراً أصلياً.

وما رأيت شيخ الإسلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين إلى الإسلام بلد

---

(١٠) الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمان: مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. المطبعة المصطفوية ـ بومباي. بدون تاريخ ص ٧ ـ ٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كفـر ولكنه قـرر أن دعاء الصـالحين وعبـادتهم بالاستعـانة والاستغـاثة والـذبـح والنذور والتوكل على أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهـمات هو دين المشركين، وفعل الجاهلية الضـالين من الأميـين والكتابيـين، فظن هـذا أن لازم قولهم أنه يحكم على هذه البلاد أنها بلاد كفر وليس هذا بلازم»[11].

ومن يتأمل كلام الشيخين الـذي أوردناه ينبين من خلالـه قوة حجتهـما القائلة بأن شهادة لا إلـه إلا الله لا تبرىء قـائلها من الشرك ولا تحميـه من الكفر لأنـه يجهـل معناهـا، ولا يعمل بمقتضـاها، ويصـل بـه الأمـر إلى حـد إنكـار البعث والشرك بالله وهذا طعن في صميم الإسلام.

---

(١١) نفس المصدر السابق. ص ٨ ـ ٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الثاني عشر

موقفهم من الغزالي والأشاعرة والماتريدية

موقفهم من الغزالي:

يعتبر الغزالي من أغرب الشخصيات في تاريخ الفكر الإسلامي. كان إنساناً قلق الروح، مضطرب النفس، ذا شراهة عقلية عجيبة في البحث عن الحقيقة وتقصي منابعها.

نشأ نشأة صوفية في موطنه طوس بخراسان، ثم سافر إلى جرجان وأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، وبعد ذلك قدم نيسابور ولازم أمام الحرمين أبا المعالي الجواويني حتى برع في المذهب الشافعي، والخلاف، والجدل، والأصلين (أصول الدين وأصول الفقه)، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكم كل ذلك.

كان الجواويني يصفه بأنه «بحر مغرق»، ولما طار صيته كمناظر فذ في المجالس اختاره الوزير نظام الملك للتدريس في المدرسة النظامية في بغداد، فنال فيها من الاحترام ما يشبه التقديس، وأتاه الجاه من جميع جوانبه: الشهرة والمال، والعلم والثقافة...

وفجأة تغير كل شيء في حياته، إذ انسحب من هذا النعيم واعتزل البشر وبدأ البحث عن الحقيقة في بئر المعرفة العميق، بعد أن صدمته الخصومات الفكرية والسياسية التي مزقت المجتمع الإسلامي عقب وفاة النبي محمد،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واتجهت بالعقيدة اتجاهات جديدة أبعدتها عن أصولها القرآنية الحقيقية وملأتها بالبدع والضلالات والخرافات.

درس الغزالي كل المذاهب والمعتقدات درس العارف المدقق، فقاده ذلك إلى الشك الشامل في كل ما رآه وسمعه وقرأه أو اعتقده. واستمر على هذه الحال طيلة شهرين من الزمن انتهت بنور قذفه الله تعالى في صدره. وقد وجد خلال هذا البحث بأن كل فريق يزعم امتلاك نواصي الحقيقة ومسالكها، وكل حزب بما لديهم فرحون، وأن أصناف طالبي الحقيقة تنحصر في أربع فرق:

١ ـ المتكلمون الذين يدعون بأنهم أهل الرأي والنظر.

٢ ـ الباطنية الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

٣ ـ الفلاسفة الذين يعتقدون بأنهم أهل المنطق والبرهان اللذين تنبني عليهما المعرفة والحقيقة.

٤ ـ أهل التصوف الذين يدعون أنهم خواص الحضرة الإلهية وأهل المشاهدة والمكاشفة[1].

لم يثق الغزالي بمنهج علم الكلام لأنه لا يقود إلى حقائق الأشياء بل يهتم باستخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم. ثم انتقد الباطنية وعقائدها ووجد أن الفلسفة أيضاً لا تشفي غليله لأن أتباعها خدعوا بأشياء أسرعوا إليها بلا روية، ولأن العقل إذا لم يتخذ الوحي هادياً ومرشداً فهو لن يصل إلى المعرفة الصحيحة فيما وراء الطبيعة. لذلك هاجم الغزالي الفلسفة هجوماً عنيفاً لم يسبقه إليه أحد، وكفر أصحابها في بعض القضايا، ولكنه لم يستطع التحرر من مناهجها، إذ جعل المنطق جزءاً من دراسته. ويقول في مقدمة كتابه المستصفى في علم الأصول «إن الحقائق لا يمكن أن تعرف في أي علم من العلوم على وجهها إلا إذا كان المنطق ميزانها». وهذه إحدى القضايا التي انتقده فيها ابن تيمية والوهابيون كما سنرى.

---

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٦٤ و ٧٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لم يجد الغزالي باباً يلج منه إلى الحقيقة سوى التصوف لأن المنهج الصوفي في رأيه مزيج من العلم والعمل، والجانب العملي فيه يقود الإنسان إلى النور والإشراق اليقيني الذي يتطلب الاقبال بكنه الهمة وصفاء الروح على الله تعالى... فالصوفية وحدها تستطيع قيادة المرء إلى اليقين والسعادة الأبدية.

أحدث التزام الغزالي بالمنهج الصوفي انقلاباً جذرياً في حياته، وكانت مضاعفاته سيئة على المسلمين من بعده، إذ قلدوه في ذلك التصوف، وفضلوه على كل علم، لاسيما أن الغزالي كان أشعرياً، فلما صار جمهور المسلمين على هذا المذهب، أصبح أبو حامد قدوتهم في التصوف، فأخذت الدنيا تضيع منهم شيئاً فشيئاً، وأخذت الآخرة تضيع منهم بقدر ما يضيع في دنياهم، لأن الدنيا قنطرة الآخرة وقد أتى الإسلام بمراعاة مطالبها، كما أتى بمراعاة مطالب الآخرة ليصح للمسلمين أمر دنياهم وآخرتهم ولا يفوتهم شيء منها. وبهذا كله صار الإسلام بعد الغزالي ديناً صوفياً إلى حد كبير بعد أن كان التصوف قبله تقليداً لطائفة من أهله. ولكن الغزالي كان مع هذا يأخذ بالتصوف أخذ العالم، فلم يقع فيما وقع فيه غيره من المتصوفين من دعوى وحدة الوجود ونحوها من الدعاوى، لأنه كان عالماً كبيراً قبل أن يكون صوفياً، وإن كان قد عني بتأويل تلك الدعاوى من أصحابها، حتى أوسع المجال في الإسلام لقبولهم فيه، بعد أن كان العلماء قبله يخرجونهم منه[٢].

ترك كتاب إحياء علوم الدين أثراً عميقاً في تفكير المسلمين وحياتهم، حتى قال عنه الإمام النووي: «كاد الإحياء أن يكون قرآناً». ولقب الغزالي بحجة الإسلام نظراً لهذا التأثر. وقد لعب دفاعه عن التصوف دوراً رئيسياً في اقرار الصفة الشرعية الممنوحة للطرق الصوفية وعقائدها وأفعالها في الأوساط الفقهية الرسمية وفي المجتمع الإسلامي عامة. كما أن بعض رسائله المعروفة مثل مشكاة الأنوار والرسالة الدينية، مهدت الطريق لأفكار ابن عربي وفلسفته الصوفية[٣].

---

(٢) عبد المتعال الصعيدي. المجددون في الإسلام. ص ١٨٣.
(٣) سيد حسين نصر: ثلاثة حكماء مسلمين. ترجمة صلاح الصاوي. دار النهار بيروت ١٩٧١ ص ١١٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لكن للوهابيين فيه رأياً آخر. فقد هاجموه بشدة لأنه سلك المناهج الفلسفية في دراسة العقائد وأصول الفقه وبدأ حائراً في موقفه من الفلسفة كأنما يؤكد قول ابن العربي المالكي فيه: «شيخنا أبو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم أراد الخروج فلم يحسن».

الواقع أن الغزالي حمل بشدة على الفلاسفة وبين تهافتهم في كتابه المشهور «تهافت الفلاسفة»، لكنه في كتابه المستصفى في علم الأصول، آمن بباب مهم من أبواب الفلسفة وهو المنطق وجعله ميزان العلوم والمعارف وشرطاً من شروط الاجتهاد وفرض كفاية على المسلمين(٤). وبذلك اختلف عن ابن تيمية الذي درس الفلسفة ليبين بطلان ما يعارض الدين منها، لا ليطلب الحقائق من ورائها.

يقول ابن تيمية في كتابه «شرح العقيدة الاصفهانية».

«كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم، وتعظيم النبوة وغير ذلك، ومع ما يوجد فيه من أشياء صحيحة حسنة، بل عظيمة القدر نافعة، يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمورٌ أضيفت توافق أصول الفلاسفة المخالفة للنبوة، بل المخالفة لصريح العقل حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب. وأبو حامد لا يوافق المتفلسفة على ما يقولون، بل يكفرهم ويضللهم في موضع، وإن كان في الكتب المضافة إليه، ما يوافق بعض أصولهم، بل في الكتب التي يقال إنها مضنونة على غير أهلها ما هو في الفلسفة المحضة المخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى، وإن كان قد عبر عنها بعبارات إسلامية. لكن في الناس من يقول ان هذه الكتب مكذوبة على ابن حامد، ومنهم من يقول بل رجع عنها. ولا ريب أنه صرح في بعض المواضيع ببعض ما قاله في هذه الكتب وأخبر في المنقذ من الضلال، وغيره من كتبه بما في هذه من الضلال(٥).

---

(٤) علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ٧٦.
(٥) ابن تيمية: شرح العقيدة الاصفهانية ص ١١٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أما الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، فقد شدد النكير على الغزالي خاصة على كتابه «إحياء علوم الدين» وقال:

«وبعد، فقد بلغني عنك ما يشغل كل من له حمية إسلامية، وغيرة دينية على الملة الحنيفة، وذلك أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب الإحياء للغزالي، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامة الذين لا تمييز لهم بين مسائل الهداية والسعادة، ووسائل الكفر والشقاوة، **واسمعتهم ما في الإحياء من التحريفات الجائرة، والتأويلات الضالة الخاسرة، والشقائق التي اشتملت على الداء الدفين، والفلسفة في أصل الدين**. وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده أن يتبعوا الرسول، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين، وحرم اتخاذ الولائج من دون الله ورسوله، ومن دون عباده المؤمنين، وهذا الأصل المحكم لا قوام للإسلام إلا به، وقد سلك في الإحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين، وفي كثير من مباحث الإلهيات وأصول الدين، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة، حتى ظنها الأغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودخل به الناس في الإسلام. وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنة يعرفها أولو الأبصار، ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرى والأمصار. قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها، ومطالعة خافيها وباديها. بل أفتى بتحريفها علماء المغرب ممن عرف بالسنة، وسماها كثير منهم اماتة علوم الدين... وقد يكون ما أطربك، وهز أعطافك وحركك، فلسفة منتنة، وزندقة مبهمة، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية، والعبارات السلفية»(٦).

ثم يسوق الشيخ عبد اللطيف بعض الآراء في كتب الغزالي وفلسفته، منها قول أحدهم: «الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في التصوف وتجرد لنصرة مذهبهم، وصار داهية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسره».

«أما الذهبي فإنه يحذر من قراءة كتب الغزالي لما تحويه من السموم

---

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ ص ١٣٠ ـ ١٣١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والأضاليل. فيقول: قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت وكشف عوراتهم، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حق أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه ادمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفاء وهو داء عضال وجرب مرد وسم قاتل، ولولا أن أبا حامد من الأذكياء وخيار المخلصين لتلف».

ويرد الشيخ عبد اللطيف على الغزالي الذي يعتبر المنطق مقدمة العلوم كلها فيقول: «ففي تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ منها قوله في المنطق هو مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط به فلا ثقة له بالعلوم أصلاً، قال: فهذا مردود. إذ كل صحيح الذهن منطقي بالطبع، وكم من إمام رفع بالمنطق رأساً». **(فأما كتاب) المضنون به على غير أهله، فمعاذ الله أن يكون له.** شاهدت على نسخة منه بخط القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري أنه موضوع على الغزالي، وأنه مخترع من كتاب (مقاصد الفلاسفة قد نقضه الرجل بكتاب التهافت)[٧].

ويتابع الشيخ عبد اللطيف ايراد أقوال الآخرين للتدليل على رأيه، فيذكر كلاماً لقاضي الجماعة ابن عبد الله محمد بن حمد القرطبي، يهاجم فيه تصوف الغزالي ويتهمه بالضلال ويقول: «إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل اسم الفقه ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبو حامد إمام بدعتهم، فأين من تشانيع مناكيره وتضليل أساطيره المباينة للدين، وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة، والواقع بهم على سر الربوبية، الذي يسفر عن قناعة، ولا يفوز باطلاعه إلا من تمطى إلى شيخ ضلالته التي رفع لهم أعلامها، وشرع أحكامها».

أما أبو بكر الطرطوشي فيتهم الغزالي بالكذب والقذف بحق النبوة ويقول: «شحن أبو حامد كتاب الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ، وما على بسيط الأرض اكثر كذباً منه، شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا.

---

(٧) المرجع نفسه ص ١٣٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق»[٨].

من الملاحظ أن الهجوم الوهابي يتركز على ناحيتين رئيسيتين من فكر الغزالي هما: الفلسفة، والتصوف. فالفلسفة التي درسها بعمق ودقة ووجه إليها سهام النقد المدمرة في كتابه تهافت الفلاسفة لم يستطع أن يجليها عن تفكيره أبداً. فقد سلم بأن المنطق اهم أقسام الفلسفة، والمعيار الأوحد للعلوم وبالتالي للحقائق.

فكان بذلك المازج الحقيقي للمنطق الأرسطي بعلوم المسلمين[٩].

وعندما خرج الغزالي من مرحلة شكه الشهيرة لم يجد سوى التصوف ملجأ ومنهجاً في الفكر والحياة، وهذا ما يرفضه الوهابيون بشدة لأنهم يعتبرون التصوف أحد المنافذ التي دخلت منها البدع إلى الإسلام ودنست تعاليمه. والواقع أن الغزالي غالى في هجومه على الفلسفة حتى قضى عليها في المشرق وكره الناس بها. وغالى في التصوف فوجده الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة فأوقع جمهور المسلمين من بعده في جمودين: فلسفي وديني... ومن أجل ذلك لم ير الوهابيون في الغزالي ما رآه فيه غيرهم من المسلمين.

موقفهم من الأشاعرة والماتريدية:

من المعروف عن أبي الحسن الأشعري، أنه أصبح إمام أهل السنة والجماعة في العراق، بعد انفصاله عن المعتزلة والتزامه بمذهب وسط بين أفراطهم وتشدد أهل السنة القدامى بتعاليم القرآن[١٠]. فنفر منه الفريقان، لكن مذهبه صار مذهب جمهور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ولم يبق لمذهب القدامى من أهل السنة أثر إلا بين الحنابلة، ومنهم الوهابيون، ولم يبق لمذهب المعتزلة أثر إلا بين بعض فرق الشيعة. وقد هاجمه الوهابيون هجوماً عنيفاً واتهموه بأنه خرب

---

(٨) المرجع نفسه ص ١٣٥.
(٩) علي سامي النشار. مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص ٧٦.
(١٠) الواقع أن الأشعري أخذ كثيراً من أفكاره عن الصفاتية الذين أثبتوا لله الصفات. لكنهم لم يقولوا إنها ذاته أو غير ذاته. وكان من أهم شخصياتها: ابن كلاب، والقلانسي، والمحاسبي راجع كتاب النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٢٦٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في الإسلام كما خربت فيه المعتزلة والجهمية وغيرهما من الفرق.

أما أبو منصور الماتريدي فكان إمام أهل السنة والجماعة فيما وراء النهر (سمرقند) ومعاصراً لأبي الحسن الأشعري. وكانت بلاده موطناً للمناظرات والمجادلات في الكلام ومسائله وفي الفقه وأصوله وخاصة بين الحنفية والشافعية. عاش الماتريدي في تلك الحلبة التي كان السباق فيها لنتائج الفكر والعقل. كان حنفي المذهب، له جولات في الفقه وأصوله ناصر فيها الفقهاء والمحدّثين، ولكن بمنهاج يختلف عن منهاج الأشعري. وقد صرح كثير من علماء الحنفية بأن النتائج التي وصل إليها الإمام الماتريدي في العقائد تتفق في أصولها مع الآراء المأثورة عن الإمام أبي حنيفة شيخ فقهاء العراق، وأكدوا بأن هذه الآراء هي الأصل الذي تفرعت عنه آراء الماتريدي(١١).

نحن إذاً أمام أئمة ثلاثة، كل واحد منهم يمثل رأي أهل السنة والجماعة في موطنه: الأشعري إمام أهل السنة والجماعة في العراق.

الماتريدي: إمام أهل السنة والجماعة في سمرقند.

محمد بن عبد الوهاب: إمام أهل السنة والجماعة في جزيرة العرب.

وحيث أن هؤلاء يمثلون رأي أهل السنة والجماعة، فما هو مصدر الخلاف فيما بينهم إذاً؟ الواقع أن هذا الخلاف يعود إلى منهج كل منهم في فهم الإسلام وتعاليمه، والقرآن وآياته، وقربه من نهج الصحابة والتابعين.

أما الأشعري فقد عرضنا آراءه في بعض القضايا وبيّنا الفرق بينها وبين آراء الوهابيين. ومع أن جهوده اتجهت، كما يقول، لإحياء آراء الإمام أحمد(١٢)، إلا أن الوهابيين لا يؤيدون قوله بل يهاجمونه لتأثره بالمعتزلة والجهمية في بعض المسائل وليس بآراء ابن حنبل. يقول الأشعري في مقدمة كتاب «الإبانة»، «فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية، والجهمية، أو الحرورية،

---

(١١) علي سامي النشار. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ط ٣ ـ ١٩٦٥ ص ٢٦٨.
(١٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له قولنا الذي نقول، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته، وعمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمه الله تعالى من إمام مقدم، وكبير مفهم، ورحمته على جميع أئمة المسلمين»[١٣].

وعلى الرغم من هذا الادعاء الذي يسوقه الأشعري، فقد سلك كما رأينا مسلكاً وسطاً بين المعتزلة والحشوية في الاستدلال على العقائد. أي أنه سلك مسلك النقل والعقل. فهو يثبت ما جاء في القرآن والحديث من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر، والملائكة والحساب والثواب والعقاب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ليستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً. «فهو لا يتخذ من العقل حاكماً على النصوص ليؤولها أو ينفي ظاهرها، بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص يؤيدها، وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة، وسلكها المناطقة»[١٤].

هذا المنهج الذي اتبعه الأشعري يخالف بوضوح منهج الإمام أحمد وأهل السلف. فابن حنبل والسلفيون رأوا في علم الكلام بدعة مذمومة، وأوصوا بعدم الرد على الزنادقة ونحوهم، خوفاً من إذاعة شبه هؤلاء بين الناس وأوجبوا التوقف عند دليل النقل والابتعاد عن الأدلة العقلية أو التأويل.

أما الوهابيون فقد عدوا الأشاعرة من المعتزلة والجهمية في قضية الصفات، واتهموهم بمخالفة ما عليه أهل السنة والجماعة في مسائل علو الله واستوائه على العرش ورؤيته وكلامه. وفي ذلك يقول الشيخ أبو بطين:

---

(١٣) راجع مقدمة كتاب الابانة للأشعري.
(١٤) محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية. ص ٢٧٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

«فاعلم أن أكثر أهل الأمصار اليوم أشعرية، ومذهبهم في صفات الرب سبحانه وتعالى موافق لبعض ما عليه المعتزلة الجهمية، فهم يثبتون بعض الصفات دون بعض، فيثبتون الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وينفون ما سوى هذه الصفات بالتأويل الباطل مع أنهم وإن أثبتوا صفة الكلام موافقة لأهل السنة، فهم في الحقيقة نافون لها لأن الكلام عندهم هو المعنى فقط، ويقولون حروف القرآن مخلوقة لم يتكلم الله بحرف ولا صوت فقالت لهم الجهمية هذا هو نفس قولنا. إن كلام الله مخلوق لأن المراد الحروف لا المعنى.

ومذهب السلف قاطبة أن كلام الله غير مخلوق، وإن الله تعالى تكلم بالقرآن حروفه ومعانيه وإن الله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت يسمعه من يشاء، والأشعرية لا يثبتون علو الرب فوق سماواته واستواءه على عرشه، ويسمون من اثبت صفة العلو والاستواء على العرش مجسماً مشبهاً، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون صفة العلو والاستواء، والأشاعرة وافقوا الجهمية في نفي هذه الصفة، لكن الجهمية يقولون كان ولا مكان فهو على ما كان قبل أن يخلق المكان[١٥].

ثم يتهم أبو بطين الأشاعرة بنفي الرؤية كما وردت في القرآن والأحاديث وينتقد رأيهم في الايمان فيقول:

«والأشعرية يوافقون أهل السنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، ثم يقولون أن معنى الرؤية إنما هو زيادة علم يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية بالبصر حقيقة عيانا، فهم بذلك نافون للرؤية التي دل عليها القرآن وتواترت بها الأحاديث عن النبي ﷺ، ومذهب الأشاعرة أن الإيمان مجرد التصديق ولا يدخلون فيه أعمال الجوارح. قالوا إن سميت الأعمال في الأحاديث إيماناً، فعلى المجاز لا الحقيقة ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول

---

(١٥) مجموعة من الرسائل والمسائل النجدية، رسائل وفتاوي العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين. ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

باللسان، وعمل بالجوارح، وقد كفر جماعة من العلماء من أخرج العمل عن الإيمان(١٦)».

وبعد أن فند الشيخ أبو بطين آراء الأشاعرة، خطّأ من عدهم من أهل السنة وقال: «إذا عرفت ذلك عرفت خطأ من جعل الأشعرية من أهل السنة كما ذكره السفاريني في بعض كلامه ويمكن أنه أدخلهم في أهل السنة مداراة لهم لأنهم اليوم أكثر الناس، والأمر لهم، والله أعلم مع أنه قد دخل بعض المتأخرين من الحنابلة في بعض ما هم عليه»(١٧).

من الواضح أن الوهابيين يتشددون في انتقادهم للأشاعرة إلى حد عدم اعتبارهم من أهل السنة بعد أن رأوهم يخرجون في أكثر آرائهم في العقائد عن مفاهيم السلف وأهل السنة والجماعة كما رآها الوهابيون.

أما الماتريدية فلا نجد أي ذكر لهم عند الوهابيين. وهذا أمر مستغرب لأن هؤلاء كانوا ملمين إلماماً جيداً بمباحث علم الكلام والتصوف وتعاليم الأديان الأخرى. لكننا نستطيع القول، ومن خلال المنهج الذي استدل به الماتريدية على العقائد، بأنهم يختلفون اختلافاً كبيراً مع الوهابيين ومفاهيمهم للعقيدة.

فقد ذكرنا بأن الأشعري والماتريدي يتقاربان في النتائج، حتى ظن الكثيرون بأن الخلاف بينهما لا يتعدى الخلاف اللفظي كما قال الشيخ محمد عبده في تعليقاته على العقائد العضدية. لكن الدراسة العميقة لآراء الإمامين تثبت وجود فروق في تفكيرهما وفيما توصلا إليه من النتائج.

فالأشاعرة مثلاً يعتبرون معرفة الله واجبة بالشرع، بينما الماتريدية يعتبرونها مدركة الوجوب بالعقل تمسكاً منهم بمنهج الامام أبي حنيفة. والأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل... وهكذا يبدو الخلاف بين المدرستين في كثير من القضايا. فالماتريدي يعطي للعقل سلطاناً أكبر مما يعطيه الأشاعرة، ويوجب النظر العقلي في قضايا العقيدة بإرشاد من الشرع، وهذا

---

(١٦) المرجع نفسه ص ١٧٧.
(١٧) المرجع نفسه ص ١٧٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يخالف رأي السلف والفقهاء والمحدثين وبالتالي الوهابيين الذين يوجبون الاعتماد على النقل. لكن الماتريدي مع اقراره بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة إلا أنه يخشى عليه من الزلل والضياع. وقد أشار إلى هذا في كتابه التوحيد فقال: «من أنكر ذلك (أي الاحتياط بالنقل) وأراد اكتناه ما استتر عن العقل وقصد الإحاطة بجميع حكمه الربوبية بعقله الناقص المحدود بدون اشارة منه (أي من الرسول) فهو يظلم العقل ويحمله ما لا يحتمله».

أي أن الماتريدي يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، ويعتمد على المنقول بجوار المعقول. وعلى ضوء هذا المنهج فسر القرآن، ودرس صفات الله وعلمه وارادة الإنسان، ومشكلة خلق القرآن، والرؤية، والجهة، والعدل، والجور، والقضاء، والقدر، ودعا إلى تأويل ما تشابه من آيات الكتاب. فكان يقترب في بعضها من آراء المعتزلة، ويبتعد عنهم في بعضها الآخر ليلتقي مع الأشاعرة. وفي معظم الحالات كان بعيداً عن المنهج السلفي الذي يؤمن به الوهابيون ويدافعون عنه بحرارة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الباب الثالث

الوهابيون
والفكر الإسلامي الحديث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الثالث عشر

الوهابيون والإصلاح

الإسلام كما يراه أتباعه نظام إلهي شامل للإنسان والكون، وهو لذلك صالح لكل زمان ومكان ولجميع شعوب الأرض مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وثقافاتهم. وإثباتاً لهذا الاعتقاد يقولون بأن الشرائع والنظم التي تضمنها القرآن في آياته، تستطيع أن تحقق السعادة للإنسان في هذا العالم، وفي العالم الآخر، لأنها ترشده إلى معرفة سنن الله التي تضبط رقي البشر أفراداً وجماعات، وتنظم حياتهم الروحية والاجتماعية والاقتصادية على أسس أخلاقية تفاؤلية، تمتزج فيها العناصر المادية الواقعية، مع العناصر الروحية المثالية بشكل رائع[1].

وقد عبر الخليفة علي بن أبي طالب عن هذه الناحية بقوله: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

استطاع المسلمون الأوائل الذين ساروا على تلك الشرائع بأمانة وإخلاص أن يؤسسوا مجتمعاً قوياً وفاضلاً انعكست آثاره على القرون الأربعة التي أعقبت

---

(١) أنظر H. Laoust. «La Reforme orthodoxe des salafiyya» in Révue des études eslamiques. vol VI. 1932, P. 188 - 189.

وكتاب الإسلام في نظر الغرب. تأليف جماعة من المستشرقين. ترجمة اسحق موسى الحسيني ببيروت ١٩٥٣ ص ٤٦.

وكتاب الإسلام والتجديد في مصر. تأليف تشارلز آدمس. ترجمة عباس محمود. القاهرة ١٩٣٥ ص ١٨٠ و١٧٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفاة الرسول والتي عدت من أروع العصور التي عرفها المسلمون خلال تاريخهم في مختلف نواحي الثقافة والتقدم[٢].

ولكن هذه الصورة المشرقة ما لبثت أن اضمحلت بعدما اختلف المسلمون فيما بينهم، وتفرقوا إلى شيع وأحزاب، وانقلب إسلامهم إلى جدال في عقائده، وتفكير خرافي في تعاليمه وطقوسه، واعتقادات سلبية تواكلية في النظر إلى الله والحياة والبشر...

كادت البدع والخرافات أن تطمس تعاليم الدين الحقيقية، لولا أن قام بعض أصحاب العقول المستنيرة من أئمة الدين، وتنبهوا إلى هذا التخلف المريع الذي يشل تفكير المسلمين في مختلف مجالات الحياة، فجندوا أنفسهم لإزالة أسبابه ونتائجه، عن طريق توعية الناس إلى حقائق دينهم ودنياهم، ونتج عن ذلك ولادة ما يسمى «بحركة الاصلاح أو التجديد الإسلامي في العصور الحديثة».

وإذا كان كثير من الباحثين يذكرون أن بداية هذه الحركة كانت على يدي الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلامذتهما، فإن الحقائق التاريخية الواقعية تشير إلى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان رائدها الأول منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وأن الأفغاني وعبده ورشيد رضا استمدوا منه بعض النواحي المهمة في تفكيرهم الاصلاحي الديني كما سنرى[٣].

لقد حدد جمال الدين الأفغاني ايديولوجية الاصلاح بإيجاز بليغ حين قال: «كل مسلم مريض دواؤه في القرآن». أي أن خلاص المجتمع الإسلامي مما يعانيه من التخلف، يكمن في العودة إلى تعاليم الإسلام كما فهمها النبي وصحابته، لأن هذه التعاليم سليمة في جوهرها، لكن فهم المسلمين لها لحقه التشويه والتحريف عبر العصور. فالإسلام لم يكن يوماً مصدراً لتخلف المؤمنين به، وإنما جهلهم بحقائق تعاليمه، وابتعادهم عنها هو السبب الحقيقي لذلك[٤].

---

(٢) أحمد شلبي. المجتمع الإسلامي. ط ٢ القاهرة ١٩٦٧ ص ١٩٣.
(٣) تشارلز آدمس: الإسلام والتجديد في مصر ص ٩٨ و١٩٤.
(٤) هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب. دار النهار للنشر. بيروت ١٩٧١. ص ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كان الحافز الأساسي للاصلاح الذي قاده الأفغاني وعبده ومحمد رضا وغيرهم، نابعاً من التحدي الذي طرحته الحضارة الغربية على المجتمع الإسلامي منذ أيام محمد علي، وكيفية الاستجابة لهذا التحدي لحماية هذا المجتمع. لذلك كرسوا كفاحهم من أجل «تجديد الحقيقة الإسلامية دون أن تكون أسس العقيدة موضع تساؤل على الاطلاق»(٥).

صحيح أن الأفغاني نادى بالرجوع إلى عقيدة أهل السلف، لكنه في الوقت نفسه لم يستطع تجاهل الهزة العنيفة التي أحدثتها الحضارة الغربية ـ والاستعمار وجه من وجوهها ـ في أسس المجتمع الإسلامي. فقد آمن، استناداً إلى مشاهداته الحية عندما كان في أوروبا مع محمد عبده، أن قوة تلك الحضارة تكمن في تبني العلم الحديث والتكنولوجيا، ولهذا السبب كان يصرح دائماً أمام طلابه، بأن الإسلام لم يقف يوماً في وجه العلم والثقافة، بل يتفق في جوهره مع العقل العلمي ويستطيع أن يخلص المجتمع الحديث من معظم أمراضه الأخلاقية والاجتماعية التي تفتك به وتدفعه نحو الفوضى والهلاك... لقد كان العلماء وأهل المعرفة يلاقون تشجيعاً عظيماً من أصحاب السلطة خلال ازدهار المجتمع الإسلامي وان العالم المسيحي أحرز القوة والتفوق بتأثير تقدم الإسلام العلمي. لذلك حث الأفغاني المسلمين على اكتساب المهارات العلمية والتقنية الأوروبية، لأن الإسلام لا يعارض هذا الاتجاه أبداً، لكن الأفغاني دعا في نفس الوقت إلى التمسك بتعاليم الإسلام وقيمه الحقيقية الخالية من البدع والخرافات، ويعتبر دمجه المادية الأوروبية بالروحانية الإسلامية من أعظم اسهاماته في الفكر الإسلامي الحديث، لأنه فتح الطريق أمام المفكرين المسلمين الذين كانوا يسعون إلى ردم الهوة بين مؤيدي الفكر الغربي وحضارته من ناحية، ومؤيدي الفكر الإسلامي ومبادئه من ناحية أخرى(٦).

أما الشيخ محمد عبده فقد عرّف الاصلاح الديني بأنه: «تصحيح، وإزالة ما

---

(٥) المرجع السابق ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٦) مجيد خدوري: الاتجاهات السياسية في العالم العربي ـ الدار المتحدة للنشر ببيروت ط ١ ـ ١٩٧٢ ص ٧١ ـ ٧٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين، حتى إذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، واستقامت أحوال الأفراد، واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية، دينية ودنيوية، وتهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة، وسرى الصلاح منهم إلى الأمة، فإذا سمعت داعياً يدعو إلى العلم بالدين، فهذا مقصده، أو منادياً يحث على التربية، فهذا غرضه، أو صائحاً ينكر ما عليه المسلمون من المفاسد، فتلك غايته»...

«فإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة به ما بيناه، وهو حاضر لديهم، والعناء في ارجاعهم إليه أخف من أحداث ما لا المام به، فلم العدول إلى غيره»؟[٧].

إن العلاج الجذري لمشكلات المسلمين، في نظر الشيخ محمد عبده، يكمن في اصلاح الإسلام، أي الرجوع إلى منابعه الأولى من ناحية، ثم الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ومفاهيمها من ناحية أخرى.

ولكن ما هو الإسلام الصحيح في نظره؟

لقد تشعب الإسلام، كما فهمه الفقهاء، واتسع بحيث يصعب على المسلم الذي ليس له حظ من الثقافة أن يعرف تماماً ماذا يعني إسلامه، وساهم ذلك في انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب مختلفة، وأصبح الرجاء الوحيد في إحياء الإسلام معقوداً باستعادة أصول هذا الدين، أي أصول العقائد التي بغيرها لا يكون المسلم مسلماً، وهذا هو الإسلام الصحيح الذي يعترف به الجميع وتتفق كلمتهم عليه»[٨].

يقول الشيخ محمد عبده:

«ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين: الأول تحرير الفكر من قيود

---

(٧) الإسلام والتجديد في مصر ص ١٠٥.
(٨) نفس المصدر ص١٠٣ ـ ١٠٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التقليد، وفهم الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من غلطه وضبطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وإنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم باعثاً على البحث في أسرار الكون داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة بالتعويل عليها في أدب النفس واصلاح العمل[٩].

يبدو هذا الكلام للوهلة الأولى متناقضاً، إذ كيف يدعو إلى تحرير الفكر من التقليد، ثم ينادي بتقليد السلف في فهم العقيدة؟

الواقع أن تعبيره «تحرير الفكر من قيود التقليد» يعني التفلت من عبودية التقليد الذي يعمي البصر والبصيرة، وقد أكد الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد على دور العقل، الذي بدونه لا يمكن تحقيق أي تقدم أو تطور، كما أكد بأن الإسلام كان على الدوام دين العقل[١٠].

ذلك لأن القرآن هو السلطة التي تمكن الناس من تمييز الزائف الضار من المفيد النافع. وانطلاقاً من هذا الاعتقاد، اقترح أن يتم تفسير الشرع الإسلامي على ضوء العقل، وأن يقدم العقل على النقل عند التعارض بينهما. ودلل على ذلك شخصياً في الفتاوي التي اصدرها عندما كان قاضياً ومفتياً للديار المصرية، وفي التفسيرات التي وضعها لبعض سور القرآن[١١]. كما اعتبر أن مفتاح التقدم يكمن في تبني نسق العلوم الغربية في التربية والتعليم وقد جاء في إحدى مقالاته:

«وها نحن بعد النظر لا نجد سبباً لرقيهم في الثروة والقوة إلا ارتقاء المعارف والعلوم فيما بينهم حتى قادتهم إلى رشادهم، فتنوروا خيراتها فاكتسبوها،

---

(٩) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ ص ١١.
(١٠) مجيد خدوري: الاتجاهات السياسية في العالم العربي ص ٧٥.
(١١) من هذه الفتاوي التحليل للمسلمين بالأكل من ذبائح المسيحيين واليهود وبايداع أموالهم في المصارف بالفائدة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومضراتها فنكبوا عنها وتركوها. فإذا، أول واجب علينا هو السعي بكل جهد واجتهاد في نشر هذه العلوم في أوطاننا»[١٢].

وفضلاً عن ذلك، صرح عبده كما صرح أستاذه الأفغاني قبله، بأنه لا يوجد أي تناقض بين الإسلام والعلم، وإن العلم كالدين يكشف للبشر أسرار الطبيعة، وذهب عبده إلى أبعد من هذا عندما قال بأن القرآن لا يعارض نظرية داروين في التطور، ولا نظرية باستور في الجراثيم[١٣].

أما دعوته بالرجوع في فهم الدين إلى طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف بين المسلمين فلا تنفي دعوته إلى تحرير العقل من قيود التقليد. فالسلف أخذوا الدين من منابعه الأولى، أي من القرآن والسنة الصحيحة. لكن البدع الكثيرة التي تسربت إلى الإسلام من جهات مختلفة، شوهت عقيدته وباعدت بينه وبين مصادره الأساسية. ولذلك كان التجديد الديني عند دعاته يعني: «تجديد هدايته، وبيان حقيقته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو أو الفتور في اقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته[١٤].

من الواضح أن مفاهيم الاصلاح الديني عند الشيخين الأفغاني وعبده، لا تختلف في جوهرها عما نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبلهما بحوالى قرن من الزمن. إذ أن أهدافهم كانت واحدة تقريباً، وهي تطهير الإسلام من البدع والخرافات التي شوهته، والعودة إلى الينابيع الأولى للعقيدة أي إلى القرآن والسنة الصحيحة كما فهمها أهل السلف الصالح، فإذا عدنا إلى هذه الينابيع في عقائدنا فمعنى ذلك عودة الوحدة الدينية والسياسية للإسلام كما كانت أيام الرسول وخلفائه.

أما عن علاقة الإسلام بالحضارة الغربية وعلومها، فإن هذه الحضارة لم تكن زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد طرقت أبواب العالم الإسلامي بعد. ومن

---

(١٢) الإسلام والتجديد في مصر ص ١٩ و١٣٥.
(١٣) الإسلام في نظر الغرب ص ٣٥ ـ ٣٦.
(١٤) المنار. مجلد ٣٢. ج ١ ص ٥١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الظلم تقييم الدعوة الوهابية على نفس الأسس التي نقيم بها أفكار المصلحين المحدثين. فمحمد بن عبد الوهاب كان يهدف أساساً إلى تخليص الإسلام من البدع التي شوهته، ومن الانقسامات التي أضعفته، ورأى أن لا سبيل إلى اصلاح حياة المسلمين إلا بالرجوع إلى مبادىء الإسلام الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح.

لم يخرج الأفغاني وعبده في دعوتهما لاصلاح الدين عن هذا الاتجاه. وكان الشيخ محمد عبده يثني دائماً خلال محاضراته في الأزهر على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ويلقبه «بالمصلح العظيم»(١٥). حتى أن أصحاب التيار المحافظ في مصر الذين ناهضوا أفكار الأفغاني وعبده، كانوا يطلقون عليهما لقب الوهابيين «بسبب أفكارهما التجديدية، ومحاربتهما للبدع»(١٦).

أما المسألة الهامة الأخرى التي تلاقت فيها أفكار المجددين مع أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهي الثورة على التقليد في الدين، واباحة الاجتهاد، وعدم التعصب لمذهب معين من المذاهب السنية الأربعة. وقد رأينا كيف كانت ثورة الأفغاني وعبده على التقليد، وليدة احتكاكهما المباشر بالغرب، واطلاعهما على منطلقات حضارته العلمية، ودور التفكير الحر في نشأتها.

أما دوافع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الثورة فكانت مظاهر التعصب والجمود والتقليد والانحلال، المتفشية بين عامة المسلمين وفقهائهم في عصره. وبما أن هذه المظاهر كانت أحد الأسباب الرئيسية لتخلف المسلمين وتقهقرهم، لذلك نادى بفتح الأبواب بين المذاهب الأربعة على مصاريعها، بعد أن أغلقها الفقهاء منذ القرن الخامس الهجري تقريباً، وقال بأن الأئمة الأربعة أنفسهم، (مالك، والشافعي، وابن حنيفة، وابن حنبل) نهوا عن التقليد، وخاصة الإمام أحمد بن حنبل الذي شدد على هذه الناحية بقوله: «لا تقلدني، ولا تقلد مالكا، ولا الشافعي، ولا الثوري، وخذ من حيث اخذوا»... وقوله أيضاً: «من قلة

---

(١٥) أمين السعيد. سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ط ١ ص ١٩٢.
(١٦) الإسلام والتجديد في مصر ص ١٩٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فقه الرجل أن يكون مقلداً في دينه الرجال».

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب، حنبلي، لكنه متبع، وليس مقلداً، وعلى الرغم من التزامه بهذا المذهب، إلا أنه «لا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب. . . لكنه يختار من الأقوال ما هو أصوب، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب»(١٧).

ولم يكتف مؤسس الدعوة الوهابية بتشريع الأبواب بين المذاهب الأربعة، بل دعا إلى الأخذ بالاجتهاد الذي اعتبره واجباً على كل مسلم يستطيعه في المسائل التي لا نص عليها في القرآن أو السنة. وقد جاء في رسالة كتبها إلى الشيخ عبد الله بن محمد عبد اللطيف أحد كبار علماء الاحساء قوله:

«أشهد الله وملائكته وجميع خلقه، ان أتانا منكم كلمة من الحق، لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال ائمتي، حاشى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق».

لقد ظن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه بهذا «المنهج الانفتاحي» يستطيع أن يرد العافية إلى الإسلام والمسلمين، وأن يستعيد أمجاد العصر الذهبي، يوم كانت العقيدة صافية من كل بدعة، والمسلمون وحدة لا تتجزأ في الفكر والإيمان.

وهكذا يكون هذا الرجل الذي عاش في أعماق الصحراء خلال القرن الثامن عشر سباقاً في الأفكار التي تبناها من بعده أئمة الاصلاح الديني الإسلامي.

أما التأثير المباشر لمؤسس الدعوة الوهابية في الحركة التجديدية فقد ظهر في تفكير محمد رشيد رضا، صاحب المنار، ومدرسته.

اقتفى محمد رشيد رضا خطى الأفغاني وعبده، وكان من أكبر تلامذة الأخير

---

(١٧) منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٢٣٥.
راجع أيضاً رسائل وفتاوي الشيخ حمد بن ناصر، في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ٢ وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والكاتب الرسمي لسيرته الذاتية. فتصدى مثلهما لقضية الاصلاح الإسلامي، لكن تفكيره فيها اصطبغ بالنزعة التقليدية.

وقد دفعته إلى ذلك الخلافات الحادة التي وقعت بين الاصلاحيين عندما حاولوا تحديد علاقة الدول الإسلامية والإسلام بأوروبا وحضارتها.

فالأفغاني عالج هذا الموضوع بعقلية محافظة وتمنى لو يعود المسلمون إلى العصر الذهبي للإسلام ويبتعدون عن أوروبا. ونصح الزعماء السياسيين من الأقطار الإسلامية بعدم هدر الأموال لتكثير الجيوش، ومظاهرة الدول العظيمة، ومداخلة أعوان التمدن وأنصار الحرية، والاستغناء عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين، والرجوع إلى الأصول الأولى من الديانة الإسلامية(١٨).

كان مستغرباً من الأفغاني أن يستقر على هذا الرأي بعد أن تسامح تجاه المنهج العلمي للحضارة الغربية. لكن مهمته الأساسية كانت تتركز في انقاذ الإسلام والمسلمين مما يتهددهم من الأخطار الداخلية والخارجية. وتمثل بعض نواحي تلك الحضارة أحد هذه الأخطار.

أما الشيخ محمد عبده، فقد اعترف أكثر من أستاذه، بالحاجة إلى تجديد المجتمع الإسلامي عن طريق الاستعانة بالمناهج العلمية الأوروبية، رغم تشديده على المبدأ الأساسي للعصر الذهبي في الإسلام. وصرح بأن الاصلاح السياسي والاجتماعي، يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع الاصلاح الديني، أي الاصلاح الروحي والأخلاقي(١٩).

تبنى تلامذة محمد عبده جميع أفكاره تقريباً، إلا أن القليلين منهم حاولوا الوصول بها إلى نهايتها المنطقية، «فدعوا إلى الحد من دور الإسلام في المجتمع. ذلك أنهم نظروا إلى الإسلام على أنه مبدأ حي يجب أن يستمر في التطور، وعلى أن الحصيلة النهائية لهذا التطور ستكون علمنة المجتمع الإسلامي»(٢٠). لكن

---

(١٨) هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب ص ٤١.
(١٩) المرجع السابق ص ٤١.
(٢٠) مجيد خدوري: الاتجاهات السياسية في العالم العربي ص ٧٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هدا التفسير لم يحظ بموافقة معظم تلامذة محمد عبده، وزعموا أن أستاذهم قدم تنازلات غير ضرورية للحركة العلمانية. وتزعم محمد رشيد رضا هذا الموقف، مدعياً بأنه فهم حقيقة فكر أستاذه أكثر من الآخرين بسبب ملازمته له مدة طويلة.

قال رضا: «إن الحضارة الغربية هي نتاج مواقف فكرية معينة أو عادات اجتماعية فقدها المسلمون بينما تفوق فيها الغربيون». لكنه أصر على القول «بأن هذه المواقف والعادات هي جوهر الإسلام. ويستطيع المسلمون احياءها لو فهموا تعاليم الإسلام كما بشر بها النبي محمد وهذه التعاليم موجودة في القرآن والسنة الصحيحة كما رواها وفهمها الصحابة والسلف الصالح. فآراؤهم كانت تمثل الاجماع الذي أعرب اعراباً كاملاً عن المبادىء التي جاء بها القرآن والحديث، والذي هو الاجماع الشرعي الوحيد الملزم لجميع المسلمين عبر أجيالهم المتعاقبة»(٢١).

هذا الكلام للشيخ محمد رشيد رضا يعبر في الواقع عن جوهر التفكير الديني عند الوهابيين حتى أن مجلة المنار دافعت في الكثير من كتاباتها عما كان يسعى إليه الوهابيون من خلال دعوتهم فقد كان من أهداف هذه المجلة: «السعي إلى القضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة على الإسلام، ومحاربة التعاليم الضالة، والتفاسير الباطلة لعقائده، ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء والقدر، ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب، وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد في الأولياء، وما تأتيه طرق المتصوفة من بدع وضلالات، ثم الحض على التسامح والتأليف بين الفرق المختلفة(٢٢)....

إن هذا المنحى الفكري الذي التزم به رضا بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد عبده، نشأ عن عدم اقتناعه بجدوى مناهج الحضارة الأوروبية في معالجة قضايا المجتمع الإسلامي. وكان يطلق على الذين أيدوا أفكاره «جماعة المعتدلين»، لأنهم توسطوا بين أفكار المحافظين المتحجرين، الذين كانوا يسايرون معتقدات

---

(٢١) المرجع السابق ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٢٢) المنار. مجلداً ص ١١ و١٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العامة المليئة بالبدع والضلالات، ولا يريدون لها تبديلاً، لاعتقادهم بأنها جزء من الدين، وبين أصحاب الآراء «المتطرفة» في التقدم الذين كانوا ينادون باطلاق حرية العقل في التعامل مع الحياة والمجتمع والطبيعة، والأخذ بأنماط الحضارة الغربية، وأتباع القوانين الوضعية وأساليب الحكم الحديثة المستمدة من الديموقراطية البرلمانية. وكان على رأس هؤلاء علي عبد الرازق مؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم». الذي نادى فيه بفصل الدين عن الدولة. ثم عبد الرزاق السنهوري واضع القانون المدني المصري الحديث، وخير الدين التونسي وغيرهم.

أما مؤيدو محمد رشيد رضا، فكانوا يواجهون أصحاب الآراء «المتطرفة» بالقول: «إن الإسلام فيه الحل الوحيد الكافي لأمور الاجتماع والسياسة والدين في العصر الحديث إذا سلك المسلمون في فهم عقائدهم، النحو الذي ينحوه المعتدلون» (٢٣). ونذكر من بين هؤلاء: الدكتور محمد توفيق صدقي، (مصر) والشيخ عبد القادر المغربي (لبناني)، ثم الشيخ ظاهر الجزائري الذي كان يمثل الروح الرائدة للنزعة الإسلامية الاصلاحية في سوريا.

اشتد الصراع بين هذين التيارين الأخيرين، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وكان أتباع الفريق «المتطرف» قد استطاعوا تسجيل تقدم ملحوظ على معارضيهم، خاصة بعد انشائهم الجامعة الأهلية المصرية عام ١٩٠٨، (جامعة القاهرة حالياً) لتشجيع البحث العلمي الحر وفق الأساليب الغربية. وقد ساعدهم في هذا التقدم، كما ذكرنا في بداية هذه الدراسة، الغزو السياسي والثقافي الأوروبي لمصر وبلاد الشام وبعض الأقطار الإسلامية الأخرى. لكن فشل القادة القوميين في تحقيق أهدافهم القومية التي نادوا بها، ثم ازدياد النفوذ الاقتصادي والسياسي الأوروبي في بلادهم، أضعف موقفهم وأحرجهم.

استغلت الفئات الدينية «المحافظة» هذا الوضع، ووجهت الاتهام إلى هؤلاء القادة مدعية بأن تبنيهم للأفكار العلمانية الأوروبية، إنما كان أحد الأسباب

---

(٢٣) تشارلز آدمس: الإسلام والتجديد في مصر ص ١٧٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المباشرة لازدياد النفوذ الغربي في بلادهم. وحدثت إثر ذلك ردة فعل دينية جارفة، تمثلت في ظهور عدد من الجمعيات الدينية والاجتماعية، التي أخذت تبث في الجيل الجديد روح الأخلاق الإسلامية وتعرفه إلى النواحي الايجابية الكثيرة في تعاليم الإسلام. ولاقت هذه الجمعيات اقبالاً فورياً وحماسياً[٢٤]، وكان من أكبرها وأخطرها «جمعية الإخوان المسلمين»، التي راجت أفكارها رواجاً كبيراً بين الطلاب الجامعيين والمثقفين. وأصبح لها فروع في السودان وسوريا والعراق، وفي أماكن أخرى من العالم الإسلامي.

ليس هنا مجال شرح مبادىء هذه الجمعية وأهدافها. لكن محور تعاليمها يقوم على الإيمان العميق بأن في الإسلام حلولاً مثالية لمشكلات المجتمع الإسلامي والمجتمعات الإنسانية الأخرى، وإنه لمن المستغرب انصراف المفكرين المسلمين إلى الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأجنبية، بينما النظم الإسلامية من أكثر الأنظمة التي عرفتها البشرية مثالية وكمالاً في هذه الحقول[٢٥].

ظلت هذه الجمعية تمارس سيطرتها العقائدية على قطاعات كثيرة من المثقفين والعمال والفلاحين في مصر وخارجها حتى قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢. وفي وقت من الأوقات بدت كأنها استمرار للأفكار الاصلاحية التي بثها الأفغاني وعبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم. إلا أنها في الواقع كانت تعاني نفس المشكلة التي أدت إلى اضعاف حركة الاصلاح وعدم قدرتها على الاستمرار الفعال، وهي فشلها في ترجمة ايديولوجيتها إلى حركة سياسية منظمة. وكانت هذه الفكرة تراود فكر الأفغاني في أيامه الأخيرة عندما أخبره تلميذه الشيخ عبد القادر المغربي بأن الشيء الوحيد الذي يفتقر إليه العالم الإسلامي هو حركة دينية منظمة. «وبسبب افتقار الاصلاحيين إلى الوسائل الكفيلة بتوفير السلطة لهم، لم يستطيعوا احداث تأثير مباشر على مجرى الأحداث السياسية في العالمين العربي والإسلامي»[٢٦].

---

(٢٤) مجيد خدوري. الاتجاهات السياسية في العالم العربي ص ٨٤.
(٢٥) المرجع السابق ص ٩٤ وما بعدها.
(٢٦) هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب ص ٦٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تنبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى هذه القضية الخطيرة، عندما أدرك أهمية التعاون مع قوة سياسية حربية لكي يضمن لدعوته النجاح، فاتصل بمحمد بن سعود أمير الدرعية وتعاهد معه على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى استقامة الشعائر. ونشر الدعوة في جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها، وبالسيف عند من لم يقبلها(٢٧).

لم يعرف موطن الدعوة الوهابية مثل هذا الصراع الذي قام في مصر، بين المحافظين والعلمانيين. ويرجع الفضل في ذلك إلى فطنة الملك عبد العزيز الذي استطاع أن يلجم تطرف المتعصبين الوهابيين، ويقف موقفاً ايجابياً من تحديات الحضارة الأوروبية في المجال العلمي(٢٨). فأقام الجهاز الإداري في المملكة العربية السعودية على أسس حديثة، وأدخل إليها القطارات (سكة الحديد الحجاز)، والطائرات، والسيارات، والتلفونات، والراديوات، والمصانع، وأخذ يعمل على نشر التعليم المدني إلى جانب التعليم الديني، وبث مظاهر الحضارة الحديثة في أرجاء الصحراء(٢٩) وقد سار خلفاؤه في هذا السبيل على نطاق واسع، دون أي مساس بمبادىء الإسلام الحقيقية كما فهمها الوهابيون.

فالإسلام الذي استطاع خلال عصره الذهبي، أن يتفاعل تفاعلاً حراً خلاقاً مع تراث الحضارات المختلفة التي دخلت تحت سلطانه، يستطيع أيضاً التفاعل مع مبادىء الحضارة الغربية الحديثة، بالأخذ والعطاء، دون خوف لا مبرر له. وقد استطاع الوهابيون التوفيق بين مبادىء دعوتهم ومقتضيات المدنية الحديثة، بالرغم من عدم توفر خلفيات ثقافية في مجتمع الجزيرة لتمهد السبيل أمام تقبل مبادىء هذه المدنية وامتصاصها سوى تعاليم الإسلام.

---

(٢٧) جمال الدين الشيال. محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث. القاهرة ١٩٥٧ ج ١ ص ٦٢.

(٢٨) بكري شيخ أمين. الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. دار صادر، بيروت ١٩٧٢ ص ٥٧.

(٢٩) جواهر لآل نهرو: لمحات من تاريخ العالم. المكتب التجاري في بيروت. ط ١٩٧٢ ص ٣٢٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لقد حاول البعض عقد مقارنة بين الحركة الوهابية في نجد، وحركة محمد علي في مصر[٣٠]، لكنها في رأيي مقارنة غير موضوعية، لأن المناهج والأهداف لكل من هاتين الحركتين كانت مختلفة فالحركة الوهابية لم تجد أمامها من وسيلة لاصلاح المجتمع الإسلامي سوى تعاليم الإسلام وحدها لأن الحضارة الغربية لم تكن بعد قد طرقت أبواب قلب الصحراء العربية في ذلك الوقت.

أما حركة محمد علي في مصر، فقد كرست جهودها على الناحية المادية من الحضارة الأوروبيةلأن أهدافها البعيدة كانت تحويل مصر إلى أكبر قوة عسكرية وسياسية واقتصادية متطورة في منطقة الشرق الأوسط، لتبسط سلطانها على أقاليم الامبراطورية العثمانية التي كانت قد بدأت مرحلة احتضارها العسكري والاقتصادي والسياسي.

ولو أن هاتين الحركتين تعاونتا معاً، لكان من الممكن أن يحدث تحول كبير في مجرى حياة الشعوب العربية والإسلامية، «لأن العالم الإسلامي حين كان قوياً مرهوب الجانب، لم تقم قوته على الدين وحده، أو على الحضارة المادية وحدها، وإنما قامت عليهما جميعا»[٣١].

---

(٣٠) أحمد أمين: زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ١٥.
(٣١) جمال الدين الشيال: محاضرات عن الحركات الاصلاحية ج ١ ص ٦٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الرابع عشر

أثر الدعوة الوهابية في العالم الإسلامي

لم يقتصر أثر الدعوة الوهابية على الحركة الاصلاحية في مصر، بل تعداه إلى كثير من المثقفين المسلمين في أقطار إسلامية أخرى كسوريا والعراق والمغرب العربي واليمن والهند. وقد احتل بعض هؤلاء مراكز كبرى في حقل التعليم الإسلامي في حلب ودمشق وطرابلس والقدس والهند[1].

كانت مواسم الحج السنوية فرصاً ثمينة يتحينها الوهابيون لشرح أفكارهم للحجاج المسلمين القادمين إلى مكة من مشارق الأرض ومغاربها، وتبادل الآراء معهم في الدين والدنيا. واستطاعوا بهذه الوسيلة اقناع بعض الشخصيات الإسلامية بأفكارهم، وترتب على ذلك قيام حركات اصلاحية إسلامية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متأثرة إلى حد كبير بمبادىء الدعوة الوهابية وأفكارها.

ففي اليمن، كان الإمام الزيدي محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ ١٧٥٨ - ١٨٣٤ م) معاصراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ويدعو مثله إلى محاربة البدع والخرافات، والثورة على التقليد والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، والرجوع في العقائد إلى مذهب أهل السلف، وفهم الصفات

---

(١) البرت حوراني. الفكر العربي في عصر النهضة. دار النهار للنشر بيروت ١٩٦٨ ص ٢٦٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإلهية المذكورة في القرآن على ظاهرها، وترك التأويل والتحريف فيها. وكتب في ذلك رسالة بعنوان: «التحف بمذهب السلف».

تأثر الشوكاني، بآراء ابن تيمية في العقائد. وألف كتابه «نيل الأوطار» لشرح كتاب ابن تيمية «منتقى الأخبار». وبعد أن تحرر من ربقة التقليد والتعصب، وذمهما، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد في القضايا التي لا نص عليها في القرآن والسنة. ثم وضع كتاب: «السيل الجرار على حدائق الأزهار»، الذي لم يتقيد فيه بمذهبه الزيدي، بل صحح ما قاده إليه اجتهاده بالأدلة. فثار عليه الزيديون، ومعظمهم من المقلدين الجامدين على مذهبهم في الأصول والفروع، فكان يقارعهم بالأدلة من القرآن والسنة وزادت نقمتهم عليه بعد كتابة رسالته: «القول المفيد في حكم التقليد»، واتهموه بالمساس بمذهب آل البيت فقامت إثر ذلك مناقشات عنيفة بين أنصاره وخصومه»[٢]. وبعد وفاته انحسر أتباعه، ولم يعد لهم في اليمن أثر يذكر.

يبدو أن الإمام الشوكاني كان على اطلاع واسع بمبادىء الدعوة الوهابية وتعاليمها، لأن أفكاره إنما تعبر تعبيرا يكاد يكون حرفيا عن تعاليم هذه الدعوة. ويتضح ذلك في القصيدة الطويلة التي رثى فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما بلغه نبأ وفاته وبيّن فيها مدى احترامه له وتفجعه عليه. ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن أي لقاء تم بين الإمامين.

أثر الدعوة في مسلمي الهند:

تحتل الهند مكاناً مميزاً في دراسة نمو الأفكار الدينية وتفاعلها نظراً لتعدد أجناس سكانها ومعتقداتهم المختلفة.

وجد الوهابيون في هذا المجتمع تربة خصبة لبث أفكارهم بين المسلمين والهنود الذين تتفشى بينهم صور شتى من البدع والخرافات المأخوذة عن طقوس وعقائد الديانات الهندية الأخرى. وقد وصلت التعاليم الوهابية إلى تلك البلاد

---

(٢) عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام. القاهرة. بدون تاريخ ص ٤٧٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عن طريق زعيم إسلامي هندي يدعى السيد أحمد بن عرفان البرلوي (١٧٨٦ ـ ١٨٣١ م) الذي وفد إلى الحج في أوائل القرن التاسع عشر واعتنق خلاله الأفكار الوهابية. ولما عاد إلى بلاده أصبح من أكبر دعاة هذه الأفكار، وقام بنشرها في البنجاب وأنشأ دولة وهابية فيها، وامتد سلطانه حتى هدد شمال الهند حيث تقطن طائفة السيخ، فهاجم الوعاظ ورجال الدين، وأعلن الجهاد على كل من لم يؤمن بأفكاره ومعتقداته كما أعلن الهند دار الحرب، وأثار بحركته متاعب كثيرة للحكومة الانجليزية، التي قاومت اتباعه حتى أخضعتهم[٣].

كان السيد أحمد البرلوي ذا حمية شديدة في الدين، فعمل على تطهير الإسلام من أدران الشرك التي شوهته تشويهاً صارخاً، مثل عبادة الأولياء وما يتصل بها من التقاليد الخرافية الوثنية ونادى بإعادة الحياة الإسلامية إلى بساطتها الأولى كما كانت أيام النبي وصحابته. ثم قام بحملة دينية واسعة النطاق بين الهنود لترغيبهم في اعتناق الإسلام. توفي سنة ١٨٣١ خلال حملته على طائفة السيخ في شمال الهند، لكن أفكاره الدينية ظلت قوية الأثر بين المسلمين الهنود وتابع تلاميذه حركته الاصلاحية، فأنتجوا أدباً دينياً ضخماً، كتبوه باللغة الأوردية ليضمنوا نشر تعاليمهم بين الشعب، كما آثر اتباعه الاشتغال بالنشاط التجاري وعدم الالتحاق بالوظائف الحكومية تحت حكم الانجليز[٤].

كتب السيد أحمد البرلوي مجموعة كبيرة من الرسائل والكتيبات باللغة الفارسية، عالج فيها بعض القضايا الإسلامية. إلا أن هذه الرسائل ما زالت مخطوطات مبعثرة في بعض مكتبات الهند.

ومن الجدير بالذكر أن السيد أحمد البرلوي هو غير المصلح الإسلامي الهندي المعروف السيد أحمد خان (١٨١٧ ـ ١٨٩٨)، الذي اتخذ من اصلاح مناهج التربية والتعليم كما رآها في انكلترا وسيلة لمعالجة مشكلات المسلمين في الهند.

---

(٣) جمال الدين الشيال: محاضرات عن الحركات الاصلاحية ج ١ ص ٦٧ وكتاب أجناس جولتسيهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٢ وما بعدها.

(٤) كان عدد المسلمين في الهند يومئذ حوالى سبعين مليوناً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال بأن هذه المناهج وحدها قادرة على تطوير حياتهم لأنها تخلق فيهم الميل إلى تلقي علوم المدنية الغربية وفنونها وآدابها وانطلاقاً من هذه الايديولوجية الاصلاحية، أخذ السيد أحمد خان ينشيء المدارس بكثرة في المناطق الإسلامية الهندية، وأسس جامعة عليكرة الشهيرة، على نمط جامعتي أوكسفورد وكمبردج. لنشر الاتجاهات العلمية الحديثة في العلوم والتاريخ والاقتصاد، وساهم في نقل عدد كبير من الكتب العلمية من الانجليزية إلى الأوردية كما أصدر مجلة دورية سماها «تهذيب الأخلاق» عالج فيها مشكلات المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والدينية بصراحة وجرأة. ثم عكف على تفسير القرآن «على ضوء العقل والضمير»، وصرح بأن الوحي النبوي كان «بالمعنى دون اللفظ»، أي أن الملاك جبريل «إنما نزل بالمعاني خاصة، وإنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب»(٥).

أحدث هذا الرأي ثورة دينية عارمة ضد السيد أحمد خان، وكادت أن تودي بحياته بعد اتهامه بالكفر والزندقة والالحاد. وبالرغم من ذلك استمر على موقفه ولم يتراجع. وظل يجمع قادة المسلمين الهنود في مؤتمر سنوي ليناقش معهم مشكلات رعاياهم وحلولها. فكان يحثهم على أخذ كل مفيد من المدنية الغربية ونشرها بين المسلمين، لأن ذلك يبعدهم عن الجهل والتخلف ولا يفقدهم شخصيتهم الدينية اطلاقاً.

لم يعجب السيد أحمد خان بحركة مواطنه السيد أحمد البرلوي الاصلاحية، وإنما كان إعجابه شديداً بالشيخ محمد عبده وبأفكاره المتطورة. وقد استمد منه آراءه حول علاقة الإسلام والمسلمين بالحضارة الغربية. وكان تأثيره في حركة الاصلاح الإسلامية في الهند مشابهاً لتأثير الشيخ محمد عبده في حركة الاصلاح بمصر. وقد عرف عنه تمسكه بوحدة الهند رغم تعدد أديان شعوبها.

أما النزاعات الطائفية، والدعوة إلى تقسيم الهند حسب الطوائف فكلها في رأيه أفكار باطلة لأنها تمزق الشعور الوطني الهندي وتقوضه. وبعد وفاته حمل

---

(٥) أحمد أمين: زعماء الاصلاح ص ١٣٠ ـ ١٣١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

راية أفكاره في الهند بعض تلامذته ومريديه مثل السيدين بن سراج علي وأمين علي.

أثر الدعوة في بلاد الشام والعراق:

كان للدعوة الوهابية أنصار كثيرون بين علماء بلاد الشام في بداية هذا القرن، ومن أشهرهم الشيخ جمال الدين القاسمي الذي قاضته الحكومة التركية بتهمة العمل على نشر مبادىء الدعوة الوهابية وإذاعتها بين الناس. وهناك أيضاً المشايخ: عبد الرزاق البيطار ـ وطاهر الجزائري، ومحمد كامل القصاب، وحسين الجسر، وعبد القادر المغربي، والأمير شكيب أرسلان الذين درسوا تعاليم الدعوة الوهابية وقدروها تقديراً كبيراً، إذ وجدوا فيها صورة عن تعاليم الإسلام الحقيقية، فعملوا على نشر مبادئها في سوريا. ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن ظهور الحركة القومية المبكر في سوريا، التي سبقت فيها الأقطار العربية الأخرى، إنما هي من نفحات الدعوة الوهابية، وثمرة من ثمارها(٦).

وفي العراق عرف عن الألوسيان: أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي (١٨٠٢ ـ ١٨٥٣)، ومحمود شكري الألوسي (١٨٥٦ ـ ١٩٢٤) تأثرهما الشديد بمبادىء الدعوة الوهابية وأفكارها. ويبدو ذلك واضحاً في كتاب الأول: «روح المعاني» الذي دعا فيه إلى اتباع أهل السلف في مسائل العقيدة وتنقية الإسلام مما علق به من الشوائب، وانكار التوسل لغير الله أو التشفع بأهل القبور.

أما محمود شكري الألوسي فكان مصلحاً دينياً سلفياً «جمع بين مبادىء الدعوة الوهابية في الرجوع إلى القرآن والسنة ومحاربة البدع الدينية والطرق الصوفية من ناحية وبين مبادىء النهضة العلمية العربية الحديثة في الاهتمام بالعلوم غير الدينية مثل التاريخ والفلك من ناحية أخرى. من مؤلفاته «تاريخ نجد» الذي تناول فيه تاريخ نجد المعاصر وسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»(٧).

---

(٦) أمين السعيد: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب.
(٧) علي المحافظة ـ الاتجاهات الفكرية عند العرب في عهد النهضة ص ٥١ و ٥٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أثر الدعوة الوهابية في المغرب العربي والسودان:

وعن طريق الحج أيضاً انتقلت أفكار الدعوة الوهابية إلى المغرب العربي. إذ حملها إليه السيد محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩) بعد عودته من مكة إلى وطنه الجزائر متأثراً بتعاليمها، وأخذ ينشرها بين أبناء بلده. وبعد ذلك انتقل إلى برقة بليبيا حيث أسس طريقة دينية خاصة، فيها الكثير من الأفكار الوهابية، مثل ضرورة الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى التي كان عليها الرسول وصحابته، وتنقية العقيدة من البدع والخرافات التي شوهتها. ولكن تأثر السنوسية بالمفاهيم الصوفية بعد ذلك أبعدها عن فلك التعاليم الوهابية وأهدافها.

«فالسنوسية طريقة من طرق التصوف، تقوم على الأخوة والزهد والعبادة والتزام أصول الإسلام» لكنها تختلف عن غيرها من طرق المتصوفين، في محاربتها للغلو في تقديس الأولياء والشيوخ، الأحياء منهم والأموات، أو ممارسة الطقوس الوثنية مثل التمسح بالقبور والاضرحة، وتقديم النذور، والذبح لغير الله، والإيمان بقدرة أولئك المشايخ والأولياء على جلب النفع أو دفع الضرر. وغاية ما تسمح به زيارة الأضرحة والمقامات الدعاء لصاحبها، والترحم عليه، والتماس العظة والبركة في رحابه، وهذا هو وجه الشبه بينها وبين الحركة الوهابية، ومدى ما قد يكون لهذه الحركة الأخيرة من أثر فيها»(٨).

وتتفق الدعوتان أيضاً في الأخذ بالاجتهاد ومحاربة البدع بجميع صورها. وتختلفان في أن الحركة الوهابية لجأت إلى الجهاد لنشر تعاليمها وهداية الناس إلى أفكارها بينما سلكت الحركة السنوسية الطريق الصوفي، وانشأت الزوايا واتخذتها أماكن للزهد والعبادة، وتعليم «المريدين» و«الإخوان» أمور دينهم ودنياهم. وقد أعجب بمبادىء الدعوة أيضاً سلطان مراكش سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يقول: إنني مالكي المذهب وهابي المبدأ(٩). كما تأثر بها صاحب الدعوة

---

(٨) جمال الدين الشيال: محاضرات عن الحركات الاصلاحية ج ١ ص ٧٠.

(٩) انظر كتاب: CH.A. Julien: Histoire de l'Afrique du nord Payot - Paris 1966. P: 243.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المهدية في السودان محمد بن أحمد بن السيد عبد الله (١٨٨٥ م) كما نجد أثرها الواضح في مؤلفات المفكر الجزائري المعروف مالك بن نبي.

أثر الدعوة في الحياة الأدبية للجزيرة العربية:

اعتنق سكان الجزيرة العربية أفكار الدعوة الوهابية وتشددوا فيها، بعد أن زرعت فيهم بعض الثقافة، رغم أميتهم، لكنها كانت ثقافة دينية محورها تعاليم الدعوة، وأفكار ابن تيمية ومذهب أحمد بن حنبل. واستطاعت تعاليم هذه الدعوة أن تدفع الناس إلى حل قضاياهم عن طريق الشرع والقضاء بدلاً من وسائل العنف والعادات القبلية. كما استطاعت أن تقضي على حياة التشرد والترحال في البادية، وتغل أيدي اللصوص والمجرمين الذين كانوا يعيثون فساداً في مختلف مناطق الجزيرة. ثم شجعت البدو على الاستقرار في مناطق زراعية بعد أن هيأت لهم المنازل ووسائل العيش الكريم. وقد ربطت الدعوة الوهابية اتباعها بالله مباشرة، وعلمتهم ألا يرهبوا أحداً سواه، وطردت من عقولهم صور الجن والخرافات والأوهام، ومنعتهم من الوقوف المذل أمام الأحجار والقبور والأشجار للتوسل والاستغاثة، وعودتهم ألا يطلبوا ذلك إلا من الله وحده...

لم تقتصر آثار الدعوة على هذه المسائل فقط، بل كان لها أثر كبير في الحركة الفكرية في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر. ففي مراحلها الأولى ظهر بعض الشعراء والمؤرخين الذين اعتنقوا مبادئها، وأخذوا يدافعون عنها ويهاجمون خصومها. وكان في طليعة هؤلاء من المؤرخين عثمان بن بشر، وحسين بن غنام مؤرخا الدعوة المشهورين.

ويعتبر كتاب ابن غنام: «روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الإمام» المصدر الأول لتاريخ نجد زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولشرح دعوته. وقد ضمنه الكثير من رسائله وآرائه، وذكر كتبه، وما قام به حماة الدعوة من الجهاد والكفاح في سبيلها.

ويعتبر كتابه الآخر «كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية» سجلاً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

للغزوات والحروب التي خاضها أنصار الدعوة ضد خصومهم حتى سنة ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م أما عثمان بن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ ١٧٩٥ ـ ١٨٧٣ م)، فقد أرخ في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» لأهم الأحداث التي مرت على الدعوة خلال مئة عام (١١٥٨ ـ ١٢٦٨ هـ). ويستطيع الباحثون أن يجدوا في هذا الكتاب، معلومات وافية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في نجد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، ثم بعض المعلومات عن أحوال مصر وبغداد واليمن في زمانه وكان ابن بشر سلفياً، يدين بعقيدة التوحيد ويفسر الأحداث من خلالها ولم يكن يتحامل على أحد من أعدائه[١٠].

وفي ميدان الشعر، برع الأمير محمد الصنعاني، من بيت الإمامة في اليمن الذي أعجب بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، فمدحه وذم خصومه، وخاصة المتصوفين منهم. وبعد وفاة الشيخ محمد، ظهر شاعر آخر يدعى «ابن شرف» من الإحساء، وأخذ يدافع عن الدعوة في وقت أسكت فيه الغزو المصري كل لسان. ويرسم لنا ابن مشرف في شعره صوراً حية لأحوال مجتمعه التي عاصرها، مثل انتشار الفوضى وأعمال القتل والنهب، وضعف حكام المناطق في الجزيرة. . . إلى غير ذلك من القضايا التي ذكرها في ديوانه المسمى «ديوان ابن مشرف».

ومن الشعراء الذين دافعوا عن الدعوة أيضاً:

سليمان بن سحمان (١٢٦٩ ـ ١٣٥٠ هـ ١٨٥٢ ـ ١٨٣٠ م)، الذي وضع كثيراً من الكتب الشعرية للدفاع عن الدعوة من أشهرها «الضياء الشارق في رد شبهات المارق» ويعني به الشاعر العراقي الملحد جميل صدقي الزهاوي الذي انتقد الدعوة وهاجم مؤسسها هجوماً عنيفاً. ثم ديوانه المعروف به «عقود الجواهر المنضدة الحسان».

لقد حصر هؤلاء الشعراء فهمهم للإسلام بدائرة السلف الصالح ومن نهج

---

(١٠) بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ص ٦١٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نهجهم، فمدحوهم ومجدوهم. ونال الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الأكبر من هذا المديح، أما الباقي فقد توزع على أبنائه وذويه والأسرة السعودية وأهل نجد[١١].

ولا يوجد اليوم في المملكة العربية السعودية أي شاعر يكرس شعره لمدح مبادىء الدعوة أو هجاء خصومها. وإذا اتخذ الشعر وجهة جديدة نتيجة للتطورات الكبيرة التي حدثت في المملكة، وخاصة بعد أن وحد الملك عبد العزيز مناطق الجزيرة وطبق فيها تعاليم الدعوة عملياً... لكن ذلك لا يعني أن الشعر الديني في المملكة قد انقرض إنما أصبحت ميزته الأولى سمو عن الخلافات المذهبية، والدعوة إلى الاخوة الإنسانية، والوقوف بقوة أمام الأخطار الخارجية. وقد شجع هذا الانفتاح بعض الشعراء على تعظيم المدينة المنورة، والاشادة بمولد النبي بعد أن كان مثل هذا الشعر محرماً وغير مرغوب فيه لدى الوهابيين الأوائل[١٢].

---

(١١) المرجع السابق ص ٩٤.
(١٢) المرجع نفسه ص ٩٥ ـ ٩٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل الخامس عشر

الدعوة الوهابية والتطور

مضى على ظهور الدعوة الوهابية حوالى قرنين من الزمن، استطاعت خلالهما، أن تحافظ على حيويتها رغم الصعاب الشديدة التي واجهتها، وأن تصبح مصدراً روحياً لمعظم حركات التجديد في العالم الإسلامي الحديث. فالعثمانيون حاولوا القضاء عليها عسكرياً بعدما شعروا بجسامة خطرها عليهم من الناحيتين السياسية والدينية، لكنهم فشلوا، فأخذوا يحرضون الناس ضدها في شتى أنحاء العالم الإسلامي بعد أن اتهموا أتباعها بالكفر، وبالخروج على طاعة الخليفة العثماني. وقد شارك كثير من علماء المسلمين في هذه الحملة التشهيرية بعد أن هددت الدعوة مكانتهم عند الناس، وقوضت الخرافات والبدع التي كانوا يعتبرونها من صميم الدين. وساعد الانجليز أيضاً بهذا التشهير بأن لجأوا إلى تشويه مبادىء الدعوة، خاصة وأن بعض الهنود المتأثرين بالتعاليم الوهابية أسسوا دعوات مشابهة لها في بلادهم. فكانت مصدراً لكثير من المتاعب للحكم الانجليزي.

ساهمت كل هذه الأسباب في تعثر انتشار أفكار الدعوة بين المسلمين، أو التعرف إلى حقيقتها. لكن الوهابيين تخطوا كل هذه الظروف القاسية، واستطاعوا انشاء دولة لها دورها المتعاظم في المجتمع الدولي المعاصر.

ومن الممكن أن نعلل حيوية الدعوة الوهابية واستمراريتها بالأسباب التالية:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

١ ـ لأنها كانت تعبر بصدق واخلاص عن تعاليم الإسلام الحقيقية، كما جاءت من منابعها الأولى في القرآن والسنة، وكما مارسها النبي وصحابته. لذلك دعت إلى تطهير هذه التعاليم من البدع والخرافات التي تسربت إليها من مصادر غريبة فشوهتها وحادت بها عن معانيها الحقيقية.

٢ ـ لأنها كانت أول حركة إسلامية في العصور الحديثة سعت إلى إعادة توحيد المسلمين دينياً وسياسياً بعدما انهكتهم الخلافات المذهبية الضيقة، الناتجة عن تعصب كل فريق لمذهبه، دون النظر إلى ما في المذاهب الأخرى من أفكار وآراء راجحة.

٣ ـ لأنها ثارت ضد التقليد الذي كان أحد أسباب تخلف المسلمين الفكري وتقهقرهم الحضاري، ونادت بفتح الأبواب بين جميع المذاهب الإسلامية، تشبها بالأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الذين دعوا إلى محاربة التقليد بجميع صوره، والى أخذ الحقائق من مصادرها أينما وجدت[1].

وبهذه الثورة ضد مظاهر الجمود والتقليد والتعصب، التي كانت الطابع المميز لمعظم المسلمين في العهد العثماني، كان مؤسس الدعوة، في طليعة الذين عملوا في العصر الحديث لفتح الأبواب بين المذاهب السنية الأربعة التي أغلقها الفقهاء الجامدون منذ القرن الخامس الهجري، وأول من شدد على مبدأ الاجتهاد، واعتبره واجباً على كل مسلم يستطيعه.

ففي الوقت الذي حارب فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي تدخل من جانب العقل في قضايا العقيدة باعتبارها من مصدر إلهي لا يجوز للعقل البشري مسها، فإن دعوته إلى الاجتهاد والثورة على التقليد ردت الاعتبار إلى دور هذا العقل في القضايا الدينية والدنيوية التي لا نص عليها في القرآن والسنة. فالاجتهاد عمل هام من أعمال العقل في تطور الإسلام ومرونته. وقد وجد فيه زعماء الاصلاح الإسلامي المحدثون السبيل المأمون للتطور والاصلاح الاجتماعي

---

(١) راجع مجموعة الرسائل والمسائل، النجدية رسائل وفتاوي الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان ابن معمر ص ٣٢٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

داخل الإسلام نفسه وفي خلود هذا الإسلام في العالم المعاصر وفي المستقبل[٢].

وبهذا الاقرار بمبدأ الاجتهاد الذي يساير التطور في المجتمع البشري، برهنت الدعوة الوهابية قبل غيرها من الدعوات الاصلاحية الإسلامية الحديثة، على أنه تتوافر في تعاليم الإسلام منذ البداية مرونة تمكن المجتمع الإسلامي من التطور الطبيعي دون اهمال قواعده الأساسية.

٤ ـ استعانتها بقوة سياسية وحربية لتضمن لمبادئها الانتشار والفعالية، لأن النظريات والمثل العليا لا تستطيع أن تنتصر بقوتها وصدقها فقط، بل بما يؤيدها من قوى سياسية واقتصادية وعسكرية. ومن أجل ذلك اتصل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، بأمير الدرعية محمد بن سعود، وتعاهد معه على الجهاد، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدعوة في جزيرة العرب، «باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها».

إن أحد أسباب الفشل الذي منيت به الحركات الاصلاحية الإسلامية، قبل الدعوة الوهابية وبعدها، إنما يرجع إلى عدم توافر هذا المبدأ. وهو دليل على بعد النظر الذي كان يتصف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونصيره الأمير محمد بن سعود. وقد ظل هذا الاتحاد بين القوتين الدينية والسياسية، ينمو ويتفاعل، حتى انبثقت عنه المملكة العربية السعودية التي يزداد حجم تأثيرها الديني والسياسي والاقتصادي على المجتمعين الإسلامي والعربي من ناحية، وعلى المجتمع الدولي وحضارته من ناحية أخرى.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحضارة الغربية تطرح نفسها كمنهج للتطور المادي للشعوب، وتتسرب وسائلها إلى المجتمعات المتخلفة، كانت المملكة العربية السعودية، التي تتمسك بالتعاليم الإسلامية بمفهومها الوهابي، في طليعة هذه المجتمعات التي فتحت لها أبوابها واستعانت بها لتطوير حياة شعبها دون أن يمس ذلك بعقيدتها الدينية أو يتعارض معها. وهنا لا بد من طرح سؤال جوهري وملحٍ حول قدرة تعاليم الإسلام على مواكبة التطور البشري والتكيف

---

(٢) راجع الإسلام في نظر الغرب، ترجمة اسحق موسى الحسيني. ص ٧٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مع تطلعات الإنسان المستقبلية وتقديم الحلول المجدية لمشكلاته المادية والـروحية في زمن يخضـع فيـه المجتمـع الإنسـاني كله لتبـدل عميق وسريـع في مفـاهيمـه وأخلاقياته.

وترجع أهمية هذا السؤال والاجابة عنه إلى المكانة الاقتصادية والاستراتيجيـة المتعاظمة التي يحتلها العالم الإسلامي في الجغرافيا البشرية المعـاصرة من ناحيـة، وإلى اعتقـاد المسلمين الـراسخ بتعـاليم الإسلام كمنهـج أبدي للحيـاة، والدور الـذي يمكن أن تلعبه هـذه التعـاليم في وضـع اسس صحيحـة للنـظام العـالمي الجديد من ناحية أخرى.

فالمسلمون اليـوم يؤلفون كتلة بشريـة ضخمة يـتراوح تعدادهـا حوالى مليـار نسمة، يعيشون في بقاع من الأرض يحوي بعضها ثروات طبيعيـة هائلة تشكـل عصب الحياة والتطور للمـدنية المعـاصرة[٣]. لكنهم مع ذلـك ما زالـوا يرزحـون تحت وطأة مختلف أنواع التخلف والحـرمان. وكنـا قد أشرنـا في الفصل الثـالث عشر إلى جهود بعض المصلحين خلال القرنين التاسـع عشر والعشرين لتجديـد مفـاهيم الإسلام وانقـاذ المجتمعات الإسـلامية من تخلفهـا وسباتهـا الذي طـال أمده. وسنحاول في هذا الـفـصل عرض أهم خصائص الحياة الغربية المعاصرة كما يراها بعض كبار المفكرين الغربيين ثم موقف الإسلام منها كـما يفهمه بعض المفكرين الآخرين وذلك كجواب مختصر عن موقف الإسلام من بعض القضايـا الحيوية المعـاصرة التي طرحتهـا الحضارة الغـربية الحـديثة كـأنماط نهائيـة للتطور الإنساني.

١ ـ حب العلم والاستطلاع[٤]

اتجـه حب الاستطلاع في الغـرب منذ القـرن السابـع عشر إلى مجـال البحث

---

(٣) لا توجد احصائيات دقيقة عن عدد المسلمين في العالم. فهناك من يغالي في هذا العدد، وهناك من ينتقص منـه لأسباب سيـاسية أو دينيـة. ووجدنـا أن الرقم الأقـرب إلى الحقيقة هـو الرقم الذي ذكرناه استناداً إلى مراجع علمية أجنبية وإسلامية.

(٤) انظر محاضرة ارنولد تسوينبي الحياة الغـربية في الميـزان. المنشورة في كتـاب: محاضرات ارنـولد =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العلمي الموضوعي المنزه. وقد أدى قيام هذه الأبحاث على أسس منهجية دقيقة إلى ظهور نتائج عملية مثيرة لم يحلم بها الباحثون الأوائل. ويعتبر هذا الاستطلاع العلمي المنزه عن الغرض السبب الرئيسي لعلو مكانة الغرب في العالم الحديث.

أدى تطبيق تلك الأبحاث العلمية في الصناعة إلى نشوء التكنولوجيا الحديثة والانتاج الآلي. وقد أثبت هذا الانتاج منذ بدايته في نهاية القرن الثامن عشر حتى الآن أنه وسيلة مذهلة لتطوير الحياة المادية للمجتمعات البشرية ونشر الرفاهية في ربوعها. فقد استطاع الغربيون بعد جهود علمية مضنية استئصال شأفة الفقر والأمية وكثير من الأمراض الفتاكة من مجتمعاتهم، وتحقيق قدر كبير من التنسيق بين الحرية والنظام فيها... فكانت هذه المنجزات الرائعة فتحاً جديداً في تاريخ البشرية، وأمثلة حية لمعالجة مشكلات التخلف الإنساني والقضاء على أسبابه(٥).

كان العلماء والمفكرون الغربيون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يعتقدون بأن التقدم العلمي خيّر بطبيعته، وكفيل بحل المشكلات المزمنة التي يواجهها البشر في المجالين المادي والروحي، وقادر على تحويل الأرض إلى جنة شبيهة بتلك التي وعد الله بها المؤمنين، لكن هذه الآمال بدأت بالأفول والتراجع عندما أخذت الثورة الصناعية تشد الناس إلى التفكير المادي في الحياة، وأصبحت مثل الحياة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تستمد من الواقع بدلاً من العقل، ونتج عن ذلك انحدار تام نحو المادية والآلية والضياع الروحي للإنسان.

يقول البرت شفيتزر (١٨٧٥ ـ ١٩٦٥) وهو طبيب وعالم وموسيقي ولاهوتي

= توينبي في ج.ع.م. نيسان ابريل ١٩٦٤. ترجمةد. فؤاد زكريا. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٨.

(٥) راجع كتاب برتراند راسل: آمال جديدة في عالم متغير. ترجمة عبد الكريم أحمد. القاهرة بدون تاريخ ص ٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفيلسوف الماني شهير: «يجب الاعتراف أولاً بأن فساد الروح هو السبب الرئيسي لتدهور الحضارة الغربية، وأن مثل الحضارة الحقيقية أصبحت عديمة القدرة في يومنا هذا لأن المفهوم الايديولوجي الذي تمتد فيه جذورها قد اختفى شيئاً فشيئاً، وان مدينة تعيش في المظاهر التافهة لا بد وأن ينتهي بها المسير إلى كارثة لأنها انقطعت عن القانون الجوهري الوحيد الذي يغذيها، وهو قانون الأخلاق. ومهما تكن الأهمية التي نعطيها للعلم والقوى المادية، يبدو واضحاً أن الإنسانية التي تتبع أهدافاً أخلاقية تستطيع وحدها أن تستفيد إلى حد بعيد من التقدم المادي والسيطرة في الوقت نفسه على ما يرافق هذا التقدم من أخطار. ونحن نرى أن هذا الجيل الذي آمن بالتقدم العلمي يحدث آلياً، والذي فكر بإمكانية الاستغناء عن المثل الأخلاقية للتقدم، والاقتصار على العلم والقوة وحدهما، قد أعطى البرهان الرهيب من خلال الوضع الذي يعيشه اليوم على انه كان مخدوعاً. فالتقدم المادي وحده لا يعد الجوهر الخالص لهذه الحضارة لأنه يحمل للعالم في ثناياه بذور الخير والشر على حد سواء. . . إنني متخاصم مع روح هذا العصر لأنه شديد الاحتقار للفكر لدرجة قادتنا إلى الشك بقدرة هذا الفكر على الرد على الأسئلة المتعلقة بالكون وبعلاقتنا به، وفي إعطاء معنى ومحتوى لوجودنا. فإنسان هذا العصر لا ثقة له بنفسه، وتحت مظهر مفعم بالثقة يخفي قلقاً روحياً عميقاً. وبالرغم من مقدرته التكنولوجية وقوته المادية الهائلة، فإنه مخلوق ذابل لا يستعمل ملكته الفكرية. ومن الغريب أن يكون جيلنا الذي يبدو عظيماً في اكتشافاته وانجازاته العلمية لم يستطع تجنب الانزلاق إلى هذاالدرك المخيف في المجال الروحي. . . إنني متشائم في حكمي على الموقف الذي يجد الجنس البشري نفسه فيه حالياً، ولا أستطيع أن أحمل نفسي على الإيمان بأن هذا الموقف ليس من السوء إلى الدرجة التي يبدو عليها. إنني أشعر في أعماق ضميري بأننا نسير في طريق ستقودنا إذا واصلنا السير فيها إلى عصور وسطى من طراز جديد»[٦].

---

(٦) راجع A. Schweitzer. Ma vie et ma pensée. éd. Albin Michel Paris, 1960 p. 162 - 163.

راجع أيضاً كتاب شفيتزر: فلسفة الحضارة. ترجمة د. عبد الرحمن بدري ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧. =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يبدو واضحاً كيف يركز شفيتزر على افتقار الحضارة الغربية الحديثة للعنصر الأخلاقي وكيف يعتبر ذلك مصدراً رئيسياً لكل الكوارث وألوان الشقاء التي يعج بها العصر الحالي. فالعنصر الأخلاقي أو الروحي عنصر أساسي في حياة البشر، والحضارة التي تفتقده مصيرها الانحلال والموت لأنها تتناسى أحد العناصر الرئيسية في الطبيعة البشرية. وهذا ما يشير إليه المؤرخ الانكليزي المشهور أرنولد توينبي في إحدى محاضراته بقوله: «ففي الغرب أناس قد اعتادوا حياة النشاط العملي إلى حد أنهم يصرفون أوقاتهم في ممارسة أمور عملية تافهة لا جدوى منها حتى لا يضطروا إلى مواجهة أنفسهم مواجهة روحية صريحة، والتحول إلى عالمهم الداخلي، وممارسة التأمل الباطني في حياتهم. هذه الصفة هي ما يسميه علماء النفس بالطابع الانبساطي الذي يتم على حساب الطابع الانطوائي...

«والواقع أن عجز الإنسان عن التأمل الروحي الباطني يتضمن إهداراً لإنسانيته لا يقلٍ عن ذلك الذي يتضمنه عجزه عن النشاط العملي. فلكي يكون المرء إنسانا بحق عليه أن يجمع ويوفق بين نوعي السلوك هذين في الظاهر والباطن. وهكذا فإن التأمل والصلاة ليسا بأقل أهمية من النشاط العملي الخارجي من حيث هما عنصر ضروري لا غنى عنه في حياة الإنسان. ولقد كان الغرب يمارس هذاالوجه الباطن من النشاط قبل أن يبدأ المرحلة الحديثة من تاريخه مثلما تمارسه المجتمعات غير الغربية في الوقت الحالي. وعلى ذلك فإني أود أن أقول لغير الغربيين: كونوا عمليين بالمعنى الغربي إذا شئتم، ولكن لا تمضوا في اقتباسكم لهذا الطابع العملي إلى حد التطرف، ولا تأخذوا به إلى الحد الذي يشل قدرتكم الحالية على التأمل، إذ أن أي شخص، لكي يكون آدمياً بالمعنى الكامل، ينبغي أن يكون تأملياً وعملياً في آن واحد. فلن يكتمل اي

= انظر أيضاً كتاب برتراند راسل: آمال جديدة في عالم متغير. ص ١٦٧. وكتاب أ. هـ. جونسون فلسفة وايتهد في الحضارة. ترجمة د. عبد الرحمن ياغي. المكتبة المصرية. صيدا ١٩٦٥. ص ٤٨ ـ ٤٩. وكتاب البرت آنشتين: Comment je vois le monde. éd. Flammarion. Paris, 1959. P. 87

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إنسان إذا قضى على واحد من هذين العنصرين الأساسيين في تـركيب الشخصية الإنسانية»[٧].

ما هو موقف الإسلام من هذه المسألة

إن وجهة نظر الإسلام حول سيادة الإنسان عـلى الأرض وتطوره عليهـا تتفق مع وجهة نظر الحضارة الغربية، لكن الفرق بين النـظريتين يـتركز حـول نوعيـة الـرقي الإنساني ونتـائجه. فـالغرب الحـديث يعتقد بـإمكانيـة التـطور الـروحي للبشرية عن طريق الرقي العملي وتـطور التفكير العلمّي، وهـذا ما ثبت خـطأه بـاعتراف المفكـرين الغربيـين أنفسهم. أما وجهـة النظر **الإسلامية** فتقول بـأن الناحية الروحية صفة كامنة في أعماق الطبيعة البشرية، وهذه الـطبيعة لا تخضـع لعملية تبدل ارتقائي كما يقول الغربيون لأنها ليست كمية عضوية قـابلة للقياس الكمي والكيفي كما هو الشـأن في العناصر المـادية. والخـطأ الرئيسي في النـظرية الغربية هـو اعتبار الـترقي في المعرفـة الماديـة والرفـاهية أسـاساً للترقي الـروحي والأخلاقي للإنسانية وتطبيق مبادىء العلوم الـطبيعية عـلى الحقائق الـروحية[٨]. ومصـدر هذا الخـطأ هو انكـار وجود نفس مفـارقـة للمادة ومنفصلة عنهـا، بينـما الإسـلام يعتبر وجـود النفس حقيقة إلهيـة لا تقبل النقـاش. كما يعتـبر أن الرقي المادي والروحي للإنسانية لا يعارض إحـدهما الآخـر، مع أنهما وجهـان مختلفان للحياة الإنسانية. وفي الوقت الذي يؤكد فيه الإسلام على إمكانية الرقي المـادي للإنسانيـة في مجموعهـا ويحث عليه، نجـده ينكر إمكـانية تـطورها الـروحي عن طـريق الرقي المـادي الجـماعي، ويعتـبر أن العنصر الفعّـال في الـرقي الـروحي مقصور على كل إنسان بمفرده، لأننا لا نستـطيع أن نتقـدم نحو الكـمال الروحي كمجموع، بل على كل فرد أن يكدح بنفسه إلى هدفه الروحي. وفي مقابل هذا التـأكيد عـلى الفرديـه في الحياة الـروحية يؤكـد الإسـلام أيضـاً عـلى اثـر البيئـة الاجتماعية وفضيلة التعـاون بين البشر. فمن واجب البيئـة الاجتماعيـة أن تنظم

---

(٧) راجع محاضرات ارنولد **توينبي المذكورة آنفاً. ص ٤٤.**

(٨) راجع كتاب محمد أسد (وهو كاتب وصحفي نمسـاوي كان اسمـه ليوبـولد فـاليس). **الإسلام** على مفترق الطرق. ترجمة د. عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت طـ ٩. ١٩٧٧ ص ٣٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحياة الخارجية للإنسان على شكل يمكنه من العيش بأقل عدد ممكن من الصعاب، وأكبر قدر ممكن من التشجيع والمساعدة. ولهذا السبب اهتم الشرع الإسلامي بالحياة الإنسانية من ناحيتيها الروحية والمادية وفي جهتيها الفردية والاجتماعية(٩). إن مفهوماً كهذا لا يمكن أن يبنى إلا على أساس اعتقاد ايجابي بوجود النفس الإنسانية وبوجود هدف سام للحياة. وعلى هذا الأساس يكون موقف الإسلام من العلم والتكنولوجيا موقفاً ايجابياً من حيث أنهما يطوران الوسائل المادية التي تؤمن السعادة الأرضية للإنسان، ويكون موقفه سلبياً عندما تخرج هذه التكنولوجيا وذلك العلم عن الرقابة الأخلاقية للمجتمع ويصبحان مصدراً للكوارث والشرور كما هو الشأن في اختراع الأسلحة المدمرة. فالإسلام يكرم العلم ويحث عليه ولا يرتفع المسلم بفضيلة كما يرتفع بفضيلة العلم.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: في سورة المجادلة الآية ١١: ﴿يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾، وفي سورة الزمر الآية ٩: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، وفي سورة طه الآية ١١٤: ﴿وقل رب زدني علماً﴾. وفي سورة فاطر الآية ٢٨: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. أما الأحاديث النبوية في هذا الموضوع فكثيرة، منها: «اطلبوا العلم ولو في الصين». «يوزن مداد العلماء يوم القيامة بدم الشهداء». «من مات مهاجراً في سبيل العلم فقد مات شهيداً»، «فضل العلم خير من فضل العبادة»(١٠).

إلا أن الإسلام، كغيره من الأديان، يدعو إلى العلم على أساس منافعه الخيرة للناس، أما أن يصبح هذا العلم وسيلة لقتل الإنسان وتدمير حضارته واستعباد البشر الآخرين وقهرهم، فهذا ما يرفضه الإسلام رفضاً قاطعاً لأن الإنسان خليفة الله في الأرض وحامل الأمانة الإلهية فيها، استناداً إلى قوله تعالى

---

(٩) المرجع السابق ص ٣٤ ـ راجع أيضا. فيليب حتي. الإسلام منهج حياة. ترجمة د. عمر فروخ دار العلم للملايين ١٩٧٢. ص ٩٥.

(١٠) راجع مقال د. عبد العزيز كامل في مجلة Cultures المجلد الرابع العدد الأول ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في سورة ص آية ٢٦ : ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾. وقوله في سورة البقرة آية ٣٠ : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾. وقوله في سورة الأحزاب آية ٧٢ : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً﴾. والمراد بالأمانة هنا الصفات التي ميز الله بها الإنسان عن غيره من المخلوقات كالعقل وحرية الإرادة فلا يستعملها إلا فيما يرضي خالقه(١١).

٢ ـ النزعة الفردية

لعبت هذه النزعة دوراً هاماً في تطور المجتمعات البشرية، إذ لكل إنسان مواهبه وشخصيته المميزة. والابداع البشري هو دائماً نتيجة لجهد فرد معين. وهذه القدرة الفردية الخلاقة هي رأس المال الوحيد الذي يملكه الإنسان، والمجتمعات التي أعطت الفرد الفرص الضرورية للقيام بعمل منتج هي المجتمعات الأكثر تقدماً وتطوراً. وعندما تقيد هذه الفرص بمطالب سياسية أو عائلية فمعنى ذلك شلل القدرة الإبداعية للأفراد. والإنسان الذي يمتلك مواهب شخصية ممتازة يستطيع استخدام هذه المواهب بطريقة أخلاقية خيّرة كما يستطيع استخدامها للضرر بمصالح الآخرين. وهذا يعني أن النزعة الفردية يمكن أن تؤدي إلى نتائج ضارة بالمجتمع إذا لم توضع تحت السيطرة الأخلاقية. ويبدو أن الغرب قد أطلق العنان لهذه النزعة فكانت نتائجها سلبية على حساب الصالح العام وعلى صعيد العلاقات الإنسانية(١٢).

أما في الإسلام فإن هذه النزعة تخضع بدورها للفلسفة القرآنية القائلة بأن كل أعمال البشر يجب أن تهدف إلى رضوان الله باعتباره مصدر الحق المطلق والخير المطلق والجمال المطلق. فالإسلام لا ينكر الدور الذي تلعبه النزعة الفردية في تطور الحضارات، وهو نفسه لم ينشأ وينتشر إلا بفضل المواهب الفردية الفذة

---

(١١) انظر المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى. دار العلم. القاهرة. ص ٥٦١.
(١٢) راجع محاضرات ارنولد توينبي السابقة ص ٤٢ ـ ٤٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التي كان يتمتع بها الرسول وصحابته ومن جاء بعدهم من المشرعين والعلماء والقادة. لكن الإسلام من ناحية أخرى لا يطلق العنان لهذه النزعة بل يخضعها لمراقبة الهية واجتماعية صارمة: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ التوبة آية ١٠٥. وقوله تعالى في سورة ابراهيم آية ١٨: ﴿مثل الذين كفروا بربهم، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾.

فالسلوك الإنساني في الإسلام خاضع لموازين دقيقة يوزن بها خوفاً من الشطط والتطرف وحفاظاً على العلاقات الخيرة بين الناس: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾، ﴿وكل نفس بما كسبت رهينة﴾، ﴿وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق﴾.

وغني عن البيان أن الفضائل المثلى التي يحض عليها القرآن والرسول هي الفضائل التي ترفع الإنسان إلى الكمال المرتجى والسعادة المنشودة في هذا العالم وفي العالم الآخر. فالصبر والأخوة والصدق والأمانة والعدل والإحسان والمساواة والأمل والحلم والعفو هي من الصفات المثلى التي أوصى الله بهاالناس من أجل بناء مجتمع فاضل لا أنانية فيه ولا استعباد، بل عدل ومساواة واخوة بين الناس: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾. إن مثل هذه الصفات تطهر روح المؤمن وتساعدها على السمو تدريجياً نحو الله.

فالشريعة الإسلامية ليست وقفاً على الشعائر والطقوس، بل تخضع لها الحياة الاجتماعية والشخصية كلها لأنها تهدف إلى ربط كل عمل من أعمال الفرد بواجباته الدينية(١٣). ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦٢).

---

(١٣) راجع كتاب لورافيشيا فاغليري (أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بايطاليا): دفاع عن الإسلام. ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط ٣ ـ ١٩٧٦. ص ٦٥ وما بعدها. انظر أيضاً كتاب
L. Gardet. La citée Musulmane. 2éme ed. Paris 1961 P. 109. وما بعدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣ ـ النزعة العملية

يفخر الغربيون بأنهم قوم نشيطون وعمليون، يخططون وينفذون أمورهم بسرعة وكفاءة. ولا شك بأن هذه الصفات تعد مصدراً من مصادر العمران والرقي في المجتمع البشري، غير أنها قد تتجه أحياناً إلى غايات غير مرغوب فيها أخلاقياً ويكون لها نتائج مضرة بالمجتمع، إذ أنها قد تصرف الإنسان عن ممارسة أوجه نشاطه الروحي كالصلاة والتأمل، وهي نشاطات كانت في الماضي تؤلف جزءاً من حياة المجتمعات الغربية، لكنها اليوم أصبحت شبه معدومة. وأصبحت الحياة والرفاهية والمال والقوة هي معبودات الإنسان الغربي مكان الله فقد تخلى هذا الإنسان عن شخصيته الروحية وفضائله الخلقية التي كان يتصف بها قبل بداية المرحلة الحديثة من تاريخه وأعلن خضوعه لمقتضيات الحياة المادية وقوانينها مما شل قدرته على التأمل الروحي بعد أن أسقط الله من دائرة حياته العملية(١٤).

كانت النزعة العملية إحدى الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وازدهرت، فكان النبي وصحابته والمسلمون الأوائل يسيرون وفق هذه النزعة في الحياة التي كانت مرتبطة دائماً بالعنصر الأخلاقي والروحي. وخير تعبير عن هذا الاتجاه قول علي بن أبي طالب: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». وقوله أيضاً: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، بل خيركم من جمع بينهما». فحياة المسلم يجب أن تقوم على التعاون التام والمطلق بين ذاته الروحية وذاته الجسدية، لأن الحياة وحدة مركبة تضم أعمق المظاهر الخلقية والعملية والشخصية والاجتماعية(١٥). والإسلام عندما يدل اتباعه على طريق الفضيلة من خلال القرآن والسنة لا يترك حاجات

---

(١٤) راجع محاضرة ارنولد توينبي: أسلوب الحياة الغربي في الميزان. في كتاب محاضرات ارنولد توينبي في ج.ع.م. ص ٤٣ ـ ٤٤.
راجع أيضاً كتاب محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق. ص ٣٢ وما بعدها، وكتاب البرت شفيتزر. فلسفة الحضارة ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(١٥) راجع كتاب محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق. ص ٨٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الطبيعة البشرية جانباً، وعندما يقدم إليهم سلوكا أخلاقياً يفزعون إليه في ساعات يأسهم فانه لا يذهب إلى خارج نطاق الواقع ولا يعطيهم مثلاً أعلى في الفضيلة لا يستطيعون احتماله بل يرسم لهم قواعد سليمة في الحياة تثبت عند وضعها موضع التنفيذ إنها قواعد عملية أصيلة(١٦). هذه هي أهم الصفات التي تتميز بها الحياة الغربية المعاصرة كما يراها أرنولد توينبي. ومع أنه لا يشير إلى صفات أخرى مثل الحرية والديموقراطية والعدالة والمساواة وغيرها، فإن مفهوم الغرب لهذه المواضيع يختلف اختلافاً عميقاً بين العقيدتين الرأسمالية والشيوعية اللتين تحكمانه. ومع أن هاتين العقيدتين نبعتا من الغرب نتيجة لتطورات اقتصادية واجتماعية معينة، ومع أنهما يتناقضان معاً في كثير من القضايا إلا أنهما يتفقان في النهاية على أمر هام وهو النظرة المادية للحياة الإنسانية. وهذا ما يتناقض مع مبادىء الأديان السماوية جميعها. إن نظرة الإسلام إلى الإنسان والحياة إذا فهمت فهماً صحيحاً تؤلف ايديولوجية مثالية متكاملة تحاكي الطبيعة الإنسانية في أعمق معانيها المادية والروحية(١٧).

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض الباحثين عند تصديهم لهذا الموضوع تطبيق مصطلحات الحضارة الغربية على المفاهيم والنظم الإسلامية. فالإسلام له نظامه الاجتماعي الخاص المميز الذي يختلف في منطلقاته وأهدافه عن منطلقات وأهداف الايديولوجيات السائدة في الغرب، ولا يمكن أن ندرس ذلك النظام إلا في حدود مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة، وأي خروج على هذا المبدأ يؤدي إلى تشويه موقف الشرع الإسلامي من كثير من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشغل فكر الإنسان المعاصر. فالحضارة الإسلامية حضارة دينية في أساسها، ولا يمكن فهمها فهماً صحيحاً إلا إذا بينا الدور الذي

---

(١٦) انظر ملخصاً لكتاب Noël. J. Coulson (أستاذ الشريعة الإسلامية بمعهد الدراسات الآسيوية والافريقية بجامعة لندن (Conflicts and Tension in Islamic Jurisprudence - وذلك في مجلة المسلم المعاصر. بيروت. العدد ٣ تموز ١٩٧٥ ص ١٧٥.

(١٧) انظر كتاب أحمد عروة. الإسلام في مفترق الطرق. ترجمة د. عثمان أمين. دار الشروق بيروت ١٩٧٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقوم به الدين في الحياة الإنسانية[١٨]. وهذا لا يدخل في نطاق هذه الدراسة.

لقد وضع القرآن ـ كما يعتقد المسلمون ـ الخطوط العريضة لحياة إنسانية سعيدة لكنه لم يفرغها في قوالب قانونية دقيقة، تاركاً لحكمة اتباعه في كثير من الأحوال حرية الانسجام مع المؤسسات التي تلائم العصر والبلد اللذين يعيشون فيهما[١٩]. فهو يمس حياة الناس في الكليات أي في الثوابت وليس في الجزئيات أي في المتغيرات، إنه يهتم ببيان ما هو صواب وما هو خطأ، وما هو خير وما هو شر.

كان من الطبيعي في كتاب يمجد الإنسان ويجعله خليفة الله على الأرض ويعلن أن الكون كله مسخر له، أن يعطي لهذا الإنسان فرصة واسعة للاختيار ولتكييف واقعه تبعاً لاحتياجاته ولما يستجد في حياته الدائمة الحركة والتطور. وقد تنبه المعتزلة وأكثر الفقهاء إلى هذه القضية عندما قالوا أن أحكام الشرع معللة بمصالح العباد، كما أن الامام الشاطبي أشار إلى ذلك في كتابه «الموافقات» عندما قال: «إن الشرائع تابعة للمصالح». وكانت المدارس الفقهية الإسلامية صورة حية لهذه القاعدة[٢٠].

إن مستقبل الإسلام والدعوة الوهابية الآن متوقف على كيفية تطبيق هذه القاعدة الدقيقة على الحياة المعاصرة من قبل فقهاء مسلمين متنورين ومنفتحين على مشكلات هذا العصر وقضاياه، فقهاء يقرأون الإسلام بعقول وقلوب وعيون مفتوحة بعيدة عن الجمود والتحجر وعصور الانحطاط. إن ثورة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إنما كانت في حقيقتها ثورة في هذا الاتجاه[٢١].

إن صراع الإنسان الطويل من أجل التقدم إنما يهدف إلى تحقيق تلك المثل

---

(١٨) انظر كتاب محمد أسد: منهاج الحكم في الإسلام. ترجمة منصور محمد ماضي. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٨ ـ ط ٥ ص ٥٢ وما بعدها.

(١٩) انظر كتاب لورافيشيا فاغليري. دفاع عن الإسلام ص ٩٦.

(٢٠) راجع ملحق كتاب Coulson السالف الذكر. في مجلة العالم الإسلامي العدد ٣. ص ١٤٢ و١٦٢.

(٢١) راجع مقال علي مراد في مجلة Cultures المجلد الرابع العدد الأولى ص ١١٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التي تكلم عنها القرآن وألح عليها كقواعد للسلوك البشري، وعندما يبطل اعتبار هذه المثل من أساسيات التفكير البشري والحياة الإنسانية يصبح الإسلام، تراثاً من الماضي وعبئاً ثقيلاً على اتباعه. ويحوي القرآن صورة رائعة عن ذلك الحوار الأزلي بين الله والإنسان، والإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان والكون، وهو بذلك يربط الإنسان مع الله والكون برباط روحي وثيق يجعل لوجوده معنى تحت الاشراف الإلهي: ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون ١١٥)، ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (القيامة ٣٦). فالإنسان في المفهوم القرآني ليس مخلوقاً مادياً تطور عبر ملايين السنين من تركيب مادي خاص إلى ما هو عليه اليوم، وإنما هو مخلوق إلهي وجد لغاية وينتهي إلى غاية. ولهذا السبب تتشابك في الإسلام وتتداخل خيوط الوحي الإلهي مع العقل البشري بصورة لا تقبل الانفصال[٢٢]. إن الغاية الأساسية للإسلام هي تحقيق اقتران ناجح بين المادة والروح لقيام مدنيّة قوامها القوة والرحمة: القوة المادية تحت اشراف قلب رحيم، لتفوم بذلك دولة الإنسان الكامل[٢٣].

---

(٢٢) مجلة المسلم المعاصر. ملخص كتاب نويل كولسدن العدد ٣ ص ١٤٣.

(٢٣) انظر مصطفى محمود: رحلتي من الشك إلى الإيمان ـ دار العودة بيروت ص ١١٦ بدون تاريخ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل السادس عشر

آراء بعض المفكرين العرب والمسلمين والأجانب بالدعوة

لا يمكن لأي مؤرخ أن يتطرق إلى موضوع نهضة العرب والمسلمين في العصور الحديثة دون أن تكون الدعوة الوهابية أحد مواضيعه الرئيسية. كما أنه لا يمكن كتابة تاريخ الجزيرة العربية في القرنين الماضيين، ونشوء المملكة العربية السعودية، دون أن يكون الوهابيون العامل الرئيسي في هذا التاريخ. ذلك أن هذه الدعوة كان لها أبعادها السياسية والدينية والفكرية العميقة في يقظة العالم الإسلامي الحديث بجميع جوانبها. وبالرغم من أن تعاليمها بقيت مجهولة لدى قطاعات كبيرة من المسلمين، بسبب الاتهامات الباطلة التي وجهت إليها، ومحاولات التشويه الكثيرة التي تعرضت لها، فإنها أقنعت جميع الذين قرؤوها بعقول منفتحة وقلوب صافية، بأنها تمثل حركة تحرير نشطة للعقيدة الإسلامية مما تسلط وتراكم عليها من الخرافات والأوهام والوثنيات عبر مئات السنين، وما ترتب على ذلك من قحط ثقافي وحضاري مفجع ما زال المجتمع الإسلامي يعاني منه حتى الآن.

وسنعرض في الصفحات التالية باقة من آراء بعض المفكرين العرب والأجانب الذين تناولوا الدعوة بالبحث الرصين والنقد الحر المتزن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رأي الإمام محمد عبده

كان الشيخ الإمام محمد عبده يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويلقبه «بالمصلح العظيم» ويلقي تبعة تعثر دعوته الاصلاحية على الحملة التي قادها الأتراك ومحمد علي ضدها في محاولة لتحطيمها قبل أن يستفحل خطرها على الدولة العثمانية التي كانت تعتبر نفسها ممثلة للمسلمين ومركزاً للخلافة.

وقد ردد الإمام محمد عبده هذا الرأي في محاضراته بالأزهر، وسجله تلميذه الشيخ حافظ وهبة في كتابه «خمسون عاماً في جزيرة العرب»[1].

رأي الدكتور طه حسين

تناول الدكتور طه حسين الدعوة الوهابية في بحث نشره عام ١٣٥٤ هـ بعنوان «الحياة الأدبية في جزيرة العرب». وهذا بعض ما جاء فيه:

«ولا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادي فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها، وأحدثت فيها أثاراً خطيرة هان شأنها بعض الشيء، ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام، وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالأمم الأوروبية.

هذه الحركة، هي الحركة الوهابية التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد. نشأ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم وفقه وقضاء. وتثقف على أبيه ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً، فسخط عليه الناس وأخرج من البصرة وكان يريد أن يذهب إلى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد إلى نجد، وأقام مع أبيه حيناً يناظر ويدعو إلى آرائه. حتى ظهر أمره، وانتشر مذهبه، وانقسم الناس فيه قسمين، فكان له أنصار وكان له خصوم وتعرضت حياته آخر الأمر للخطر فأخذ يعرض نفسه على الأمراء رؤساء العشائر ليجيروه ويحموا دعوته، حتى

---

(١) أمين السعيد. سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ص ١٩٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

انتهى به الأمر إلى الدرعية وهناك عرض نفسه على أميرها محمد بن سعود فأجاره وبايعه على المعونة والنصرة ومن ذلك اليوم أصبح المذهب الجديد مذهباً رسمياً يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره في أقطار نجد بالدعوة اللينة حيناً وبالسيف والحرب في أكثر الأحيان.

وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها، واشتد خطرها، حتى أشفق منها الترك أشد الاشفاق فقاوموها ما وسعتهم المقاومة فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان أمرهم إذ ذلك إلى محمد علي باشا فنجح المصريون في اضعاف هذه الحركة وإزالة هذه الدولة الجديدة ورد أمرائها إلى ما كانوا عليه من قبل ذلك الوضع، فلا بد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره في الحياة العقلية العربية في العصر الحديث.

قلت إن هذا المذهب جديد وقديم معاً والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام، وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب. فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة. كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الأشجار والأحجار ويرون أن لها من القوة ما ينفع ويضر، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهليين فعاشوا من الغزو والحرب، ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسماً لا معنى له، فأراد محمد ابن عبد الوهاب أن يجعل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوماً مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبي بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً».

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز، فقد دعا إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس ثم أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر ثم أخذ يعرض نفسه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على الأمراء ورؤساء العشائر كما عرض النبي نفسه على القبائل ثم هاجر إلى الدرعية وبايعه أهلها على النصر كما هاجر النبي إلى المدينة ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا فترك السياسة وأصحابها أداة لدعوته فلما تم له هذا دعا الناس إلى مذهبه فمن أجاب منهم نجا ومن امتنع أجرى عليه السيف وشن عليه الحرب. وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له الطاعة وضحوا بحياتهم في سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبي وهاجروا معه.

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول.

ولكن الذي يعنينا من أمر هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب. وقد كان هذا الأثر عظيماً وخطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبته وجاهدت في سبيله بالسيف والقلم واللسان، وهو قد لفت المسلمين جميعا، وأهل العراق والشام بنوع خاص، إلى جزيرة العرب.

رأي الدكتور منير العجلاني

يعتبر كتاب الدكتور منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» الجزء الأول، من الكتب التي تعرفنا بحقيقة الدعوة الوهابية وحياة مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهذا الكتاب حصيلة قراءات في لغات متعددة، ورحلات كثيرة إلى دور الكتب والثقافة في العواصم الأوروبية والعربية، وهذا بعض ما جاء فيه:

«وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عودة إلى الإسلام في أول أمره ومطلع فجره. ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم. ذلك أن من دعا إلى الإسلام الأول، فإنما يدعو إلى الإسلام كما كان يرى في المدينة في عهد الرسول ﷺ. ثم في عهود الخلفاء الراشدين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كان المسلمون يومئذ يقرأون القرآن، لا دلائل الخيرات ونحوها. . .

وكانوا يروون الأحاديث، لا قصص الطواغيت والخرافات. . .

وكانوا يقولون: «لا إله إلا الله» بقلوبهم لا على أطراف ألسنتهم. وكانوا يفهمون معناها ويعملون بمقتضاها، فما كانوا يعبدون إلا الله وحده. . . لا يشركون معه الصالحين ولا الشياطين وما كانوا يقيمون المباني والقباب على أضرحة الأولياء، ليدعموا أصحابها وينذروا لهم ويستشفعوا بهم كأنهم، وهم رمم بالية، قادرون على جلبِ الخير ورفع الضر.

كان المسلمون يصلون ويزكون ويحجون ويصومون، وكانوا يجاهدون، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. . .

وكان الأئمة في بلاد الإسلام يسوسون الناس بالشرع ويأمرونهم بأوامر الشرع وينهونهم عن نواهي الشرع.

ثم غابت هذه الصورة الكريمة للإسلام الأول، وحلت محلها صورة شوهاء تعاون على صنعها الجهل والفساد، فعاد الناس إلى ما يشبه «الجاهلية» التي سبقت الإسلام. . .

وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير: تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الإسلام وأوامره، وتطهير للإسلام مما أدخلوه عليه من الشركيات والبدع. ولم تكن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة «فيلسوف» معتزل في غرفته، ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح، يكافح دون عقيدته، ويعمل لها بلسانه ويده وبكل قلبه، وبكل عقله وبكل جهده.

إن دعوة محمد بن عبد الوهاب ليست «نظرية» أو كتاباً ألفه ليقرأه الناس، ولكنها منهاج رسمه، وقام وراءه يدعو إلى العمل به، بالموعظة أولا، ثم بالقوة. . . قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده.

فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً، وبالمعنى الذي يفهمه الأوروبيون اليوم، لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وخالقه، لا يحمل الناس على اتباعه بالقوة، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين القانون، ويقولون أن الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم، ولكنها لا تلزمهم بالشرع، بل قد يخالف قانونها الشرع . . .

إن الإسلام وحدة دين ودنيا، ودعوة الشيخ، لذلك، دعوة جامعة للأمور الدينية والسياسية.

وخلاصة القول:

إن الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد، وكافحت الشرك والبدع، واستأنفت الجهاد وأنشأت دولة إسلامية على أساس الشرع وحده.

ونحن بعد هذا نتفق مع القائلين بأن منهاج الحكومة الوهابية، كان مستمداً، في كثير من أموره، من أفكار ابن تيمية في «السياسية الشرعية» وغيرها من كتبه ومن أفكار تلامذته، وخصوصاً ابن القيم[٢].

رأي البروفسور البرت حوراني

يقول ألبرت حوراني في كتابه الفكر العربي في عصر النهضة:

. . . وفي قلب الجزيرة العربية نشأت حركة اصلاحية استلهمت تفكيرها من المذهب الحنبلي فأعلن صاحبها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٨٧) أن الإسلام ليس مجرد أقوال أو ترديد لأقوال. فلن يكفينا يوم الحساب أن نتوسل بالقول: سمعت الناس يقولون بهذا فقلت، بل علينا أن نعرف ما الإسلام الحقيقي. إنه قبل كل شيء رفض جميع الآلهة إلاّ الله، ورفض إشراك سواه في التعبد الذي لا يجوز إلاّ له. فالشرك شر مهما كان موضوعه، أكان ملكاً أم نبياً أو ولياً أم شجرة أم قبراً. والتعبد للأتقياء شر كعبادة الأوثان. ولا يقتصر الشرك على الأقوال والأفكار، بل يشمل أيضاً جميع الأعمال المنطوية عليه ضمناً: فاتيان أعمال هذه الدنيا نوع من الشرك. هذا الإسلام الحقيقي كان في نظر ابن عبد الوهاب دين الجيل الأول دين السلف الصالح، فهو باسم هذا

---

(٢) راجع الصفحة ٢٤٠ ـ ٢٤٢ من الكتاب المذكور.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السلف يعترض على تلك البدع اللاحقة التي أدخلت في الإسلام آلهة جديدة: تطور الفكر الصوفي الأخير وعقيدته في وحدة الوجود، وإعراضه الزهدي عن خيرات هذه الدنيا وانتظامه في الطرق، وطقوسه الغريبة عما رسمه القرآن. وهو يعترض على الغلو في اكرام محمد على أنه إنسان كامل، وشفيع بين الناس والله (مع أنه يحيطه بالإجلال العظيم كنبي) وعلى التعبد للأولياء وتكريم قبورهم، وعلى انبعاث تقاليد الجاهلية وعاداتها في الإسلام.

طبعاً لم تكن تعاليم ابن عبد الوهاب جديدة. فقد تأثر بابن تيمية، عن طريق عائلته التي كان أعضاؤها من علماء الحنابلة، بفضل دروسه في المدينة وغيرها. إلا أنه فسّر الإسلام تفسيراً لم يكن لمعلمه عهد به، إذ لم تقتصر تعاليمه في ظروف زمانه على الدعوة إلى التوبة بل غدت تحدياً للقوى الاجتماعية السائدة: تحدياً من جهة للقوة المتجددة لدى القبائل العربية التي كانت لا تزال تعيش على جهل بالدين والشريعة، وتحدياً من جهة أخرى للسلطنة العثمانية التي كانت تدعم السنة الإسلامية، لا كما يفهمها السلف، بل كما كانت قد تطورت إليه خلال العصور. إن حقيقة ما كان يقوله ابن عبد الوهاب هو أن ذلك الإسلام الذي كان السلطان يحميه ليس بالإسلام الحقيقي، وهذا يعني ضمناً أن السلطان ليس الإمام الحقيقي للأمة. وقد تجسدت حركته هذه، كمثيلاتها في الإسلام، في دولة، وغدا تحدّيه للعقيدة تحدياً للسلطة أيضاً. فقد تحالف مع أسرة حاكمة صغيرة في أواسط الجزيرة، أي أسرة ابن سعود، على إقامة دولة يمكن للمسلمين أن يحيوا فيها الحياة الصالحة وفقاً للشريعة كما يفهمانها. في هذه الدولة كانت الشريعة تطبق. بكل تفاصيلها، ولم يكن لأي قوانين أو عادات أخرى أي مفعول. وكانت السلطة في يد الإمام، وهو الزعيم المدني وإمام الصلاة يمارسها بمشورة العلماء والجماعة. وكانت الدولة أيضاً، بحكم الجغرافيا من جهة وبتشديدها على العودة إلى عهد الإسلام الأول من جهة أخرى، عربية في روحها. فقد قال أحد الأئمة الوهابيين بفخر في معرض حديثه عن الإمامة، إنه إذا كان نوالها بالاختيار فالعرب أحق بها من الأتراك.

غير أن هذه الدولة كانت تدعو لا إلى تضامن عربي بل إلى تضامن اسلامي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتذهب جوهرياً إلى أنها الدولة الإسلامية الوحيدة التي يمكن للجميع الانتماء إليها.

كان في هذا تحد ضمني لسلطة العثمانيين السياسية، بل تحد خطير لأن سياستها في الجزيرة كانت ترمي إلى إحلال الشريعة محل عادات الجاهلية، وروح التضامن الإسلامي محل العصبية القبلية، ومن ثم توجيه قوى البدو الحربية نحو جهاد دائم. وفي أواخر القرن الثامن عشر كان الوهابيون قد سيطروا على أواسط الجزيرة والخليج الفارسي، ثم ما لبثوا أن دمروا كربلاء في أطراف العراق واحتلوا الحجاز وأخذوا يهددون دمشق». . .

رأي أحمد شلبي

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه «**المجتمع الإسلامي**» ص **٢٣٧**.

«وفي عهد الثقافة الضحلة الهزيلة التي عاشها المسلمون قروناً طويلة نبتت البدع والخرافات كما نبتت ما يمكن أن نسميه عبادة الأولياء. هنا مثلاً الطرق الصوفية التي انحدر بعضها إلى هوة سحيقة، وهنا شجرة مقدسة يلجأ لها الناس معتقدين أن المريض يجد عندها الصحة، والعانس تجد عندها الزوج، والعاطل يجد عندها العمل، وهنا حجر يتلمس عنه البركة ويترقبون منه فيضاً من الخير والأمل.

على أن كبرى هذه البدع هي ما سميناه عبادة الأولياء، وقد أولت الثورة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية هذا الموضوع عناية كاملة فراح الشيخ يهدم القبور، ويدفع الناس إلى عبادة الله وحده». . .

رأى الشاعر محمد اقبال

يعتبر الشاعر الباكستاني محمد اقبال من الشخصيات المرموقة في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر. درس الإسلام دراسة علمية وكانت له يد طولى في تأسيس دولة باكستان. من أهم مؤلفاته المترجمة للعربية كتاب «تجديد التفكير الديني في الإسلام»، الذي تعرض فيه لبعض القضايا المهمة في مفاهيم الإسلام، فحللها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تحليلاً فلسفياً على ضوء دراساته الشخصية للفلسفات الغربية. وقد تناول في أحد فصول هذا الكتاب الحركات الدينية الإسلامية الحديثة فكان من الطبيعي أن تكون الدعوة الوهابية في طليعة هذه الحركات التي قال عنها:

«. . . ولكن تعاليم ابن تيمية لقيت خير تعبير عنها في حركة مفعمة باحتمالات كثيرة قامت خلال القرن الثامن عشر الميلادي على رمال نجد التي وصفها ماكدونالد بأنها «أطهر بقعة في عالم الإسلام الذي دب إليها الانحلال». وهذه الحركة هي في الحق أول نبضات الحياة في الإسلام الحديث، وقد كانت هذه الحركة مصدر الإلهام بصفة مباشرة أو غير مباشرة لمعظم الحركات الكبرى الحديثة بين مسلمي آسيا وافريقية كالحركة السنوسية، وحركة الجامعة الإسلامية، والحركة البابية التي ليست سوى صدى فارسي للاصلاح الديني العربي. ولد محمد بن عبد الوهاب المصلح المتطهر العظيم في سنة ١٧٠٠ م، وتلقى العلم في المدينة، ثم رحل إلى ربوع فارس ونجح آخر الأمر في اشاعة الروح التي تأججت في نفسه الحائرة ونشرها في العالم الإسلامي كله. وكانت روحه شبيهة بروح أحد تلاميذ الغزالي وهو محمد بن تومرت المصلح الديني المغربي الذي ظهر ابان انحلال الاندلس الإسلامية فبعث فيها روحا جديدة[٣]. وليس يعنينا هنا من الحركة الوهابية ناحيتها السياسية التي قضت عليها جيوش محمد علي باشا. ولكن الشيء الجوهري الذي يلاحظ فيها هو روح التحرر الظاهرة، وإن كانت هذه الحركة في ذاتها محافظة أيضاً تتمسك بالقديم على طريقتها الخاصة. فبينما تتمرد على قصر حق الاجتهاد على أصحاب المذاهب، وتصر في قوة على القول بحق الاجتهاد، فإن نظرها إلى الماضي خلا من النقد والتمحيص خلواً تاماً، وفي أمور التشريع تعتمد في الجملة على السنة النبوية»[٤].

---

(٣) ابن تومرت مصلح ديني مراكشي مشهور يعرف بمهدي الموحدين. تأثر في آرائه بابن حزم ثم رحل إلى المشرق وتشبع بأفكار الغزالي، فلما عاد إلى المغرب بدأ دعوته الاصلاحية، وألف بحوثاً مختلفة باللسان البربري منها: رسالة التوحيد. وزعم أنه المهدي، واصطنع نسباً ينتهي به إلى علي بن أبي طالب. وتوفي حوالى سنة ٥٢٣ هـ.

(٤) راجع كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام ص ١٧٥ - ١٧٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رأي المؤرخ التركي جودت باشا

يعتبر المؤرخ التركي جودت باشا من ألد أعداء الدعوة الوهابية. كان من كبار الموظفين الأتراك وله اطلاعات واسعة على تاريخ نجد والدعوة الوهابية. لكن كتاباته عن الدعوة اتسمت بالتحيز إلى عصبيته التركية ضدها. وهذا بعض ما قاله عنها:

«أساس العقيدة الوهابية التوجه إلى الله مباشرة، فلا يجوز التوسل إليه بأحد غيره، ولا دعاء أحد، ولا الاستغاثة بأحد، والنذر للأولياء وطلب الشفاعة منهم هما عند مؤسس الوهابية من الشرَك.

وبما أن الناس كلهم كانوا يفعلون ذلك، فهم في نظره مشركون كلهم.

كان أهل نجد، منذ ستمائة سنة، في جهل وضلال لا يعرفون من الإسلام سوى اسمه، ولما دعاهم الشيخ محمد إلى مذهبه قبلوه، لأنهم لم يكن لهم دين يتمسكون به، ولم يعرفوا أن مذهبه يخالف المذهب الحنبلي الذي ينتسبون إليه شكلاً. ومما رغبهم في المذهب الجديد أن صاحبه أحل لهم دم المسلمين ومالهم، وكانوا قوماً يتعشقون الغزو والسلب، فخرجوا يريدون، في الظاهر، إحياء دين الله، وهم يريدون، في الحقيقة، عرض الحياة الدنيا.

أخذ الشيخ مذهبه عن ابن تيمية، وابن القيم، وكان هذان الشيخان من غلاة الحنابلة، وقد أسرفا في الانكار على الناس حتى اضطرت الدولة إلى حبسهما.

ومما قاله ابن تيمية في تبرير تشدده في مسألة البناء على القبور والنذور لها وطلب الشفاعة من أصحابها، إن الأنبياء والأولياء لم يعبدهم أحد في حياتهم، ولكنهم عبدوهم بعد موتهم بسبب هذه القبور التي يعكف عليها أتباعهم. ولذلك وجب على المؤمنين إزالتها، حتى لا تكون وسيلة إلى الشرك.

كان ابن تيمية يقول: خير لمن ينذر الطعام للقبور، أن يتصدق به على الفقراء، وخير لمن يرسل قنديلا إلى الروضة أن يوزع ثمنه على الفقراء الذين يعيشون في جوار الروضة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وخلاصة القول إن ابن تيمية ابتعد بآرائه الشاذة عن جمهور المسلمين(٥).

آراء بعض الأجانب بالدعوة

لم تكن البلاد العربية خلال القرنين الماضيين بعيدة عن اهتمامات الأوروبيين وتطلعاتهم. فمنذ الحروب الصليبية وهذا الاهتمام في مد وجزر، إلى أن جاء الغزو النابوليوني لمصر فأحدث تحولات عميقة في علاقات هذه الأقطار بالغرب، ونتج عن ذلك تفتح شهية الغربيين على تراث العرب والمسلمين وكنوزهم المادية والثقافية والروحية.

ومنذ ذلك الوقت بدأت الدراسات الجادة للتراث الإسلامي في نواحيه المختلفة، ونشأت حركة الاستشراق التي عرفت الغربيين على وجه من وجوه هذا الشرق، أي الإسلام، وما تفرع عنه من تيارات في جميع نواحي الفكر والحياة...

كان المستشرقون ينتمون إلى أقطار أوروبية متعددة، يجمعهم العمل على دراسة هذا الإسلام، كل في مجال اختصاصه. وقد انصب اهتمامهم في بادىء الأمر على كتب السير والتاريخ، ثم أخذوا يدرسون القرآن ومعانيه والفقه وأصوله، والتصوف ومدارسه، والفلسفة ورجالها، والعلوم وأفذاذها، ثم التيارات الفكرية المختلفة للفرق والمذاهب الإسلامية، فتكون نتيجة لذلك مجموعات من الدراسات التحليلية الرصينة التي ألقت أضواء كاشفة على نواح مجهولة كثيرة من التراث الإسلامي الخصب... ولكننا لا نستطيع القول بأن جميع هذه الدراسات كانت في مستوى رفيع ومحايد، بل كان منها أبحاث كتبها أصحابها بدافع الحقد على الإسلام وتشويه تعاليمه. أما الذين كتبوا منهم عن الدعوة الوهابية فإن غالبيتهم كانوا أقرب إلى فهم حقيقة هذه الدعوة وانصافها أكثر من بعض المسلمين والعرب الذين ناصبوها العداء عن جهل وتعصب وانغلاق فكري معيب.

---

(٥) راجع كتاب منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١ ص ٣٢١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وستبين لنا الصفحات التالية مجموعة من أقوال بعض هؤلاء الأجانب الذين كتبوا عن الدعوة الوهابية وأهدافها.

أول بحث نشر في أوروبا عن الوهابية

يعتبر الرحالة والمستشرق الدانمركي المعروف كارستل نيبوهر أول من تحدث في الغرب عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والحركة الوهابية، وذلك في كتابه «وصف جزيرة العرب»، الذي وضعه بعد زيارته لليمن وسواحل الخليج العربي، والعراق والشام في القرن الثامن عشر. وكان من أحد أهدافه زيارة الدرعية ولقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب لكن أمنيته لم تتحقق لأنه لم يستطع الوصول إلى تلك المدينة في قلب نجد. فأخذ يتحرى أخبار الحركة الوهابية في البصرة، حتى تكونت لديه عنها أفكار لا تبعد كثيراً عن الحقيقة، وفيها أنصاف للدعوة وصاحبها.

وقد ترجم الدكتور منير العجلاني، في كتاب: تاريخ البلاد العربية السعودية ج ١، جميع الفقرات التي تناول فيها نيبوهر الحركة الوهابية نقتطف منها ما يلي:

كان سكان المدن والقرى في نجد، كلهم سنيين من أتباع ابن حنبل باستثناء عدد يسير من النصارى واليهود والشيعة، في هجر.

ومنذ بضع سنوات، نشأت في العارض فرقة جديدة، بل ديانة جديدة، ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم. ومؤسس هذه الديانة هو «عبد الوهاب» الذي ولد في نجد، ودرس في شبابه علوم العرب في موطنه، ثم عاش بعد ذلك سنوات في البصرة، وقام برحلة إلى بغداد والعجم.

ولما عاد إلى نجد، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة، وقد حالفه شيء من التوفيق، إذ استطاع أن يستميل إليه عددا من شيوخ العارض. أما الجمهور فمن عادتهم أن يتبعوا الرؤساء، ولذلك أصبحوا من أتباع هذا الفقيه الجديد، تقليداً لرؤسائهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كان شيوخ العارض المستقلون في قتال دائم، فلما اعتنقوا الدين، أصبحوا بفضل عبد الوهاب أصدقاء واخواناً، وتعاهدوا على طلب المشورة من زعيمهم الديني الجديد قبل الاقدام على أي عمل ذي بال، كما تعاهدوا على الالتزام بأوامره.

لم تسعفني الفرصة في الاتصال مباشرة باتباع عبد الوهاب، فلا أستطيع أن أقول شيئاً موثوقاً في موضوع عقائدهم.

أما السنيون الآخرون فكانوا خصومهم. ولذلك يحاولون عرض ديانتهم عرضاً مشوهاً إما ليبغّضوا بها، وإما ليحملوا الأجانب على الاعتقاد بأن الفرق بين الديانة الجديدة وبين الديانة القديمة غير كبير من حيث الأسس.

ومن هؤلاء الذين لا يرون فرقاً بين الديانتين: رجل من أدباء البصرة، كان يؤكد لي أن أتباع عبد الوهاب يصلون كما يصلي سائر المحمديين، وأن محمداً عندهم هو النبي، وأن الفرق بينهم وبين السنيين هو أنهم لا يريدون الاعتراف بأولياء السنيين...

ويمكننا أن نستنتج من هذه الأقوال أن عبد الوهاب إنما علم الناس عقيدة السنيين الصافية، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله.

وقال لي شيخ مكاري يؤجر جماله، زار أهم بلدان نجد، بل رأى الجزيرة العربية كلها، وزعم لي أنه يعرف الديانة: إن عبد الوهاب علم أتباعه أن الله وحده هو الذي يجب أن يدعى ويعبد كخالق ومدبر للكون، ومنعهم أن يشركوا في الدعاء اسم محمد أو أي نبي ولي، أو اسم عبد الوهاب نفسه، لأن ذلك من الوثنية.

وأضاف محدثي: إن عبد الوهاب يرى أن محمداً والمسيح وموسى وسائر الأنبياء هم رجال عظماء وجديرون بكل اجلال، ولكنه لا يعتقد بوجود كتاب، كتب بوحي من السماء، أو أنزل بواسطة جبرائيل. (يعني أن الشيخ محمد عبد الوهاب لم يقل بأن الله أنزل عليه كتاباً أو وحياً).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لا أعلم إن كنت أستطيع الوثوق بكلام هذا البدوي، لأن البدو يقولون عن أنفسهم أنهم محمديون، ولكنهم لا يعرفون محمداً ولا يفهمون القرآن[٦].

أول كتاب أوروبي عن الوهابية

في سنة ١٨١٠ نشر في باريس كتاب عنوانه «تاريخ الوهابيين» للكاتب الفرنسي أوليفييه ده كورانسيز الذي كان عضواً في البعثة العلمية التي صحبها معه نابليون إلى مصر، ثم عين قنصلاً لفرنسا في حلب، وهناك جمع معلومات عن الحركة الوهابية طيلة ثمانية أعوام.

قيمة هذا الكتاب أنه أول مؤلف وضع في أوروبا عن الحركة الوهابية، وقد أحدث عند ظهوره ضجة في الأوساط المتتبعة لأحداث المشرق العربي عامة، والجزيرة العربية بصورة خاصة. وأصبح فيما بعد أحد المراجع الهامة عن تلك الحركة، فأخذ عنه المؤرخون والكتاب والمجلات والصحف.

وسنعرض فيما يلي بعض المقتطفات من المقدمة كما ترجمها الدكتور العجلاني في كتابه عن تاريخ البلاد العربية السعودية.

قال كورانسيز في مقدمة كتابه:

«إن اسم الوهابيين اليوم جد معروف في أوروبا، والناس حراص على معرفة أحوالهم، ومن هنا قيمة كتابنا وخطره.

إن هؤلاء العرب مدعوون إلى القيام بدور عظيم في التاريخ، فإذا حققوا هذا الأمل، فمن الخير أن يعرفهم الناس منذ اليوم، لأن عناصر العظمة، لكل شعب، إنما تلتمس في أول أمره، ومطلع فجره...

أما إذا بقي الوهابيون منطوين على أنفسهم في جزيرة العرب وهم اليوم سادتها فقد فعلوا أشياء جليلة جداً تستوجب تخليد ذكرهم!

لقد أقمنا في حلب ثمانية أعوام، أنفقنا خلالها خير جهدنا وأحسن وقتنا في

---

(٦) المرجع السابق ص ٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جمع «المعلومات الصحيحة» عن نشوء السلطة الوهابية، وتطورها، وحالتها الحاضرة، ولعل صعوبة عملنا أفضل عذر نقدمه بين أيدي القراء عما يجدونه في كتابنا من نقص أو خطأ.

لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الوهابيين في أوائل هذا العصر، إلا القليل الذي كتبه «نيبهر» عنهم ثم جاء استيلاؤهم على مكة، يثير اهتمام الدنيا كلها بأمرهم.

ليس من غايتنا أن نتلمس مصدر الوهابية في حركات سبقتها، فقد قيل مثلاً أنهم ورثة القرامطة الذين كانوا يسيطرون على البحرين، وأقدموا على سرقة الحجر الأسود في الكعبة، وقد يكون صحيحاً أن الدروز والنصيرية والمتاولة والاسماعيلية تأثروا بالقرامطة، ولكن نسبة الوهابيين إليهم غير صحيحة اطلاقاً، لأن القرامطة شوهوا دين الإسلام، وأما الوهابيون فقد نقوا الإسلام مما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه، . فهم والقرامطة ضدان.

لم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة، ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم، ضمانة كبيرة لبقائهم وعظمتهم.

التمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب، خارج نجد، أميراً أو باشا يحمي دعوته فلم يجد ضالته لا في دمشق، ولا في بغداد، ولا في البصرة، فعاد إلى نجد، وهنا تحقق حلمه، فقام محمد بن سعود بحمايته ونصرة دعوته.

كان المسلمون يومئذ يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات بحيث لو عاد محمد إلى الدنيا، لظن أن الإسلام زال منها، ولرأى شيئاً عجباً... فالصلاة نفسها صارت لها طقوس جديدة... وعلى القبور تقام القباب والمباني، ويزعم أن لأصحابها كرامات أو معجزات وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة ومجانين يتنقلون في البلاد بحرية ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم، لأنهم فيما يزعمون، من أصحاب «السر» أو أهل الحظوة... وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته؟...

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أعاد محمد بن عبد الوهاب ـ وهو من «مضر» عشيرة النبي محمد ـ الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها.

ومما يساعد الوهابية على كسب الأنصار أن الناس مولعون دائماً بالجديد محبون للتغيير. حرّمت الوهابية كثيراً من متع الحياة ومباهجها، فأغضبت بذلك فريقاً من الأغنياء، ولكنها أرضت الفقراء، لأنها قربت المسافات بينهم وبين الأغنياء، الذين ما عادوا يستطيعون تبذير ثرواتهم على الخمور والفجور، وغير ذلك من مظاهر الترف التي كانت تثير أعصاب الفقراء؟

وكان مقدراً للوهابية أن تتوسع كثيراً، ولكن تشدد بعض رؤسائها في تطبيق أفكارهم حال دون ذلك(٧).

رأي برنارد لويس

يقول البروفسور برنارد لويس، رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الافريقية والشرقية بجامعة لندن ـ في كتابه «الغرب والشرق الأوسط».

«فمحمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ـ ١٧٨٧) مؤسس الحركة الوهابية الدينية، نجدي، درس في المدينة في نفس الوقت الذي كان فيه شاه ولي الله»(٨). ثم ذهب إلى البصرة وعاد بعدها إلى نجد. وفي سنة ١٧٤٤ قام بمساعدة الأمراء المحليين من آل سعود بحملة جهاد إسلامية تجديدية لتنقية الإسلام مما علق به من بدع، وكانت غايته العودة إلى الإسلام الصافي الذي كان في أول الدعوة الإسلامية، وذلك لتنقيته من الزوائد والتحريف وخصوصاً (عبادة) الأولياء والأضرحة وغيرها من البدع التي أدخلها الصوفيون على الإسلام. لقد شمل هجومه المدارس السنية التي أصابتها عدوى وهرطقة هذه البدع والأضاليل، ولقد حمل الأمراء السعوديون فكرة محمد بن عبد الوهاب وتحمسوا لها ونذروا أنفسهم للعمل على نشرها بقوة السلاح، وبعد أن أحتلوا

---

(٧) نفس المصدر ص ٣٠٣ وما بعدها.
(٨) ترجمة إلى العربية نبيل صبحي راجع ص ١٥٢ ـ ١٥٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قسماً كبيراً من أواسط وشرق شبه جزيرة العرب، وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع الدولة العثمانية. ولقد تحدوا سلطة الامبراطورية العثمانية حينما هاجموا العراق ونهبوا كربلاء. وفي سنة ١٨٠٤ ـ ١٨٠٦ م استولوا على مكة والمدينة وطهروهما من البدع، ثم أرسلوا كتاباً إلى السلطان العثماني يهاجمونه ويتهمونه بالهرطقة واغتصاب السلطة. وأخيراً اتفق السلطان مع باشا مصر لتجهيز حملة قوية على شبه جزيرة العرب وتحطيم القوة الوهابية. ولقد تم ذلك سنة ١٨١٨ بعد أن احتلت عاصمة السعوديين وأرسل أمراؤهم إلى اسطمبول لإعدامهم هناك، وهكذا تهدمت الدولة الوهابية، إلا أن المذهب عاش وعاد لممارسة نفوذ قوي تعدى حدود شبه جزيرة العرب. وكان للحركة الوهابية في القرن الثامن عشر أهمية كبرى، ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تواجه الانكسار والاهانة على أيدي أعدائها المسيحيين، قامت الحركة الوهابية تعلن عدم ولائها للسيادة التركية في عاصمة العثمانيين. وبالرغم من عدم حملها لأي فكرة عربية وعدم رغبتها في ذلك فقد كانت الحركة الوهابية حركة عربية موجهة ضد الأفكار والعادات الفارسية والتركية السائدة التي غيرت الشكل الظاهري للإسلام منذ القرون الوسطى، وكانت هذه الحركة أيضاً أول رفض له وزنه لحق الأتراك العثمانيين في السيادة والحكم. ولقد أثرت الحركة النقشبندية أيضاً، والتي جاءت من الهند، في إعادة الحياة إلى العرب في مجال العقيدة والعلوم الدينية. أما الوهابية، وربما كان للبعث الإسلامي في الهند أثر فيها، فقد خطت خطوة أبعد فقادت هجوماً مكافحاً ضد النظام الديني والسياسي القائم في ذلك الوقت، معلنة أن هذا النظام هو الذي أوصل المسلمين إلى هذا المنزلق الخطير.

وبالرغم من انهيار الدولة الوهابية، وبالرغم من أن الدعوة الوهابية الكاملة لم تلق إلا عدداً قليلاً من المؤيدين في الشرق الأوسط، فقد جاءت ببعث ديني كان له أثر كبير في أقطار عدة ساعد على حقن هذه الأقطار بمصل جديد للكفاح وعزم أقوى على جهاد ومقارعة الأوروبيين الغزاة[٩].

---

(٩) هو أحد المصلحين الدينيين المسلمين في الهند (١٧٠٣ ـ ١٧٦٥).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رأي مؤرخ سوفياتي

يقول المؤرخ السوفياتي المعاصر فلادمير لوتسكي (١٩٠٦ ـ ١٩٦٢) في كتابه «تاريخ الأقطار العربية الحديث»:

«كان مؤسس التعاليم الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو لاهوتي نجدي من قبيلة بني تميم الحضرية. ولقد ولد محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٠٣ في العيينة بنجد وكان والده وجده من العلماء. وعلى غرارهما كان يستعد لتكريس حياته للشؤون الدينية كما كان كثير الترحال. فزار مكة والمدينة وحتى بغداد ودمشق، حسب بعض المعلومات ودرس في كل مكان علم اللاهوت لدى علماء معروفين، وأسهم مساهمة فعالة في الجدل الديني. وبعدما عاد إلى نجد في أوائل الأربعينات خطب أمام مواطنيه مبشراً بتعاليم دينية جديدة. ووجه نقداً لاذعاً إلى بقايا العقائد البدائية الشائعة بين العرب، أي إلى عبادة الطلاسم من أصنام وأحجار وينابيع وأشجار، وإلى مخلفات المذهب الطوطمي وعبادة الأولياء. ومع أن العرب كانوا كلهم شكلياً يدينون بالإسلام ويعتبرون أنفسهم مسلمين، إلا أنه كان يوجد في الجزيرة العربية في الواقع كثرة من الأديان القبلية المحلية. وكان لكل قرية طواطمها وعقائدها وطقوسها. وكانت هذه الأشكال الدينية المتنوعة التي فرضها المستوى البدائي للتطور الاجتماعي وتجزئة الجزيرة العربية، عائقاً هاماً في طريق الوحدة السياسية. وواجه محمد بن عبد الوهاب تعدد الأشكال الدينية هذه بمذهب وحيد هو التوحيد. وفي الظاهر أنه لم يستنبط عقائد جديدة إلا أنه كان يسعى فقط إلى بعث الدين الإسلامي بين العرب بنقاوته القرآنية الأصلية...

وقد خصص مكاناً كبيراً في تعاليم الوهابيين إلى قضية الأخلاق. وكان يتوجب على اتباع هذه التعاليم الذين شبوا في ظروف الصحاري القاسية، مراعاة بساطة صارمة في الأخلاق. تقترب من التقشف. فقد حرموا شرب النبيذ والقهوة وتدخين التبغ. ونبذوا جميع أنواع الترف وحرموا الغناء والضرب على الآلات الموسيقية. واستهجنوا الأفراط والتحلل الجنسي. وهكذا فليس من قبيل الصدفة أن يدعو غواة التشبيه الظاهري الوهابيين بحنابلة الصحراء. وقد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كافح الوهابيون مخلفات بقايا العبادات القبلية المحلية ودمروا الأضرحة وحرموا السحر والعرافة. وفضلاً عن ذلك، فكان وعظهم يرمي إلى مكافحة الإسلام الرسمي. وكافح الوهابيون الصوفية والدروشة وتلك الأشكال من العبادات الدينية، التي كان يمارسها الأتراك والتي نشأت عبر القرون. ودعوا إلى الكفاح بلا هوادة ضد الفرس، الشيعة الذين كانوا يعتبرونهم كمرتدين، والسلطان العثماني، الخليفة الكاذب، والباشوات الأتراك.

وكان الهدف النهائي من الاتجاه المعادي للأتراك والذي كانت تتسم به الوهابية هو طرد الأتراك وتحرير وتوحيد الأقطار العربية تحت راية الإسلام النقي[١٠].

رأي جواهر لال نهرو

كان نهرو من كبار مثقفي هذا العصر وأنضجهم فكرياً. وقد تعرض في كتابه: «لمحات من تاريخ العالم». للخطوط الرئيسية لأحداث الشعوب والأمم وقضاياها. واحتل تاريخ المسلمين والعرب ـ قديماً وحديثاً ـ حيزاً رئيسياً في هذا الكتاب. وعندما تكلم عن الجزيرة العربية، كان من الطبيعي أن يذكر الدعوة الوهابية باعتبارها من أهم الأحداث في التاريخ الحديث للجزيرة العربية ومما قاله بهذا الشأن:

«كانت الجزيرة العربية قبل الحرب العالمية الأولى خاضعة للحكم التركي، ولكن ظهر ابن سعود في نجد وأخذ يوطد أركان حكمه ويوسع مملكته شرقاً في إتجاه الخليج العربي. وكان ابن سعود رئيساً لمذهب إسلامي يسمى المذهب الوهابي الذي كان قد أنشأه في القرن الثامن عشر محمد بن عبد الوهاب. وكان هذا المذهب يرمي إلى اصلاح الإسلام، وهو في هذه الناحية يشبه إلى حد كبير الحركة البيوريتانية بالنسبة للديانة المسيحية. وكان الوهابيون يعارضون بعض الطقوس، مثل تقديس القبور وآثار الأولياء التي تقوم بها جماهير المسلمين،

---

(١٠) فلاديمير لوتسكي: تاريخ **الأقطار** العربية الحديث. ترجمة عفيفة البستاني. دار التقدم موسكو ١٩٧١. ص ٩٥ ـ ٩٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويرمون هذه الأشياء بالوثنية، تماماً كما عمل البيوريتانيون عندما عارضوا الرومان الكاثوليك في تقديسهم للأولياء والتماثيل. ولذلك كان الوهابيون يختلفون عن بقية المسلمين في نظرتهم الدينية»[11]...

رأي كارل بروكلمان

يقول المؤرخ الألماني كارل بروكلمان، في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية الترجمة العربية»: ولن يحالف التوفيق محمداً علياً في شبه الجزيرة العربية بقدر ما حالفه في مصر وسوريا. فهناك اصطدمت سلطته بحركة انبعاث وطنية كبرى. وتفصيل ذلك أنه ولد في نجدَ، المرتفعة في قلب الجزيرة، محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم، ما بين أواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامنَ عشر، فنشأ محباً للعلم، واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة، وقصد وفقاً للعادة القديمة إلى عواصم الشرق الإسلامي طلباً للعلم في مدارسها. وفي بغداد درس محمد فقه أحمد بن حنبل مؤسس آخر المذاهب السنية الأربعة، الذي دافع في شدة وثبات عن مبدأ الأخذ بالحديث والاعتماد عليه كلياً ضد نزعة الفقهاء السابقين إلى الأخذ بالرأي. ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن تيمية الذي كان قد أحيا، في القرن الرابع عشر، تعاليم ابن حنبل. والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به إلى الايقان من أن الإسلام في شكله السائد في عصره، وبخاصة بين الأتراك ـ مشرب بالمساوىء التي لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب. فلماآب إلى بلده الأول، سعى أول ما سعى، إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلاميتين صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق. ولكنه لم يكد يشجب مظاهر التقديس التي كانَ يحاط بها سعد، وهو الولي الخاص بمسقط رأسه العيينة ويفرض بين أتباعه القصاص المفروض على الزانية أي الرجم (وكان هذا القصاص قد أهمل على الرغم من نص الشارع عليه) حتى نفي من البلاد. وفي سنة ١٧٤٠ التجأ إلى محمد بن سعود، وكان خصماً لشيخ العيينة، يقيم في بلدة محصنة هي الدرعية، الباعدة ست ساعات فحسب عن عيينة، بوصفه شيخاً

---

(١١) راجع الصفحة ٣٢٤ من الكتاب المذكور.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لعشيرة عنزة. وهناك لقي محمد حفاوة وترحيباً، حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصاراً ومريدين. ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره. وكان ذلك قد شاع بين المسلمين منذ قرون، تقليداً للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأكثر بدائية، رامياً بالشرك أولئك المسلمين الذين يشاركون في هذا التقديس ـ والذين يقضي القرآن بحربهم، حتى يرجعوا عن كل زينة في اللباس، وعن لبس الحرير بخاصة، وحرم ايما تزيين أو زخرفة للمساجد والأضرحة. ليس هذا فحسب، بل لقد توسع في فهم التحريم الإسلامي لمختلف ضروب المسكر، فحرم تدخين التبغ الذي أعلن جميع الفقهاء تقريباً، من الحنابلة وغير الحنابلة، معارضتهم له أول دخوله إلى بلاد الشرق[١٢]. . .

رأي باحث ألماني

يقول الكاتب الألماني المعاصر ف. و. فرنو، في كتابه «يقظة العالم الإسلامي» الذي درس فيه الحركات الدينية والفكرية والاجتماعية والقومية والسياسية في مختلف الأقطار الإسلامية:

«وبلاد العرب مهد الإسلام المنسي، هي أيضاً مصدر الاصلاح البوريتاني. وكان انحطاط الامبراطورية العثمانية وسقوطها، قد أحزنا عدداً من عرب الأماكن المقدسة حزناً عميقاً. والشاب محمد بن عبد الوهاب، الذي كان حينذاك طالباً دينياً في المدينة، وولد في منطقة الحسا على شواطىء الخليج الفارسي، التي تقوم فيها آبار شركة البترول العربية الأميركية الكبيرة، قد بدأ تبشيره ببوريتانية لا ترحم ونجح بإقناع أحد سادة بلاد العرب الوسطى بفكرته عندما دقت ساعة النضال في سبيل تطهير العالم الإسلامي. وهكذا شكل المصلح محمد بن عبد الوهاب والعائلة السعودية المالكة حلفاً وطدته الروابط العائلية. ثم افتتح الوهابيون قسماً من الجزيرة العربية. أن الحظ لم يكن دائماً محالفاً للسعوديين والوهابيين، لأنهم عرفوا عصراً طويلاً من الانحطاط إلى أن

---

(١٢) ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي. ط ٣ الجزء ٤ دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استطاع الشاب عبد العزيز بن سعود سنة ١٩٠١ افتتاح القسم المفقود من ممتلكات آبائه. وأخضع الملك بن سعود تدريجياً شبه الجزيرة العربية كلها تقريباً، بما في ذلك المدينتين المقدستين، للسيطرة الوهابية وتجدر الاشارة إلى أن المملكة العربية السعودية هي الدولة الإسلامية الوحيدة الحالية التي توصل فيها المصلحون البوريتانيون إلى استلام السلطة.

وقد ساهم الوهابيون الذين انتشر تأثيرهم الروحي في أقاصي العالم الإسلامي مساهمة كبيرة في أن تهب على الإسلام ريح عظيمة من الإصلاح. والكلمة الأخيرة لم تلفظ بعد في هذا «الاصلاح» الإسلامي ـ إذا سمح باستعمال هذه الكلمة لتدل كلياً على جميع الميول التي ظهرت فالحركة تمثل صيغة تختلف جداً بين البدو عنها بين السكان المتحضرين والأكثر تطوراً في بلاد الواحات. ويفسر ذلك بسهولة، نظراً لاختلاف الحياة والمجتمع. فقد حفظت أنظمة عسكرية أفكار المصلحين في بلاد البدو. وهذه الأنظمة البوريتانية عصفت بالجمعيات الصوفية، لأن المصلحين العرب وضعوا نصب أعينهم إلغاء هذه المظاهر الصوفية. وقد أوجد الملك ابن سعود إحدى هذه الجمعيات، على أمل أن يجمع البدو والرحل في مستعمرات اخائية، ويجعل منهم متحضرين»[١٣].

---

(١٣) انظر ف. و. فرنو يقظة العالم الإسلامي. ترجمة بهيج عثمان ـ دار الحكمة بيروت ١٩٥٦ ج ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

مراجع البحث

أولاً: المراجع القديمة:

١ ـ ابن تيمية: مجموع الرسائل والمسائل، طبعة المنار مصر بدون تاريخ.
٢ ـ ابن تيمية: منهاج السنة، المطبعة المنيرية ـ مصر بدون تاريخ.
٣ ـ ابن تيمية: تفسير سورة الاخلاص، مطبعة مصر بدون تاريخ.
٤ ـ ابن تيمية: الرسالة الحموية الكبرى، طبعة مصر بدون تاريخ.
٥ ـ ابن تيمية: نقض المنطق، طبعة مصر بدون تاريخ.
٦ ـ ابن تيمية: رسالة معارج الوصول، طبعة مصر بدون تاريخ.
٧ ـ ابن تيمية: الايمان، طبعة مصر بدون تاريخ.
٨ ـ ابن تيمية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، طبعة مصر بدون تاريخ.
٩ ـ ابن خلدون المقدمة تحقيق الدكتور عبدالواحد وافي ط ١، لجنة البيان العربي، القاهرة.
١٠ ـ ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة. تحقيق د. محمود قاسم. ط ٢. مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤.
١١ ـ الأشعري: كتاب الابانة، طبعة حيدر اباد بدون تاريخ.
١٢ ـ البغدادي: الفرق بين الفرق، طبعة دار المعرف بمصر بدون تاريخ.
١٣ ـ الحافظ ابو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي «مناقب الإمام احمد بن حنبل»، طبعة مصر ١٣٤٩ هـ.
١٤ ـ حسين بن غنام: روضة الأفكار لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطبعة المصطفوية بومباي ـ بدون تاريخ ويسمى هذا الكتاب أيضاً بتاريخ نجد. وقد حققه الدكتور ناصر الدين الأسد. مطبعة الدين ـ القاهرة ١٣٨١ ـ ١٩٦١ م.

١٥ ـ سليمان بن سحمان: الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية. مطبعة المنار. مصر ١٣٤٢ هـ.

١٦ ـ الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن: مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام. المطبعة المصطفوية. بومباي بدون تاريخ.

١٧ ـ عثمان بن عبدالله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ـ ٢ تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ. ط ٢ بيروت ١٩٧٤.

١٨ ـ الغزالي: الجام العوام عن علم الكلام طبعة مصر بدون تاريخ.

١٩ ـ القشيري: الرسالة القشيرية، طبعة مصر محمد علي صبيح ١٩٦٦.

٢٠ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. ط ١. مطبعة المنار مصر ١٣٤٥ هـ.

٢١ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد، طبع المكتب الإسلامي بدمشق ١٩٦٢.

٢٢ ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب: عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة. ط ٢. المكتب الإسلامي في بيروت ١٣٩١ هـ.

٢٣ ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب: كشف الشبهات في التوحيد. المطبعة المنيرية بالقاهرة بدون تاريخ.

ثانياً: المصادر الحديثة:

٢٤ ـ ابو العلاء عفيفي: التصوف. الثورة الروحية في الإسلام. ط ١ دار المعارف المصرية ـ ١٩٦٣.

٢٥ ـ احمد امين: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ط ١. مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩.

٢٦ ـ احمد امين: فجر الإسلام ط ٩. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٤.

٢٧ ـ احمد امين: ضحى الإسلام. ط ٧. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٤.

٢٨ ـ احمد عسه: معجزة فوق الرمال. المطابع الأهلية اللبنانية بيروت ط ٣ ـ ١٩٧١.

٢٩ ـ احمد شلبي: المجتمع الإسلامي. ط ٢ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣٠ ـ امين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته. دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت ١٩٢٧.
٣١ ـ امين الريحاني: ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية. مطبعة صادر ط ٢ ١٩٢٩.
٣٢ ـ امين السعيد: سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ط ١ بيروت ١٣٨٤ هـ.
٣٣ ـ بكري الشيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. دار صادر بيروت ١٣٩٢ هـ.
٣٤ ـ الجامعة الأميركية في بيروت: الفكر العربي في مائة سنة. بيروت ١٩٦٧.
٣٥ ـ جمال الدين الشيال: الحركاتَ الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث معهد الدراسات العالية ـ القاهرة ١٩٥٧.
٣٦ ـ جمال حمدان ـ العالم الإسلامي المعاصر. عالم الكتب. القاهرة ـ ١٩٧١.
٣٧ ـ سامي محمود. انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية ـ المكتبة العصرية ـ بيروت. بدون تاريخ.
٣٨ ـ حسن صعب. الإسلام وتحديات العصر. دار العلم للملايين بيروت ط ٣ ـ ١٩٧٤.
٣٩ ـ سيد حسين نصر. دراسات إسلامية. الدار المتحدة للنشر ط ١ بيروت ١٩٧٥.
٤٠ ـ طه حسين: الحياة الأدبية في جزية العرب مكتب النشر العربي. دمشق ١٩٣٥.
٤١ ـ عباس محمود العقاد: الإسلام في القرن العشرين. حاضره ومستقبله. ط ٢. دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٩. عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية. دار الهلال القاهرة بدون تاريخ.
٤٢ ـ عبدالحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام. ج ١ مكتبة الأنجلو المصرية ج القاهرة ١٩٦٤.
٤٣ ـ عبدالجليل عيسى. المصحف الميسر. دار القلم القاهرة ١٣٨١ هـ.
٤٤ ـ عبدالحليم محمود: أوروبا والإسلام. المكتبة المصرية. بيروت بدون تاريخ.
٤٥ ـ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ: علماء الدعوة، مطبعة المدني. القاهرة ١٣٨٦ ـ هـ ١٩٦٦ م.
٤٦ ـ عبدالمتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام. مكتبة الآداب بالقاهرة. بدون تاريخ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٤٧ ـ عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب. معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٥٨.

٤٨ ـ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ج ١. ط ٣. دار المعارف بمصر ١٩٦٥.

٤٩ ـ علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة. بيروت ١٩٧٥.

٥٠ ـ فتح الله خليف: محاضرات في الفلسفة الإسلامية ألقيت على طلاب قسم الفلسفة بجامعة بيروت العربية خلال عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

٥١ ـ كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث. ط ٢ دار النهار للنشر. ببيروت ١٩٦٩.

٥٢ ـ ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية. الدار المتحدة للنشر ـ بيروت ١٩٧٤.

٥٣ ـ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب. ط ٢. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧١.

٥٤ ـ مصطفى محمود: القرآن. محاولة لفهم عصري للقرآن. مؤسسة روز اليوسف القاهرة ١٩٧٠.

٥٥ ـ مصطفى مؤمن: العالم الإسلامي المعاصر.

٥٦ ـ مجيد خدوري: الاتجاهات السياسية في العالم العربي. ط ١ الدار المتحدة للنشر بيروت ١٩٧٢.

٥٧ ـ محمد ابو زهرة: ابن تيمية: «حياته وعصره آراؤه الفقهية» دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ.

٥٨ ـ محمد ابو زهرة: ابن حنبل. حياته وعصره آراؤه الفقهية. دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ.

٥٩ ـ محمد ابو زهرة: المذاهب الإسلامية. الألف كتاب. المطبعة النموذجية. القاهرة بدون تاريخ.

٦٠ ـ محمد أنيس/الدولة العثمانية والشرق العربي. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة بدون تاريخ.

٦١ ـ محمد علي الشوكاني: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد. مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٤ هـ.

٦٢ ـ محمد البهي: العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق. ملحق مجلة الفكر الإسلامي محاضرة ألقيت في قاعة دار الفتوى ببيروت في ١٩٧١/٢/٢٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٦٣ ـ محمد حامد الفقي: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح. مطبعة النهضة. القاهرة ١٣٥٤ هـ.
٦٤ ـ محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده. مطبعة المنار ١٣٢٤ هـ.
٦٥ ـ محمد رشيد رضا: الخلافة والامامة العظمى مطبعة المنار ١٣٤١ هـ.
٦٦ ـ محمد رشيد رضا: الوهابيون والحجاز. ط ١. مطبعة المنار. القاهرة ١٣٤٤ هـ.
٦٧ ـ محمد مبارك: الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية. دار الفكر. بيروت ١٩٦٨.
٦٨ ـ محمد فؤاد شبلي: حضارة الإسلام في دراسة توينبي للتاريخ. دار الكاتب العربي سلسلة المكتبة الثقافية ـ القاهرة. بدون تاريخ.
٦٩ ـ محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية. ط ٢. دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٧.
٧٠ ـ منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية. ج ١ ط ١. دار الكاتب العربي بيروت بدون تاريخ.
٧١ ـ هاشم معروف الحسني: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. ط ١. دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٦٤.
٧٢ ـ هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب. دار النهار للنشر. بيروت ١٩٧١.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

٧٣ ـ أجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام. ترجمة: محمد يوسف موسى. عبدالعزيز عبدالحق. علي حسن عبدالقادر. دار الكاتب المصري القاهرة ١٩٤٦.
٧٤ ـ احمد عروة. الإسلام في مفترق طرق. ترجمة د. عثمان امين. دار الشروق بيروت ١٩٧٥.
٧٥ ـ ارنولد توينبي: محاضرتان عن الإسلام والغرب والمستقبل. ترجمة د. نبيل صبحي دار العربية للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.
٧٦ ـ ارنولد توينبي: محاضرات ارنولد توينبي في ج.ع.م. نيسان ابريل ١٩٦٤. ترجمة د. فؤاد زكريا. القاهرة ١٩٦٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٧٧ ـ البرت حوراني ـ الفكر العربي في عصر النهضة. ترجمة كريم عزقول ـ دار النهار بيروت. د. ت.
٧٨ ـ البرت شفيتزر: فلسفة الحضارة. ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ـ القاهرة بدون تاريخ.
٧٩ ـ ادوار عطية: العرب. ترجمة محمد قنديل البقلي. ط ١ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦١.
٨٠ ـ أ ـ هـ جونسون. فلسفة وايتهد في الحضارة. ترجمة د. عبدالرحمن ياغي ـ المكتبة العصرية. صيدا ١٩٦٥.
٨١ ـ برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط تعريب د. نبيل صبحي ١٩٦٥.
٨٢ ـ برتراند راسل: آمال جديدة في عالم متغير. ترجمة عبدالكريم أحمد. القاهرة. بدون تاريخ.
٨٣ ـ أ. بلياريف: العرب والإسلام والخلافة العربية. ترجمة الدكتور أنيس فريحة الدار المتحدة للنشر. بيروت ١٩٧٣.
٨٤ ـ تشارلز آدامس: الإسلام والتجديد في مصر ترجمة عباس محمود. القاهرة ١٩٣٥.
٨٥ ـ جواهر لال نهرو: لمحات من تاريخ العالم. ط ٢. ترجمة لجنة من الأساتذة المكتب التجاري. بيروت ١٩٥٧.
٨٦ ـ جول لابوم: تفصيل آيات القرآن الكريم. ترجمة محمد عبدالباقي. عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م.
٨٧ ـ ش. ا. ر. جيب: الاتجاهات الحديثة في الإسلام. ترجمة كامل سليمان. دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٥٤ م.
٨٨ ـ ريشاروود: الإسلام والإصلاح. نشرة محيي الدين الخطيب. القاهرة ١٩١٢ م.
٨٩ ـ سيد حسين نصر: ثلاثة حكماء مسلمين. ترجمة صلاح الضاوي. دار النهار للنشر. بيروت ١٩٧١ م.
٩٠ ـ ف. و. فرنو: يقظة العالم الإسلامي. ترجمة بهيج عثمان. دار الحكمة. بيروت ١٩٥٦.
٩١ ـ فيليب حتي: الإسلام منهج حياة. ترجمة د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٩٢ ـ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ط ٣. ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦١.
٩٣ ـ لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي. ترجمة عجاج نويهض ط ٤ دار الفكر بيروت ١٩٧٣.
٩٤ ـ لورافيشيا فاغليري: دفاع عن الإسلام. ترجمة منير بعلبكي. دار العلم للملايين ـ بيروت ط ٣ ١٩٧٦.
٩٥ ـ مجموعة من المستشرقين: الإسلام في نظر الغرب. ترجمة اسحق موسى الحسيني. دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٣.
٩٦ ـ محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت ط ٩ ـ ١٩٧٧.
٩٧ ـ محمد أسد: منهاج الحكم في الإسلام. ترجمة منصور محمد ماضي ـ دار العلم للملايين. بيروت ط ٥ ـ ١٩٧٨.
٩٨ ـ محمد اقبال: تجديد: الفكر الديني في الإسلام. ترجمة عباس محمود. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥٥.
٩٩ ـ مولاي محمد علي: الإسلام والنظام العالمي الجديد. ترجمة أحمد جودة السحار. مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ.
١٠٠ ـ نجلاء عزالدين: العالم العربي. ترجمة فريق من الأساتذة. القاهرة بدون تاريخ.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1 - Encyclopedie de L'Islam, 1ère et 2èm ed.
2 - Allard. M. le probleme des attributs divins dans la doctrine d'Al - As Ari. Beyrouth 1965.
3 - Bennabi. M. Vocation de L'Islam. éd. du Seuil. Paris, 1957.
4 - Corbin. H. Histoire de la philosophie Islamique. éd. Gallimard. Paris, 1964.
5 - Coulson. M.J. Conflicts and Tension in Islamic Juris prudence. The univ. of Chicago Press, 1969.
6 - Einstein. A. Comment je vois le monde. ed. Flammarion. Paris, 1959.
7 - Gardet. L. L'Islam, religion et communauté. Paris. 1970.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

8 - Gardet. L. Les hommes de L'Islam. éd. Hachette. Paris, 1977.
9 - Gardet. L. La Cité Musulmane. 2 ème éd. Vrin. Paris, 1961.
10 - Gibb. H.A.R. and Bowen. Islamic Society and the west. Vol. I. Part II. Oxford Unv. Press. London, 1969.
11 - Julien. C.A. Histoire de L'Afrique du nord. Payot. Paris, 1966.
12 - Laoust. H. La profession de foi d'Ibn Batta. Damas, 1958.
13 - Laoust. H. Le traité de droit d'Ibn Taymiyya. Beyrouth, 1948.
14 - Laoust. H. Le Reformisme orthodoxe des Salafiyya et les caractères généraux de son organisation actuelle, in Révue des études islamiques. T.VI, pp 175 - 224. Paris, 1952.
15 - Henguin. F. Histoire sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Aly.
16 - Moutran. N. La Syrie de demain. Plon. Paris, 1916.
17 - Raymond. J. Mémoire sur l'origine des Wahhabys. le Caire, 1925.
18 - Révue des études Islamiques.
19 - Richta. R. La civilisation au carrefour. éd. du Seuil. Paris, 1974.
20 - Schuon: Comprendre l'Islam. éd. du Seuil. Paris, 1976.
21 - Schweitzer. A. Ma vie et Ma Pensée. éd. Albin Michel. Paris, 1960.
22 - Tomiche. F. L'Arabie Séoudite. Puf. Paris, 1969.
23 - Smith; W.C. L'Islam dans le monde Moderne. Payot. Paris, 1962.
24 - Unesco. Histoire du developpement seientifique et culturel de l'humanité. éd. Lafont. T. IV. Paris. 1962.
25 - Pensée et valeurs de L'Islam. En. Cultures. Vol. IV. N:1 Presse de L'Unesco. Paris, 1977.
26 - Nasr Se yed Hossein. Islam and the Plight of modern man. Longman, London, 1979.

خامساً: المجلات

١ ـ المنار ـ القاهرة.
٢ ـ تراث الانسانية ـ القاهرة.
٣ ـ تقويم البشير لعام ١٩٣٩ ـ بيروت.
٤ ـ المجلة العربية، العدد الاختصاصي. ط ٢. -آب ـ اغسطس ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.
٥ ـ المسلم المعاصر. بيروت.
٦ ـ العربي. الكويت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT
Est. 2012 CE

المحتويات

مقدمة ٧

الباب الأول:

١١

الدعوة الوهابية
مبادئها، وأهدافها

الفصل الأول: المجتمع الإسلامي زمن الدعوة ١٣
الفصل الثاني: بيئة الدعوة وأهدافها ٢٣
الفصل الثالث: مؤسس الدعوة ٣٣
الفصل الرابع: مراحل الدعوة ٤٧
الفصل الخامس: بعض علماء الدعوة ٥٩

الباب الثاني:

٦٩

الفكر الديني عند الوهابيين
أصوله وقضاياه الأساسية

الفصل السادس: التزامهم بالمنهج السلفي ٧١
الفصل السابع: مفهومهم للإيمان ٨٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثامن: موقفهم من التوحيد وقضاياه ٩٥
الفصل التاسع: موقفهم من التأويل وعلم الكلام ١٣١
الفصل العاشر: موقفهم من قضية خلق القرآن ١٣٩
الفصل الحادي عشر: موقفهم من بعض القضايا الدينية الأخرى ١٥٥
الفصل الثاني عشر: موقفهم من الغزالي والأشاعرة والماتريدية ١٧١

الباب الثالث:

١٨٣

الوهابيون والفكر الإسلامي الحديث

الفصل الثالث عشر: الوهابيونَ والإصلاح ١٨٥
الفصل الرابع عشر: أثر الدعوة الوهابية في العالم الإسلامي ١٩٩
الفصل الخامس عشر: الدعوة الوهابية والتطور ٢٠٩
الفصل السادس عشر: آراء بعض المفكرين العرب والمسلمين
والأجانب بالدعوة ٢٢٥
مراجع البحث: ٢٤٧
الفهرس: ٢٥٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذا الكتاب بحث في حقيقة الدعوة الوهابية وتوضيح لتعاليمها وتحليل لأهدافها الحقيقية التي تقترب في بعض وجوهها من الفكر العلمي الحديث من حيث تصديها للوثنيات والخرافات والبدع التي شوهت تعاليم الإسلام الحقيقية وأبعدتها عن منابعها الأساسية في القرآن والسنة . وتكتسب الدعوة الوهابية اهمية خاصة في تاريخ الفكر العربي الحديث والمعاصر لعدة اسباب :

● اولاً: لانها كانت أول حركة في تاريخ هذا الفكر تعلن الثورة على الجمود الديني والفكري الذي يشل تفكير المسلمين ويشوِّه تعاليم دينهم ويطمس الكثير من حقائقه الجوهرية .

● ثانياً : لانها كانت أول حركة تسعى الى توحيد مناطق الجزيرة العربية و تطمح الى توحيد الأقطار العربية الاخرى وتحريرها من السيطرة العثمانية ، و أول صرخة إحتجاج ضد تخلف المسلمين وتفسخ مجتمعاتهم ، وأول محاولة لإعادة إنهاض المجتمع العربي و الإسلامي على أسس دينية .

● ثالثاً : الأثر الكبير الذي تركته تعاليم هذه الدعوة في الإتجاهات الفكرية لرواد الفكر الإسلامي الحديث وفي طليعتهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم ...

● رابعاً : إن دولة عربية كبرى لها دورها المؤثر في الحياة العربية والاسلامية والدولية المعاصرة تولدت عن كفاح تلك الدعوة ، وهي المملكة العربية السعودية .

إن هذا الكتاب يلقي الضوء أيضا على النتائج الفكرية والدينية والسياسية التي تولدت عن هذه الدعوة منذ ظهورها في القرن الثامن عشر حتى الآن ، وذلك بإسلوب علمي تحليلي غايته تعريف الأجيال العربية والإسلامية المعاصرة بإحدى مناحي الفكر العربي والإسلامي الحديث الذي ما يزال في معظمه أرضاً مجهولة بالنسبة الى هذه الأجيال ...

توزيع : دار النفائس
بيروت - صَبْ : ٦٣٤٧/١١

This file was downloaded from QuranicThought.com